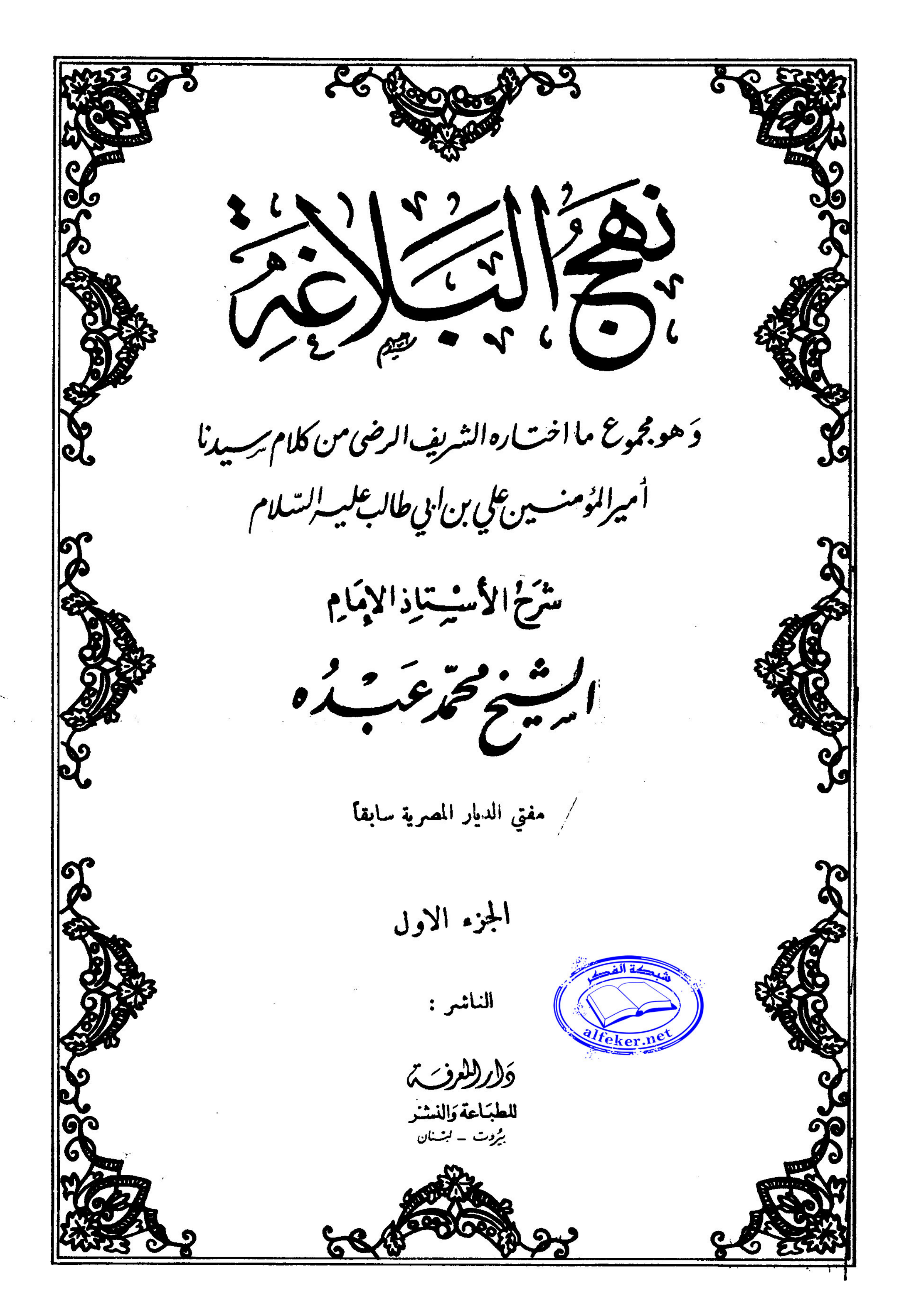


نهج البلاغة

وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضى من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

شرح الأستاذ الإمام
الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية سابقاً

الجزء الاول

الناشر :
دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت ـ لبنان

من هو الامام علي ؟

اجتمع للامام علي بن أبي طالب من صفات الكمال ، ومحمود الشمائل ، والخلال، وسناء الحسب وباذخ الشرف ، مع الفطرة النقية ، والنفس المرضية ، مالم يتهيأ لغيره من أفذاذ الرجال .

تحدّر من أكرم المناسب ، وانتمى الى أطيب الاعراق ، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش. وجدّه عبد المطلب أمير مكة وسيّد البطحاء ثم هو قبل من هامات بني هاشم وأعيانهم ، وبنو هاشم كانوا كما وصفهم الجاحظ : « ملح الارض ، وزينة الدنيا ، وحلي العالم ، والسّنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولُباب كلّ جَوْهَر كريم ، وسرّ كل عُنْصُر شريف ، والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك والنّصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم . . . »

واختصّ بقرابته القريبة من الرسول عليه السلام ، فكان ابن عمه ، وزوج ابنته وأحب عِترته اليه ، كما كان كاتب وحيه ، وأقرب الناس الى فصاحته.وبلاغته ، وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه ، أسلم على يديه صبياً قبل ان يمس قلبه عقيدة سابقة أو يخالط عقله شَوْبٌ من شرك موروث ، ولازمه فتياً يافعاً ، في غدوّه ورواحه وسِلمه وحربه ، حتى تخلّق بأخلاقه ، واتّسم بصفاته وفقِه عنه الدين ، وثقف مانزل به الروح الأمين ، فكان من افقه أصحابه واقضاهم ، واحفظهم واوعاهم ، وادقهم في الفتيا ، واقربهم إلى الصواب ، وحتى قال فيه عمر : لابقيتُ لمعضلة ليس فيها ابو الحسن ، وكانت حياته كلها مفعمة بالاحداث ، مليئة بجلائل الامور ،فطى عهد الرسول عليه السلام ، ناضل المشركين واليهود ، فكان فارس الحلبة ومِسعَر الميدان صليب النّبع جميع الفؤاد . ذلك هو الامام علي بن ابي طالب عليه السلام .

مقدمة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدٌ لله سياج[1] النعم. والصلاة على النبي وفاءُ الذمم. واستمطار الرحمة على آله الاولياء، وأصحابه الأصفياء، عرفان الجميل وتذكار الدليل[2]: وبعد فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة بلا تعمل. أصبته على تغير حال وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال. فحسبته تسلية، وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته. من مواضع مختلفات، وموضوعات متفرقات. فكان يخيل إلي في كل مقام ان حروباً شبت وغارات شنت وان للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة. وان للاوهام عرامة[3] وللريب دعارة. وإن جحافل الخطابة، وكتائب الذرابة، في عقود النظام وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج[4] والقويم الاملج. وتمتلج المهج برواضع الحجج. فتفل من دعارة الوساوس[5] وتصيب مقاتل الخوانس. والباطل منكسر ومرج الشك في خمود[6] وهرج الريب في ركود. وان مدبّر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

---

(١) السياج: ما احيط به على شيء (٢) معرفة طريق الحق والهداية اليه.

(٣) العرمة الشراسة. والدعارة سوء الخلق. والجحافل الجيوش. والكتائب الفرق منها والذرابة حدة اللسان في فصاحة. والكلام تخيل حرب بين البلاغة وهائجات الشكوك والاوهام.

«٤» تنافح تضارب اشد المضاربة. والصفيح السيف والأبلج اللامع البياض. والقويم الرمح والاملج الاسمر. وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القوية المبددة للوهم وان خفى مدركها وتمتلج اي تمتص. والمهج دماء القلوب لاتبقي للاوهام شيئاً من مادة البقاء

«٥» فل الشيء ثلمه والقوم هزمهم. والخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء

«٦» المرج الاضطراب. والهرج هيجان الفتنة

بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع أحس بتغير المشاهد . وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية. في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية . وتدنو من القلوب الصافية : توحي اليها رشادها . وتقوم منها مرادها . وتنفر بها عن مداحض المزال . إلى جواد الفضل والكمال .

وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة[1] ، وأنياب كاشره . وأرواح في أشباح النمور ، ومخالب النسور . قد تحفزت الوثاب ، ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها ، واخذت الخواطر دون رماها . واغتالت فاسد الاهواء وباطل الآراء .

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لايشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الالهي ، واتصل بالروح الانساني . فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به الى الملكوت الاعلى . ونما به إلى مشهد النور الاجلي . وسكن به الى عمار جانب التقديس . بعد استخلاصه من شوائب التلبيس[2] . وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرّفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم إلى دقاق السياسة . ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم الى منصات الرئاسة ويُصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير

ذلك الكتاب الجليل هو جملة مااختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا امير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . جمع متفرقه وسماه بهذا الاسم (نهج البلاغة) ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه . وليس في وسعي ان أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار كما سترى في مقدمة الكتاب .ولولا أن غرائز الجبلة ، وقواضي الذمة ، تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه ، وشكر المحسن على احسانه ، لما احتجنا الى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة ، من فنون الفصاحة . وما خُصَّ به من وجوه البلاغة ، خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا اصابه ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه[3] .

---

(١) باسرة : عابسة .(٢) التلبيس:التخليط التدليس (٣) جابه يجوبه:خرقه ومضى به

الا أن عبارات الكتاب لبعد عهدها منا، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا قد نجد فيها غرائب الفاظ في غير وحشية، وجزالة تركيب في غير تعقيد، فربما وقف فهم المطالع دون الوصول الى مفهومات بعض المفردات أو مضمونات بعض الجمل. وليس ذلك ضعفاً في اللفظ أو وهنا في المعنى وإنما هو قصور في ذهن المتناول.

ومن ثم همت بي الرغبة أن أصحب المطالعة بالمراجعة والمشارفة بالمكاشفة، وأعلق على بعض مفرداته شرحاً وبعض جمله تفسيراً وشيء من اشاراته تعييناً، واقفاً عند حد الحاجة مما قصدت. موجزاً في البيان ما استطعت. معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة والمعروف من صحيح الأخبار. ولم اتعرض لتعديل ماري عن الامام في مسألة الامامة أو تجريحه، بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات إلى اصول المذاهب المعلومة فيها، والاخبار المأثورة الشاهدة عليها، غير أني لم أتحاش تفسير العبارة، وتوضيح الاشارة لا اريد في وجهي هذا الا حفظ ما أذكر، وذكر ما أحفظ. تصوّنا من النسيان وتحرزاً من الحَيَدان(١). ولم أطلب من وجه الكتاب الا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام. وحسبي هذه الغاية فيما أريد لنفسي ولمن يطلع عليه من أهل اللسان العربي.

وقد عني جماعة من أجلة العلماء بشرح الكتاب وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الاسرار، وكل يقصد تأييد مذهب وتعضيد مشرب. غير أنه لم يتيسر لي ولا واحد من شروحهم الا شذرات وجدتها منقولة عنهم في بطون الكتب، فان وافقت أحدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق، وان كنت خالفتهم فالى صواب — فيما أظن — على أني لا اعد تعليقي هذا شرحاً في عداد الشروح، ولا أذكره كتاباً بين الكتب، وانما هو طراز لنهج البلاغة وعَلَمٌ توشى به أطرافه(٢).

وأرجو ان يكون فيما وضعت من وجيز البيان فائدة للشبان من اهل هذا الزمان فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب، يتدافعون لنيل الأرب من لسان العرب. يبتغون لأنفسهم سلائقَ عربية وملكات لغوية، وكل يطلب لساناً خاطباً، وقلماً كاتباً، لكنهم يتوخّون وسائل مايطلبون في مطالعة المقامات وكتب المراسلات مما

(١) الحيدان، كفيضان: الميل والجور. (٢) العلم مانصب في الطريق ليهتدي به.

كتبه المولدون . او قلدهم فيه المتأخرون . ولم يراعوا في تحريره إلا رقة الكلمات ، وتوافق الجناسات . وانسجام السجعات . ومايشبه ذلك من المحسنات اللفظية والتي وسموها بالفنون البديعة . وان كانت العبارات خلواً من المعاني الجليلة ، أو فائدة الأساليب الرفيعة .

على ان هذا النوع من الكلام بعضُ مافي اللسان العربي وليس كل مافيه ، بل هذا النوع إذا نفرد يعد من ادنى طبقات القول ، وليس في حلاه المنوطة بأواخر الفاظه مايرفعه الى درجة الوسط . فلو انهم عدلوا الى مدارسة ماجاء عن اهل اللسان ، خصوصاً اهل الطبقة العليا منهم لأحرزوا من بغيتهم ما امتدت اليه اعناقهم ، واستعدت لقبوله أعراقهم . وليس في اهل هذه اللغة الا قائل بأن كلام الامام علي بن ابي طالب هو اشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه (ص) — وأغزره مادة وأرفعه اسلوباً واجمعه لجلائل المعاني .

فأجدر بالطالبين لنفائس اللغة ، والطامعين في التدرج لمراقيها ان يجعلوا هذا الكتاب اهم محفوظهم ، وافضل مأثورهم ، مع تفهم معانيه في الاغراض التي جاءت لأجلها وتأمل الفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها . ليصيبوا بذلك افضل غاية وينتهوا الى خير نهاية ، واسأل الله نجاح عملي واعمالهم . وتحقيق املي وآمالهم .

ولنقدم للمطالع موجزاً من القول في نسب الشريف الرضي جامع الكتاب ، وطرفاً من خبره.فهو ابو الحسن محمد بن ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه . وامه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين علي بن ابي طالب رضي الله عنه . ولد الشريف الرضي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض وبذَّ اهل زمانه في العلم والادب .

قال صاحب اليتيمة هو اليوم ابدع ابناء الزمان وانجب سادات العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع

الحامد وافر ، تولى نقابة نقباء الطالبيين بعد ابيه في حياته سنة ثمانة وثمانين وثلاثمائة ، ضمت اليه مع النقابة سائر الاعمال التي كان يليها ابوه ، وهي النظر في المظالم، والحج بالناس . وكان من سمو المقام بحيث يكتب الى الخليفة القادر بالله العباسي احمد بن المقتدر من قصيدة طويلة : نفتخر بها ويساوي نفسه بالخليفة :

عطفاً أمير المؤمنين فاننا ... في دوحة العلياء لانتفرق
مابيننا يوم الفخار تفاوتٌ ... ابداً ، كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني ... انا عاطل منها وانت مطوّق

ويروى ان القادر قال له عند سماع هذا البيت : على رغم انفك الشريف ومن غرر شعره فيما يقرب من هذا قوله :

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل ... ابداً ينازع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل ... ضجراً: دواء الفارك(١) التطليق

وابتدأ يقول الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل . قال صاحب اليتيمة ، وهو أشعر الطالبيين : من مضى منهم ومن غبر - على كثرة شعرائهم المفلقين- ولو قلت انه اشعر قريش لم ابعد عن الصدق . وقال بعض واصفيه رحمه الله : كان شاعراً مفلقاً فصيح النظم ضخم الالفاظ قادراً على القريض متصرفاً في فنونه ، ان قصد الرقة في النسيب أتي بالعجب العجاب ، وان اراد الفخامة وجزالة الالفاظ في المدح وغيره أتى بمالا يشق له فيه غبار ، وان قصد المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعة الانفاس . وكان مع هذا مترسلا كاتباً بليغاً متين العبارات سامي المعاني . وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعة ، وأجود ماجمع منه مجموع أبي حكيم الخيري ، وهو ديوان كبير يدخل في أربع مجلدات كما ذكره صاحب اليتيمة . وصنف كتاباً في معاني القرآن العظيم قالوا يتعذر وجود مثله ، وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة واصول الدين . وله كتاب في مجازات القرآن . وكان عليّ الهمة تسمو به عزيمته الى امور عظام لم يجد من الأيام عليها معيناً فوقفت به دونها حتى قضى . وكان عفيفاً متشدداً في العفة بالغاً فيها الى النهاية لم يقبل من احد صلة ولا جائزة حتى انه رد صلات ابيه ! وقد اجتهد بنو بويه على قبوله صلاتهم فلم يقبل . وكان يرضى بالاكرام وصيانة الجانب واعزاز

(١) الفارك : المرأة الكارهة لزوجها .

الاتباع والاصحاب. حكى ابو حامد محمد بن محمد الاسفرائيني الفقيه الشافعي ، قال : كنت يوماً عند فخر الملك ابي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضي (صاحب كلامنا الآن) ابو الحسن فأعظمه وأجل مكانه ورفع من منزلته وخلى ما كان بيده من القصص والرقاع واقبل عليه يحادثه الى ان انصرف . ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو قاسم (اخو الشريف الرضي) فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا اكرمه ذلك الاكرام وتشاغل عنه برقاع يقرأها فجلس قليلاً ثم سأله أمراً فقضاه ثم انصرف . قال ابو حامد فقلت : اصلح الله الوزير هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون وهو الامثل والأفضل منهما وانما أبو الحسن شاعر . قال فقال لي اذا انصرف الناس وخلا المجلس اجبتك عن هذه المسألة . قال وكنت مجمعاً على الانصراف فعرض من الامر مالم يكن في الحساب فدعت الضرورة الى ملازمة المجلس حتى تقوض الناس . وبعد ان انصرف عنه اكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري قال لخادم له هات الكتابين اللذين دفعتهما اليك منذ ايام وأمرتك بوضعها في السفط الفلاني ، فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضي اتصل بي انه قد ولد له ولد فأنفذت اليه الف دينار وقلت هذا للقابلة فقد جرت العادة أن يحمل الاصدقاء وذوو مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال ، فردها وكتب اليَّ هذا الكتاب فاقرأه ، فقرأته فاذا هو اعتذار عن الرد وفي جملته : اننا اهل بيت لايطلع على احوالنا قابلة غريبة ، وانما عجائزنا يتولين هذا الامر من نسائنا ولسن ممن يأخذن اجرة ولايقبلن صلة . قال فهذا هذا . وأما المرتضى فانا كنا وزعنا وقسطنا على الاملاك ببعض النواحي تقسيطا نصرفه فيحفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ،فأصاب ملكا للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمنها دينار واحد ، وقد كتب منذ ايام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقرأه وهو اكثر من مائة سطر يتضمن من الخشوع والخضوع والاستمالة والهزء والطلب والسؤال في اسقاط هذه الدراهم المذكورة مايطول شرحه قال فخر الملك فأيهما ترى اولى بالتعظيم والتبجيل : هذا العالم المتكلم الفقيه الاوحد ونفسه هذه النفس ، لم ذلك الذي لم يشهر الا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ . فقلت وفق الله سيدنا الوزير والله ما وضع الامر الا في موضعه ولا أحله الا في محله.

وتوفي الرضي في المحرم سنة أربع واربعمائة ودفن في داره بمسجد الانباريين بالكرخ ومضى أخوه المرتضى من جزعه عليه الى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام لأنه لم يستطع ان ينظر الى تابوته ودفنه ، وصلى عليه الوزير فخر الملك ابو غالب ، ومضى بنفسه آخر النهار إلى المشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود الى داره . ومما رثاه به أخوه المرتضى الابيات المشهورة التي من جملتها :

يالرجال لفجعة جذمت يدي	ووددت لو ذهبت عليّ براسي
مازلت احذر وردها حتى أتت	فحسوتها في بعض ما انا حاسي
ومطلتها زمناً فلما صممت	لم يثنها مطلى وطول مكاسي
لاتنكروا من فيض دمعي عبرة	فالدمع غير مساعد ومواسي
لله عمرك من قصير طاهر	ولرب عُمْرٍ طال بالأدناس

وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع ان بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضي (صاحب الترجمة) بسر من رأى وهو لايعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضي :

ولقد بكيت على ربوعهم	وطلولها بيد البلى نَهْبُ
فبكيت حتى ضج من لغب	نضوى ، ولج بعذليَ الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت	عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص وهو ينشد الأبيات فقال له :هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال لا . فقال هذه الدار لصاحب الابيات الشريف الرضي ، فعجب كلاهما من حسن الاتفاق . وفي رواية العلماء من مناقب الشريف الرضي مالو تقصيناه لطال الكلام ، وانما غرضنا ان يلم القارىء بسيرته بعض الالمام . والله اعلم .

مقدمة السيد الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمد الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه . ومعاذاً من بلائه . وسبيلا الى جنانه[١] وسبباً لزيادة احسانه . والصلاة على رسوله نبي الرحمة ، وامام الائمـة ، وسراج الامة . المنتخب من طينة الكرم[٢] وسلالة المجد الاقدم . ومغرس الفخار المعرق[٣] وفرع العلاء المثمر المورق وعلى أهل بيته مصابيح الظلم ، وعصم الامم[٤] ومنار الدين الواضحة ، ومثاقيل الفضل الراجحة .صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاءً لفضلهم[٥] ومكافأةً لعملهم .وكفاءً لطيب فرعهم وأصلهم . ماأنار فجر ساطع وخوى نجم طالع[٦] فاني كنت في عنفوان السن[٧] ، وغضاضة الغصن ، ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم : حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام . وفرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً عليه السلام . وعاقت عن اتمام بقية الكتاب

---

(١) في بعض النسخ ووسيلا وهو جمع وسيلة وهي مايتقرب به . ورواية سبيلا احسن

(٢) طينة الكرم اصله وسلالة المجد فرعه (٣) الفخار قال بعضهم بالكسر ويغلط من يقرأ بالفتح لانه مصدر فاخر ، والمصدر من فاعل الفعال بكسر اوله ، غير انه لايبعد ان يكون مصدر فخر . والثلاثي اذا كانت عينه او لامه حرف حلق جاء المصدر منه على فعال بالفتح نحو سمح سماحاً

(٤) العصم جمع عصمة وهو ما يعتصم به :والمنار الاعلام واحدها منارة . والمثاقل جمع مثقال وهو مقدار وزن الشيء ، تقول مثقال حبة ومثقال دينار ، فثاقيل الفضل زناته اي ان الفضل يعرف بهم مقداره (٥) ازاء لفضلهم أي مقابلة له (٦) خوى النجم سقط وخوت النجوم امحلت فلم تمطر كأخوت وخوت بالتشديد (٧ عنفوان السن اولها .

محاجزات الزمان(١) ومماطلات الأيام . وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا . وفصلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام القصير في المواعظ والحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة . فاستحسن جماعة من الاصدقاء والاخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين ببدائعه ومتعجبين من نواصعه(٢) وسألوني عند ذلك ان ابدأ بتأليف كتاب يحتوي على مختار كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه ، من خطب وكتب ومواعظ وآداب علماً ان ذلك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام(٣) ولا مجموع الاطراف في كتاب . إذ كان امير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها(٤) ومنشأ البلاغة ومولدها . ومنه عليه السلام ظهر مكنونها . وعنه أخذت قوانينها . وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب(٥) وبكلامه استعان كل واعظ بليغ . ومع ذلك فقد سبق وقصروا . وتقدم وتأخروا . لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي(٦) وفيه عبقة من الكلام النبوي . فأجبتهم إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر . واعتمدت به ان أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة إلى المحاسن الدائرة والفضائل الجمة(٧) . وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد(٨) . واما كلامه فهو من البحر الذي لا يساجل(٩) ، والجم الذي لا يحافل(١٠) وأردت ان يسوغ لي

«١» محاجزات الزمان ممانعاته ومماطلات الايام مدافعاتها «٢» النواصع الخالصة ، وناصع كل شيء خالصه (٣) الثواقب المضيئة ومنه الشهاب الثاقب ، ومن الكلم ما يضيء لسامعها طريق الوصول الى ما دلت عليه فيهتدي بها اليه (٤) المشرع تذكير المشرعة مورد الشاربة كالشريعة (٥) حذا كل قائل اقتفى واتبع (٦) عليه مسحة من جمال ، اي علامة أو أثر ، وكأنه يريد بهاء منه وضياء . والعبقة الرائحة (٧) اعتمدت قصدت ، والدائرة بفتح فسكون الكثيرة (٨) يؤثر اي ينقل عنهم ويحكى (٩) لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء (١٠) لا يغالب في الكثرة من قولهم ضرع حافل اي ممتلىء كثير اللبن

التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : اولها الخطب والاوامر . وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ . فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب[١] ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب ، مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ومفصلا فيه اوراقاً لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع اليَّ آجلا . وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار[٢] او جواب سؤال او غرض آخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى أليق الابواب به وأشدها ملاحة لغرضه[٣] . وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ، ومحاسن كلم غير منتظمة ، لأني أورد النكت واللمع ولا اقصد التتالي والنسق . ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها ان كلامه عليه السلام الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حظ له في الزهادة ولا شغل له بغير العبادة ، وقد قبع في كسر بيت[٤] او انقطع في سفح جبل . لا يسمع إلا حسه ولا يرى الا نفسه ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه[٥] فيقطع الرقاب ويجدّل الأبطال[٦] ويعود به ينطف دماً ويقطر مُهَجاً ، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال[٧] . وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه

---

(١) اجمع عليه عزم ، والمحاسن جمع حسن على غير قياس (٢) بالفتح وبالكسر المحاورة (٣) الملاحة الابصار والنظر ، والمراد هنا المناسبة لان من ينظر الى شيء ويبصره كانه يميل اليه ويلائه (٤) قبع القنفذ كمنع ادخل رأسه في جلده ، والرجل ادخل رأسه في قيصه ، اراد منه الزوى و كسر البيت جانب الخباء ، وسفح الجبل اسفله (٥) اصلت سيفه جرده من غمده ، ويقط الرقاب يقطعها عرضاً ، فان كان القطع طولا قيل يقد ، قال ابن عائشة : كانت ضربات على ابكاراً ان اعتلى قد وان اعترض قط ، ومنه قط القلم (٦) يجدل الابطال يلقيهم على الجدالة كسحابة وهي وجه الارض وينطف من نطف كنصر وضرب نطفاً وتناطفاً سال ، والمهج جمع مهجة وهي دم القلب والروح (٧) الابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم ، اذا مات منهم واحد ابدل الله مكانه آخر

اللطيفة التى جمع بها بين الاضداد ، وألف بين الاشتات[1]. وكثيراً ما أذكر الاخوان بهاواستخرج عجبهم منها. وهى موضوع للعبرة بها والفكرة فيها . وربماجاء فى أثناء هذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر فى ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا . فربما اتفق الكلام المختار فى رواية فنقل على وجهه، ثم وجد بعد ذلك فى رواية أخرى موضوعا غير وضعه الأول ، اما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة، فتقتضى الحال أن يعاد استظهارا للاختيار، وغيرة على عقائل الكلام[2].وربما بعد العهد أيضا بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا لا قصدا واعتمادا . ولا أدعى مع ذلك أنى أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السلام [3] حتى لا يشذ عنى منه شاذ ولايندناد ، بل لا أبعد أن يكون القاصر عنى فوق الواقع الى، والحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدى[4]وما على الا بذل الجهد وبلاغ الوسع ، وعلى الله سبحانه نهج السبيل [5] ورشاد الدليل ان شاء الله

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها . ويقرب عليه طلابها . فيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ، ويمضى فى اثنائه من الكلام فى التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة [6] وجلاء كل شبهة . ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة . وأتنجز التسديد والمعونة ، وأستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان، ومن زلة الكلام قبل زلة القدم . وهو حسبى ونعم الوكيل .

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره

ويدخل فى ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات المحصورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة

---

(١) موضع العجب أن أهل الشجاعة والاقدام والمغامرة والجرأة يكونون فى العادة قساة فتاكين متمردين جبارين. والغالب على أهل الزهد واعداء الدنيا وهاجرى ملاذها المشتغلين بالوعظ والنصيحة والتذكير أن يكونوا ذوى رقة ولين وضعف قلوب وخور طباع . وهاتان حالتان متضادتان فاجتماعهما فى أمير المؤمنين كرم الله وجهه مما يوجب العجب، فكان كرم الله وجهه أشجع الناس واعظمهم اراقة للدم ، وازهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتذكيراً واشدهم اجتهاداً فى العبادة، وكان أكرم الناس اخلاقاً واسفرهم وجهاً واوفاهم هشاشة وبشاشة حتى عيب بالدعابة .

(٢) عقائل الكلام كرائمه ، وعقيلة الحى كريمته (٣) أقطار الكلام جوانبه. والناد النافر

(٤) الربقة عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة (٥) نهج السبيل ابانته وايضاحه (٦) الغلة العطش وبلالها ما تبل به وتروى

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

«يَذْكُرُ فِيهَا ابْتِدَاءَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ آدَمَ»

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ . وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ . وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ (١) وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ (٢) . الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ (٣) وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ . وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ . فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ . وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ . وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ (٤) . أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ (٥) وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ . وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ .

---

(١) أى ان همم النظار وأصحاب الفكر وان علت وبعدت فانها لاتدركه تعالى ولا تحيط به علما (٢) والفطن جمع فطنة. وغوصها استغراقها فى بحر المعقولات لتلتقط در الحقيقة ، وهى وان أبعدت فى الغوص لا تنال حقيقة الذات الاقدس (٣) فرغ من الكلام فى الذات وامتناعها على العقول ادراكا ، ثم هو الآن فى تقديس صفاته عن مشابهة الصفات الحادثة ، فكل صفات الممكن لها فى أثرها حد تنقطع اليه كما نجده فى قدرتنا وعلمنا مثلا فان لكل طورا لايتعداه . أما قدرة الله وعلمه فلا حد لشمولها. وكذا يقال فى باقى الصفات الكمالية، والنعت يقال لمايتغير ، وصفاتنا لها نعوت. فحياتنا مثلا لها أطوار من طفولية وصبا وما بعدهما وقوة وضعف وتوسط . وقدرتنا كذلك وعلمنا له أدوار نقص وكمال وغموض ووضوح . أماصفاته تعالى فهى منزهة عن هذه النعوت وأشباهها . ثم هى أزلية أبدية لاتعد الاوقات لوجودها واتصاف ذاته بها ولا تضرب لها الآجال (٤) الميدان الحركة . ووتد بالتخفيف والتشديد أى ثبت أى سكن الارض بعد اضطرابها بما رسخ من الصخور الجامدة فى أديمها ، وهو يشير الى أن الارض كانت مائرة مضطربة قبل جودها (٥) اساس الدين معرفة الله وهو قد يعرف بأنه صانع

وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ ٱلْإِخْلَاصُ لَهُ . وَكَمَالُ ٱلْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ ٱلصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ ٱلْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ ٱلصِّفَةِ . فَمَنْ وَصَفَ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ . وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ (١) . وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ . وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ (٢) . وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ فِيمَ

العالم وليس منه بدون تنزيه وهي معرفة ناقصة وكما لها التصديق به ذاته بصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره وهي وجوب الوجود . ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد لأن الواجب لا يتعدد كما عرف في فن الالهيات والكلام . ولا يكمل التوحيد الا بتمحيض السر له دون ملاحظة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه اليه واستشراق نوره ، ولا يكون هذا الاخلاص كاملا حتى يكون معه نفي الصفات الظاهرة في التعينات المشهودة في المشخصات ، لان معرفة الذات الاقدس في نحو تلك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها معها فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا متوحدا ، فالصفات المنفية بالاخلاص صفات المصنوعين والا فللامام كلام قد ملئ بصفاته سبحانه ، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف (١) جهله أي جهل أنه منزه عن مشابهة الماديات مقدس عن مضارعة المركبات . وهذا الجهل يستلزم القول بالتشخيص الجسماني وهو يستلزم صحة الاشارة اليه تعالى الله عن ذلك (٢) انما تشير الى شيء اذا كان منك في جهة فأنت تتوجه اليها باشارتك ، وما كان في جهة فهو منقطع عن غيرها فيكون محدوداً أي له طرف ينتهي اليه ، فمن أشار اليه فقد حده ، ومن حده فقد عد ، أي أحصى وأحاط بذلك المحدود لأن الحد حاصر لمحدوده . واذا قلت لشيء فيم هو فقد جعلته في ضمن شيء ثم تسأل عن تعيين ذلك الذي تضمنه ، واذا قلت على أي شيء فانت ترى أنه مستعل على شيء بعينه وما عداه خال منه

فَقَدْ ضَمَّنَهُ . وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ . كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ(١) مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ . مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ . وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ(٢) . فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ . بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ(٣) . مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ(٤). أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً. وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً. بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا(٥). وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا . وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا . وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا(٦) . أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا(٧) . وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا(٨) . وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا(٩) وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا(١٠) عَالِمًا بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطًا بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا . عَارِفًا بِقَرَائِنِهَا

---

(١) الحدث الابداء أى هو موجود لكن لا عن ابداء وإيجاد موجد ، والفقرة الثانية لازمة لهذه لأنه ان لم يكن وجوده عن ايجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود بالعدم (٢) المزايلة المفارقة والمباينة (٣) أى بصير بخلقه قبل وجودهم (٤) العادة والعرف على أنه لا يقال متوحد الا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده فانفرد عنه . والله متوحد مع التنزه عن السكن (٥) الروية الفكر ، وأجالها أدارها ورددها . وفى نسخة أحالها بالمهملة أى صرفها (٦) همامة النفس بفتح الهاء اهتمامها بالأمر وقصدها اليه (٧) حولها من العدم الى الوجود فى أوقاتها، أو هو من حال فى متن فرسه أى وثب وأحاله غيره أوثبه ، ومن أقر الأشياء فى أحيانها صار كمن أحال غيره على فرسه (٨) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادى (٩) الغرائز جمع غريزة وهى الطبيعة. وغرز الغرائز كضوأ الاضواء أى جعلها غرائز . والمراد أودع فيها طبائعها (١٠) الضمير فى اشباحها للغرائز . أى ألزم الغرائز أشباحها أى أشخاصها لأن كل

وَأَحْنَائِهَا(١) . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ ٱلْأَجْوَاءِ(٢) وَشَقَّ ٱلْأَرْجَاءِ وَسَكَائِكَ ٱلْهَوَاءِ(٣) . فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ(٤) ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ . حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ ٱلرِّيحِ ٱلْعَاصِفَةِ ، وَٱلزَّعْزَعِ ٱلْقَاصِفَةِ . فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ(٥) ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ . ٱلْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ(٦) ، وَٱلْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا

مطبوع على غريزة لازمته، فالشجاع لا يكون خواراً مثلا (١) جمع حنو بالكسر أى الجانب، أو ما اعوج من الشيء بدنا كان أو غيره، كناية عما خفي. أو من قولهم أحناء الامور أى مشتبهاتها وقرائنها ما يقترن بها من الأحوال المتعلقة بها والصادرة عنها (٢) ثم انشأ الخ الترتيب والتراخي فى قول الامام لا فى الصنع الالهى كما لا يخفى. والاجواء جمع جو وهو هذا الفضاء العالى بين السماء والأرض . واستفيد من كلامه أن الفضاء مخلوق وهو مذهب قوم كما استفيد منه أن الله خلق فى الفضاء ماء حمله على متن ريح فاستقل عليها حتى صارت مكاناله ثم خلق فوق ذلك الماء ريحا أخرى سلطها عليه فوجته تمويجا شديداً حتى ارتفع فخلق منه الاجرام العليا. والى هذا يذهب قوم من الفلاسفة منهم تالسين الاسكندرى يقولون ان الماء أى الجوهر السائل أصل كل الاجسام كثيفها من متكاثفه ولطيفها من شفائفه ، والارجاء الجوانب واحدها رجا كعصا (٣) السكائك جمع سكاكة بالضم وهى الهواء الملاقى عنان السماء وبابها نحو ذؤابة وذوائب (٤) التيار الموج . والمتراكم مايكون بعضه فوق بعض . والزخار الشديد الزخر أى الامتداد والارتفاع. والريح العاصفة الشديدة الهبوب كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها وكذلك الزعزع كأنها تزعزع كل ثابت . وتقصف أى تحطم كل قائم (٥) أمرها برده أى منعه من الهبوط لان الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوى والسقوط وسلطها على شده أى وثاقه كأنه سبحانه أوثقه بها أو منعه من الحركة الى السفل التى هى من لوازم طبعه. وقرنها الى حده أى جعلها مكاناله أى جعل حد الماء المذكور وهو سطحه الاسفل مماسا لسطح الريح التى تحمله أو أراد من الحد المنع أى جعل من لوازمها ذلك (٦) الفتيق

دَفِيقٌ . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحًا اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا[١] وَأَدَامَ مُرَبَّهَا . وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا . فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ[٢] ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ . فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ . تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ[٣] . حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ[٤] . فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا[٥] وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا . وَسَمْكًا مَرْفُوعًا . بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا ، وَلَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا[٦] . ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ[٧] . وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا[٨] ، وَقَمَرًا مُنِيرًا . فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ[٩] ثُمَّ فَتَقَ

المفتوق والدفيق المدفوق (١) اعتقم مهبها جعل هبوبها عقيماً. والريح العقيم التى لا تلقح سحابا ولا شجراً وكذلك كانت هـذه لانها أنشئت لتحريك الماء ليس غير . والمرب ميمى من أرب بالمكان مثل ألب به أى لازمه. فأدام مربها أى ملازمتها، أو أن أدام من أدمت الدلو ملأتها . والمرب بكسر أوله المكان والمحل (٢) تصفيقه تحريكه وتقليبه. ومخضته حركته بشدة كما يمخض السقاء بما فيه من اللبن ليستخرج زبده . والسقاء جلد السخلة يجذع فيكون وعاء للبن والماء جمعه أسقية وأسقيات وأساق. وعصفت به الخ الريح إذا عصفت بالفضاء الذى لا أجسام فيه كانت شديدة لعدم المانع وهذه الريح عصفت بهذا الماء ذلك العصف الذى يكون لها لو لم يكن مانع (٣) الساجى الساكن والمائر الذى يذهب ويجىء أو المتحرك مطلقا. وعب عبابه ارتفع علاه. وركامه أثبجه وهضبته وما تراكم منه بعضه على بعض (٤) المنفهق المفتوح الواسع (٥) المكفوف الممنوع من السيلان ، ويدعمها أى يسندها ويحفظها من السقوط (٦) الدسار واحد الدسر وهى المسامير أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوه (٧) الثواقب المنيرة المشرقة (٨) مستطيراً منتشر الضياء وهو الشمس (٩) الرقيم اسم من أسماء

مَا بَيْنَ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَا . فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ[١] مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ. لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ ٱلْعَيْنِ . وَلَا سَهْوُ ٱلْعُقُولِ . وَلَا فَتْرَةُ ٱلْأَبْدَانِ. وَلَا غَفْلَةُ ٱلنِّسْيَانِ . وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ . وَمِنْهُمُ ٱلْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَٱلسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ . وَمِنْهُمُ ٱلثَّابِتَةُ فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَٱلْمَارِقَةُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ ، وَٱلْخَارِجَةُ مِنَ ٱلْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَٱلْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ ٱلْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ . نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ[٢] .

الفلك، سمي به لأنه مرقوم بالكواكب. ومائر متحرك . ويفسر الرقيم باللوح. وشبه الفلك باللوح لانه مسطح فيما يبدو للنظر (١) جعل الملائكة أربعة أقسام : الأول أرباب العبادة ومنهم الراكع والساجد والصاف والمسبح ، وقوله صافون أى قائمون صفوفا لا يتزايلون أى لا يتفارقون . والقسم الثانى الأمناء على وحى الله لأنبيائه والالسنة الناطقة فى أفواه رسله والمختلفون بالاقضية الى العباد، بهم يقضى الله على من شاء بما شاء . والقسم الثالث حفظة العباد كأنهم قوى مودعة فى أبدان البشر ونفوسهم يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالانسان من السلامة . ومنهم سدنة الجنان جمع سادن وهو الخادم ، والخادم يحفظ ما عهد اليه وأقيم على خدمته . والقسم الرابع حملة العرش كأنهم القوة العامة التى أفاضها الله فى العالم الكلى فهى الماسكة له الحافظة لكل جزء منه مركزه وحدود مسيره فى مداره فهى المخترقة له النافذة فيه الآخذة من أعلاه الى أسفله ومن أسفله الى أعلاه . وقوله المارقة من السماء: المروق الخروج .وقوله الخارجة من الاقطار أركانهم :الاركان الاعضاء والجوارح. والتمثيل فى الكلام لا يخفى على أهل البصائر (٢) الضمير فى دونه للعرش

مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ . مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ . لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ . وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ . وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ . وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ

صِفَةُ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا[1] ، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ . وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ[2] . فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ[3] وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ . أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ[4] . لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ . وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ . ثُمَّ نَفَخَ

كالضمير في تحته . ومتلفعون من تلفعت بالثوب اذا التحفت به (١) الحزن بفتح فسكون : الغليظ الخشن والسهل مايخالفه . والسبخ ماملح من الأرض . وأشار باختلاف الاجزاء التي جبل منها الانسان الى أنه مركب من طباع مختلفة وفيه استعداد للخير والشر والحسن والقبيح (٢) سن الماء صبه والمراد صب عليها أوسنها هنا بمعنى ملسها كما قال :

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ... ـراء تمشي في مرمر مسنون

وقوله حتى خلصت أي صارت طينة خالصة . وفي بعض النسخ حتى خضلت بتقديم الضاد المعجمة على اللام أي ابتلت ولعلها أظهر . لاطها خلطها وعجنها أو هو من لاط الحوض بالطين ملطه وطينه به . والبلة بالفتح من البلل . ولزب كـكرم تداخل بعضه في بعض وصلب، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد (٣) الاحناء جمع حنو وهو بالكسر والفتح كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللحى والضلع، أو هي الجوانب مطلقا .وجبل أي خلق (٤) أصلدها جعلها صلبة ملساء متينة . وصلصلت

فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا[١] . وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا[٢] ، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا . وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ . مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ[٣] ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ . وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ . مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ . وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ[٤] وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ . فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ . فَقَالَ سُبْحَانَهُ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ[٥]

يبست حتى كانت تسمع لها صاصلة اذا هبت عليها رياح وذلك هو الصلصال . واللام فى قوله لوقت متعلقة بمحذوف كأنه قال حتى يبست وجفت مدة لوقت معلوم ، ويمكن أن تكون متعلقة بجبل أى جبل من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت معدود ينتهى بيوم القيامة (١) مثل كرم قام منتصبا. والأذهان قوى التعقل ، ويجيلها يحركها فى المعقولات (٢) يختدمها يجعلها فى مآربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم فى خدمتك وتستعملهم فى شؤونك . والأدوات جمع أداة وهى الآلة. وتقليبها تحريكها فى العمل بها فيما خلقت له (٣) معجونا صفة انسانا . والالوان المختلفة الضروب والفنون . وتلك الألوان هى التى ذكره من الحر والبرد والبلة والجود

(٤) استأدى الملائكة وديعته طلب منهم أداءها . والوديعة هى عهده اليهم بقوله انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . وروى الخنوع بالنون بدل الخشوع وهو بمعنى الخضوع . وقوله فقال اسجدوا الخ عطف على استأدى (٥) الشقوة بكسر الشين وفتحها ما حتم عليه من الشقاء. والشقاء ضد السعادة وهو النصب الدائم والألم الملازم. وتعززه بخلقة النار استكباره مقدار نفسه

وتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ وَاسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ . فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ . وَإِنْجَازًا لِلْعِدَةِ . فَقَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ . ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَارًا أَرْغَدَ فِيهَا عِيشَتَهُ ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ . فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ (١) . فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ . وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً (٢) . وَبِالِاغْتِرَارِ نَدَماً . ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ . وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ .

بسبب أنه خلق من جوهر لطيف ومادة أعلى من مادة الصلصال . والصلصال الطين الحر خلط بالرمل أو الطين ما لم يجعل خزفا . والمراد من الصلصال هنا مادة الأرض التي خلق آدم عليه السلام منها . وجوهر ما خلق منه الجن — وهم من الجواهر اللطيفة — أعلى من جوهر ما خلق منه الانسان وهو مجبول من عناصر الأرض . والنظرة بفتح فكسر الانتظار به حيا ما دام الانسان عامراً للأرض متمتعا بالوجود فيكون من الشيطان فى هذا الأمد ما يستحق به سخط الله وما تتم به بلية الشقاء عليه ويكون الله جل شأنه قد أنجز وعده فى قوله انك من المنظرين الخ (١) اغتر آدم عدوه الشيطان أى انتهز منه غرة فأغواه وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود فى دار المقام ومرافقته الابرار من الملائكة الأطهار (٢) أدخل الشيطان عليه الشك فى أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان فى نهى الله له عن تناول ما يوجب له اليقين بحظره عليه وكانت العزيمة فى الوقوف عند ما أمر الله فاستبد بها الوهن الذى أفضى الى المخالفة . والجذل بالتحريك الفرح وقد كان في راحة الامن بالاخبات الى الله وامتثال الأمر فلما سقط فى المخالفة تبدل ذلك بالوجل والخوف من حلول العقوبة وقد ذهبت عنه الغرة وانتبه الى عاقبة ما اقترف فاستشعر الندم بعد الاغترار

وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ(١)، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ(٢). وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ(٣)، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ(٤) فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ(٥). وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ(٦)، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ. فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ(٧) لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ(٨). وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ. وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ. وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ(٩)

---

(١) أهبطه من مقام كان الالهام الالهى لانسياق قواه الى مقتضى الفطرة السليمة الاولى الى مقر قد خلط له فيه الخير والشر واختط له فيه الطريقان ووكل الى نظره العقلى وابتلى بالتمييز بين النجدين واختيار أى الطريقين، وهو العناد الذى تكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين (٢) تناسل الذرية من خصائص تلك المنزلة الثانية التى أنزل الله فيها آدم وهو مما ابتلى به الانسان امتحانا لقوته على التربية واقتداره على سياسة من يعولهم والقيام بحقوقهم والزامهم بتأدية ما يحق عليهم (٣) أخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا ما أوحى اليهم ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له أو أخذ عليهم أن لا يشرعوا للناس الا ما يوحى اليهم (٤) عهد الله الى الناس هو ما سيأتى يعبر عنه بميثاق الفطرة (٥) الانداد الامثال وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى (٦) اجتالتهم بالجيم صرفتهم عن قصدهم الذى وجهوا اليه بالهداية المغروزة فى فطرهم. وأصله من الدوران كأن الذى يصرفك عن قصدك يصرفك تارة هكذا وأخرى هكذا (٧) واتر اليهم أنبياءه أرسلهم وبين كل نبى ومن بعده فترة لا بمعنى أرسلهم تباعا بعضهم يعقب بعضا (٨) كأن الله تعالى بما أودع فى الانسان من الغرائز والقوى وبما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما أوتى من ذلك فيما خلق له وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات فبعث اليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق أى ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم وما ينبغى أن تسوقهم اليه غرائزهم (٩) دفائن العقول أنوار العرفان التى

وَيُرُوهُمُ ٱلآيَاتِ ٱلْمُقَدَّرَةَ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ . وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ . وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ[١] . وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يُخْلِ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ . أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ[٢] . رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ . وَلَا كَثْرَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ . مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ[٣] . عَلَى ذٰلِكَ نُسِلَتِ ٱلْقُرُونُ[٤] . وَمَضَتِ ٱلدُّهُورُ . وَسَلَفَتِ ٱلآبَاءُ . وَخَلَفَتِ ٱلأَبْنَاءُ . إِلَى أَنْ بَعَثَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ[٥] ، وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ . مَأْخُوذًا عَلَى ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ[٦] ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ . وَأَهْلُ

تكشف للانسان أسرار الكائنات وترتفع به الى الايقان بصانع الموجودات وقد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال فيأتى النبيون لاثارة تلك المعارف الكامنة وإبراز تلك الأسرار الباطنة (١) السقف المرفوع السماء . والمهاد الموضوع الأرض . والأوصاب المتاعب (٢) المحجة الطريق القويمة الواضحة (٣) من سابق بيان للرسل، وكثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم كما ترى ذلك فى التوراة . والغابر الذى يأتى بعد أن يشير به السابق جاء معروفا بتعريف من قبله (٤) نسلت بالبناء للمجهول ولدت . و بالبناء للفاعل مضت متتابعة (٥) الضمير فى عدته لله تعالى لأن الله وعد بارسال محمد صلى الله عليه وسلم على لسان أنبيائه السابقين . وكذلك الضمير فى نبوته لأن الله تعالى أنبأ به وأنه سيبعث وحيا لأنبيائه . فهذا الخبر الغيبى قبل حصوله يسمى نبوة . ولما كان الله هو المخبر به أضيفت النبوة اليه (٦) سماته علاماته التى ذكرت فى كتب الأنبياء السابقين

ٱلْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ . وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ . وَطَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ . بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي ٱسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ(١) . فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ ٱلضَّلَالَةِ . وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ ٱلْجَهَالَةِ . ثُمَّ ٱخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ . وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ ٱلدُّنْيَا وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ ٱلْبَلْوَى . فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا . بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ . وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ(٢) : كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ(٣) وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ . وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ . وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ . وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ . وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ . وَمُحْكَمَهُ

الذين بشروا به (١) الملحد فى اسم الله الذى يميل به عن حقيقة مسماه فيعتقد فى الله صفات يجب تنزيهه عنها . والمشير الى غيره الذى يشرك معه فى التصرف إلها آخر فيعبده ويستعينه (٢) أى ان الأنبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم وقد كان من محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما كان منهم فانه خلف فى أمته كتاب الله تعالى حاويا لجميع ما يحتاجون اليه فى دينهم (٣) حلاله كالاكل من الطيبات ، وحرامه كأكل أموال الناس بالباطل، وفرائضه كالزكاة أخت الصلاة، وفضائله كنوافل الصدقات التى يعظم الأجر فيها ولا حرج فى التقصير عنها ، وناسخه ماجاء قاضيا بمحو ما كان عليه الضالون من العقائد أو إزالة السابق من الاحكام كقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى اليَّ محرما على طاعم يطعمه الآية . ومنسوخه ما كان حكاية عن تلك الاحكام كقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية. ورخصه كقوله فمن اضطر فى مخمصة. وعزائمه كقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . وخاصه كقوله يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية ، وعامه كقوله يأيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن. والعبر كالآيات التى تخبر

وَمُتَشَابِهَهُ . مُفَسِّرًا مُجْمَلَهُ وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ . بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ فِي عِلْمِهِ وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ . وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ . وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ . وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ . وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ[1] مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ . أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ . وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ[2] .

عما أصاب الأمم الماضية من النكال ونزل بهم من العذاب لما حادوا عن الحق وركبوا طرق الظلم والعدوان . والأمثال كقوله ضرب الله مثلا عبداً مملوكا الآية . وقوله كمثل الذى استوقد ناراً وأشباه ذلك كثير . والمرسل المطلق. والمحدود المقيد.والمحكم كآيات الأحكام والأخبار الصريحة فى معانيها. والمتشابه كقوله يد الله فوق أيديهم. والموسع على العباد فى جهله كالحروف المفتتحة بهاالسور نحو الٓمٓ و الٓرٓ. والمثبت فى الكتاب فرضه مع بيان السنة لنسخه كالصلاة فانها فرضت على الذين من قبلنا غير أن السنة بينت لنا الهيئة التى اختصناالله بها وكلفنا أن نؤدى الصلاة بها،فالفرض فى الكتاب. وتبيين نسخه لما كان قبله فى السنة ، والمرخص فى الكتاب تركه مالم يكن منصوصا على عينه. بل ذكر فى الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله فاقرأوا ماتيسر منه وقد عينته السنة بسورة مخصوصة فى كل ركعة فوجب الأخذ بما عينته السنة ولو بقينا عند مجمل الكتاب كان لنا أن نقرأ فى الصلاة غير الفاتحة جوازاً لامؤاخذة معه. والواجب بوقته الزائل فى مستقبله كصوم رمضان يجب فى جزء من السنة ولا يجب فى غيره .

(١) ومباين بين محارمه بالرفع لا بالجر خبر لمبتدا محذوف أى والكتاب قدخولف بين المحارم التى حظرها فمنها كبير أوعد عليه نيرانه كالزنا وقتل النفس ، ومنها صغير أرصد له غفرانه كالنظرة بشهوة ونحوها (٢) رجوع الى تقسيم الكتاب.والقبول فى أدناه الموسع فى أقصاه كما فى كفارةاليمين يقبل فيها اطعام عشرة مساكين. وموسع

(مِنْهَا ذِكْرُ فِي ٱلْحَجِّ) وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلْأَنَامِ يَرِدُونَهُ وُرُودَ ٱلْأَنْعَامِ وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ ٱلْحَمَامِ[1] جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ . وَٱخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ . وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ . وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ . وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ . ٱلْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُحْرِزُونَ ٱلْأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ . وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ . جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عَلَمًا وَٱلْعَائِذِينَ حَرَمًا . فَرَضَ حَجَّهُ وَأَوْجَبَ حَقَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ[2] فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ بَعْدَ ٱنْصِرَافِهِ مِنْ صِفِّينَ[3]

أَحْمَدُهُ ٱسْتِتْمَامًا لِنِعْمَتِهِ . وَٱسْتِسْلَامًا لِعِزَّتِهِ . وَٱسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ . وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ . وَلَا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ[4] وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ . فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ[5] وَأَفْضَلُ مَا

فى كسوتهم وعتق الرقبة (١) يألهون اليه أى يفزعون اليه أو يلوذون به ويعكفون عليه (٢) الوفادة الزيارة .

(٣) صفين كسجين محلة عدها الجغرافيون من بلاد الجزيرة (ما بين الفرات والدجلة) والمؤرخون من العرب عدوها من أرض سوريا وهى اليوم فى ولاية حلب الشهباء وهذه الولاية كانت من أعمال سوريا (٤) وأل يئل خلص (٥) الضمير فى فانه

خُزِنَ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . شَهَادَةً مُمْتَحَنًا إِخْلَاصُهَا . مُعْتَقَدًا مُصَاصُهَا(١) نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا . وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا(٢) فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ ٱلْإِيمَانِ . وَفَاتِحَةُ ٱلْإِحْسَانِ وَمَرْضَاةُ ٱلرَّحْمٰنِ . وَمَدْحَرَةُ ٱلشَّيْطَانِ(٣) وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ ٱلْمَشْهُورِ . وَٱلْعَلَمِ ٱلْمَأْثُورِ(٤) وَٱلْكِتَابِ ٱلْمَسْطُورِ . وَٱلنُّورِ ٱلسَّاطِعِ . وَٱلضِّيَاءِ ٱللَّامِعِ . وَٱلْأَمْرِ ٱلصَّادِعِ . إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ . وَٱحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ . وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ . وَتَخْوِيفًا بِالْمَثُلَاتِ(٥) وَٱلنَّاسُ فِي فِتَنٍ ٱنْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ ٱلدِّينِ(٦) وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي ٱلْيَقِينِ(٧) وَٱخْتَلَفَ ٱلنَّجْرُ(٨) وَتَشَتَّتَ ٱلْأَمْرُ . وَضَاقَ ٱلْمَخْرَجُ وَعَمِيَ ٱلْمَصْدَرُ(٩) فَالْهُدَى خَامِلٌ وَٱلْعَمَى شَامِلٌ . عُصِيَ ٱلرَّحْمٰنُ . وَنُصِرَ ٱلشَّيْطَانُ . وَخُذِلَ ٱلْإِيمَانُ

للحمد المفهوم من أحمده (١) مصاص كل شيء خالصه (٢) الاهاويل جمع أهوال جمع هول فهي جمع الجمع (٣) مدحرة الشيطان أي تبعده وتطرده (٤) العلم بالتحريك ما يهتدى به وهو هنا الشريعة الحقة. والمأثور المنقول عنه (٥) المثلات بفتح فضم العقوبات جمع مثلة بضم الثاء وسكونها بعد الميم وجمعها مثولات ومثلات وقد تسكن ثاء الجمع تخفيفا (٦) انجذم انقطع (٧) السواري جمع سارية العمود والدعامة (٨) النجر بفتح النون وسكون الجيم الأصل أي اختلفت الاصول فكل يرجع الى أصل يظنه مرجع حق وما هو من الحق في شيء (٩) مصادرهم في أوهامهم وأهوائهم مجهولة غير معلومة خفية غير ظاهرة فلا عن يقين يعتقدون ولا الى غاية صالحة ينزعون

فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ(١)، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ(٢)، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ(٣)، وَعَفَتْ شُرُكُهُ. أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ. وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ(٤) بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ. وَقَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا. وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا(٥) وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا. فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ(٦). نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ. بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ (وَمِنْهَا يَعْنِي آلَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ(٧) وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ(٨) وَمَوْئِلُ حِكَمِهِ وَكُهُوفُ

---

(١) انهارت هوت وسقطت. والدعائم جمع دعامة وهى ما يستند اليه الشىء ويقوم عليه. ودعامة السقف مثلا ما يرتفع عليه من الأعمدة (٢) التنكر التغير من حال تسر الى حال تكره أى تبدلت علاماته وآثاره بما أعقب السوء وجلب المكروه (٣) درست كاندرست أى انطمست، والشرك قال بعضهم جمع شراك ككتاب وهى الطريق والذى يفهم من القاموس أنها بفتحات جوادّ الطريق أوما لا يخفى عليك ولا يستجمع لك من الطرق، اسم جمع لا مفرد له من لفظه. وعفت بمعنى درست (٤) المناهل جمع منهل وهو مورد الشاربة من النهر (٥) الاظلاف جمع ظلف بالكسر للبقر والشاء وشبههما كالخف للبعير والقدم للانسان. السنابك جمع سنبك كقنفذ طرف الحافر (٦) خير دار هى مكة المكرمة. وشر الجيران عبدة الاوثان من قريش. وقوله نومهم سهود الخ كما تقول فلان جوده بخل وأمنه مخافة فهم فى أحداث أبدلتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع. والعالم ملجم لانه لو قال حقا والجمهور على الباطل لانتاشوه ونهشوه والجاهل مكرم لأنه على شاكلة العامة مشايع لهم فى أهوائهم فنزلته عندهم منزلة أوهامهم وعاداتهم وهى فى المقام الاعلى من نفوسهم. وهذه الأوصاف كلها لتصوير حال الناس فى الجاهلية قبل بعثة النبى ﷺ (٧) اللجأ محركة الملاذ وما تلتجىء اليه كالوزر محركة ما تعتصم به (٨) العيبة بالفتح الوعاء. والموئل المرجع أى أن حكمه وشرعه يرجع

كُتُبِهِ . وَجِبَالُ دِينِهِ . بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ[١] .

(وَمِنْهَا يَعْنِي قَوْماً آخَرِينَ) زَرَعُوا الْفُجُورَ :وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ. وَحَصَدُوا الثُّبُورَ[٢] لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا . هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ . وَعِمَادُ الْيَقِينِ . إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي . وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي[٣] وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ . وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ . الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ[٤] وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشِّقْشِقِيَّةِ[٥]

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ[٦] وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ

إليهم وهم حفاظ كتبه يحوونها كما تحوى الكهوف والغيران ما يكون فيها. والكتب القرآن، وجمعه لأنه فيما حواه كجملة ما تقدمه من الكتب ويزيد عليها ما خص الله به هذه الأمة (١) كنى بانحناء الظهر عن الضعف وباقامته عن القوة وبهم آمنه من الخوف الذى ترتعد منه الفرائص (٢) جعل ما فعلوا من القبائح كزرع زرعوه وما سكنت اليه نفوسهم من الامهال واغترارهم بذلك بمنزلة السقى فان الغرور يبعث على مداومة القبيح والزيادة فيه ثم كانت عاقبة أمرهم هذا الثبور وهو الهلاك (٣) يريد أن سيرتهم صراط الدين المستقيم فمن غلا فى دينه وتجاوز بالافراط حدود الجادّة فانما نجاته بالرجوع الى سيرة آل النبى وتفيؤ ظلال أعلامهم . وقوله وبهم يلحق التالى يقصد به أن المقصر فى عمله المتباطىء فى سيره الذى أصبح وقد سبقه السابقون إنما ينبغى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبى ويحذو حذوهم (٤) الآن ظرف متعلق برجع واذ زائدة للتوكيد، سوغ ذلك ابن هشام فى نقله عن أبى عبيدة أو أن اذ للتحقيق بمعنى قد. كما نقله بعض النحاة (٥) لقوله فيها انها شقشقة هدرت ثم قرت كما يأتى (٦) الضمير

مِنَ الرَّحَى . يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ[١] وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ . فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا[٢] وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا. وَطَفِقْتُ أَرْتَإِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[٣] أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طِخْيَةٍ عَمْيَاءَ[٤] يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ. وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ . وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ[٥] فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى[٦] فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى. وَفِي الْحَلْقِ شَجًا[٧] أَرَى تُرَاثِي نَهْبًا

يرجع الى الخلافة . وفلان كناية عن الخليفة الأول أبي بكر رضى الله عنه
(١) تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فانما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالى فيصيب منه من شاء الله وعلى ذلك قوله ولا يرقى الخ غير أن الثانية أبلغ من الأولى فى الدلالة على الرفعة (٢) فسدلت الخ كناية عن غض نظره عنها. وسدل الثوب أرخاه. وطوى عنها كشحاً مال عنها. وهو مثل لان من جاع فقد طوى كشحه ومن شبع فقد ملأه فهو قد جاع عن الخلافة أى لم يلتقمها (٣) وطفقت الخ بيان لعلة الاغضاء . والجذاء بالجيم والذال المعجمة والدال المهملة، وبالحاء المهملة مع الذال المعجمة بمعنى المقطوعة ويقولون رحم جذاء أى لم توصل وسن جذاء أى متهتمة ، والمراد هنا ليس ما يؤيدها كأنه قال تفكرت فى الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحاً (٤) طخية بطاء فخاء بعدها ياء ويثلث أولها أى ظلمة. ونسبة العمى اليها مجاز عقلى. وانما يعمى القائمون فيها اذ لا يهتدون إلى الحق وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها (٥) يكدح يسعى سعى المجهود (٦) أحجى ألزم من حجى به كرضى أولع به ولزمه ومنه هو حجى بكذا أى جدير وما أحجاه ، وأحج به أى أخلق به . وأصله من الحجا بمعنى العقل فهو أحجى أى أقرب إلى العقل. وهاتا بمعنى هذه أى رأى الصبر على هذه الحالة التى وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير (٧) الشجا ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . والتراث الميراث

حَتَّى مَضَى ٱلْاوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ[١] (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ ٱلْأَعْشَى)

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ[٢]

فَيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ[٣] إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ

---

(١) أدلى بها ألقى بها اليه .

(٢) الكور بالضم الرحل أوهو مع أداته . والضمير راجع إلى الناقة المذكورة فى الأبيات قبل فى قوله .

وقد أسلى الهم اذ يعترى بجسرة دوسرة عاقر

والجسر العظيم من الابل. والدوسرة الناقة الضخمة. وحيان كان سيداً فى بنى حنيفة مطاعا فيهم وكان ذا حظوة عند ملوك فارس وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة وكان الأعشى ينادمه. والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون ابن قيس بن جندل . وأول القصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

وجابر أخو حيان أصغر منه ، ومعنى البيت أن فرقا بعيداً بين يومه فى سفره وهو على كور ناقته و بين يوم حيان فى رفاهيته فان الأول كثير العناء شديد الشقاء والثانى وافر النعيم وافى الراحة و يتلو هذا البيت أبيات منها :

فى مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر ما يجعل الجد الظنون الذى

جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتى اذا ماطما يقذف بالبوصى والماهر

(المجدل كمنبر القصر. والجد بضم أوله البئر القليلة الماء. والظنون البئر لا يدرى أفيها ماء أم لا. واللجب المراد منه السحاب لاضطرابه وتحركه . والفراتى الفرات . وزيادة الياء للمبالغة. والبوصى ضرب من السفن معرب بوزى والماهر السابح المجيد) ووجه تمثل الامام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل (٣) رووا أن أبا بكر قال بعد البيعة أقيلونى فلست بخيركم . وأنكر الجمهور هذه الرواية عنه والمعروف عنه وليتكم ولست بخيركم .

لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا[1] فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كَلَامُهَا[2] وَيَخْشُنُ مَسُّهَا . وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا . وَالِاعْتِذَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ[3] إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ . وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ[4] وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ . فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ . حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ . جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي

---

(١) لشد ما تشطرا ضرعيها جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين ، فالفاء فى فصيرها عطف على عقدها. وتشطرا مسند الى ضمير التثنية وضرعيها تثنية ضرع وهو للحيوانات مثل الثدى للمرأة. قالوا ان للناقة فى ضرعها شطرين كل خلفين شطر ويقال شطر بناقته تشطيراً صر خلفين وترك خلفين. والشطر أيضاً ان تحلب شطراً وتترك شطراً، فتشطرا أى اخذ كل منهما شطراً ، سمى شطرى الضرع ضرعين مجازاً وهو هنا من أبلغ أنواعه حيث ان من ولى الخلافة لا ينال الأمر الا تاما ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً ، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطر والاقتسام كأن أحدهما ترك منه شيئا للآخر، واطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كل (٢) الكلام بالضم الأرض الغليظة. وفى نسخه كلمها وانما هو بمعنى الجرح ، كأنه يقول خشونتها تجرح جرحا غليظا (٣) الصعبة من الابل ما ليست بذلول. واشنق البعير وشنقه كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه (العظم الناتئ خلف الاذن) بقادمة الرحل أو رفع رأسه وهو راكبه واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس أرخى. وتقحم رمى بنفسه فى القحمة أى الهلكة . وسيأتى معنى هذه العبارة فى الكتاب. وراكب الصعبة اما أن يشنقها فيخرم أنفها واما أن يسلس لها فترمى به فى مهواة تكون فيها هلكته (٤) منى الناس ابتلوا وأصيبوا . والشماس بالكسر اباء ظهر الفرس عن الركوب والنفار . والخبط السير على غير جادة . والتلون التبدل والاعتراض السير على غير خط مستقيم ، كأنه يسير عرضا فى حال سيره طولا. يقال بعير

أَحَدُهُمْ فَيَالِلّهِ وَلِلشُّورَى(١) مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى

عرضى يعترض فى سيره لأنه لم يتم رياضته ، وفى فلان عرضية أى عجرفة وصعوبة

(١) اجمال القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما دنا أجله وقرب مسيره الى ربه استشار فيمن يوليه الخلافة من بعده فأشير عليه بابنه عبدالله فقال لا يليها (أى الخلافة) اثنان من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل ، ثم رأى أن يكل الأمر إلى ستة قال ان النبي ﷺ مات وهو راض عنهم ، واليهم بعد التشاور أن يعينوا واحداً منهم يقوم بأمر المسلمين، والستة رجال الشورى هم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم ، وكان سعد من بنى عم عبدالرحمن كلاهما من بنى زهرة وكان فى نفسه شىء من على كرم الله وجهه من قبل أخواله لان أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعلى فى قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور . وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط كانت أختا لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر وقد يكفى فى ميله الى عثمان انحرافه عن على لأنه تيمى وقد كان بين بنى هاشم و بنى تيم مواجد لمكان الخلافة فى أبى بكر ، و بعد موت عمر بن الخطاب رضى الله عنه اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا وانضم طلحة فى الرأى الى عثمان والزبير الى على وسعد الى عبد الرحمن وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام وأن لا يأتى الرابع الا ولهم أمير ، وقال اذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذى فيه عبد الرحمن فأقبل عبد الرحمن على علىّ وقال عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده فقال علىّ أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمى وطاقتى ، ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك فأجابه بنعم، فرفع عبدالرحمن رأسه الى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال اللهم اسمع واشهد اللهم انى جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان وصفق بيده فى يد عثمان وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين و بايعه. قالوا وخرج الامام على واجداً، فقال المقداد بن الاسود لعبد الرحمن والله لقد تركت عليا وانه من الذين يقضون بالحق و به يعدلون، فقال يا مقداد لقد

صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هٰذِهِ ٱلنَّظَائِرِ[١] لَـكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا[٢] وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا . فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ[٣] وَمَالَ ٱلْآخَرُ لِصِهْرِهِ[٤] مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[٥] إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ ٱلْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنَيْهِ[٦] بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ . وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ ٱللهِ خَضْمَةَ ٱلْإِبِلِ نِبْتَةَ ٱلرَّبِيعِ[٧] إِلَى أَنِ ٱنْتَكَثَ فَتْلُهُ . وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ[٨] وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ[٩] فَمَارَاعَنِي

تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد والله انى لا عجب من قريش انهم تركوا رجلا ما أقول ولا أعلم أن رجلا أقضى بالحق ولا أعلم به منه، فقال عبد الرحمن يا مقداد انى أخشى عليك الفتنة فاتق الله . ثم لما حدث فى عهد عثمان ماحدث من قيام الأحداث من أقار به على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روى أنه قيل لعبد الرحمن هذا عمل يديك، فقال ما كنت أظن هذا به ولكن لله على أن لا أكلمه أبداً، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل ان عثمان دخل عليه فى مرضه يعوده فتحول الى الحائط لا يكلمه . والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء (١) المشابه بعضهم بعضا دونه (٢) أسف الطائر دنا من الأرض يريد أنه لم يخالفهم فى شىء (٣) صغى صغًى وصغا صغوا مال ، والضغن الضغينة يشير الى سعد (٤) يشير الى عبد الرحمن (٥) يشير الى أغراض أخر يكره ذكرها (٦) يشير الى عثمان وكان ثالثا بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد الى صاحبه كما تراه فى خبر القضية. ونافجا حضنيه رافعا لهما، والحضن ما بين الابط والكشح. يقال للمتكبر جاء نافجا حضنيه. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاما ، والنثيل الروث ، والمعتلف من مادة علف موضع العلف وهو معروف أى لا هم له الا ما ذكر (٧) الخضم على ما فى القاموس الاكل أو بأقصى الاضراس أو ملء الفم بالمأكول أو خاص بالشىء الرطب .والقضم الاكل بأطراف الاسنان أخف من الخضم، والنبتة بكسر النون كالنبات فى معناه (٨) انتكث فتله انتقض. وأجهز عليه عمله تمم قتله . تقول أجهزت على الجريح وذففت عليه (٩) البطنة بالكسر البطر والاشر

إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ[1] يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ . وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ[2] فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ[3] كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللهِ حَيْثُ يَقُولُ . (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بَلَى وَاللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا . وَلَكِنَّهُمْ حَلِيَتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ[4] وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا . أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ . وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[5] لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ[6] وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ . وَمَا أَخَذَ اللهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ[7]

والكظة (أى التخمة) والاسراف فى الشبع . وكبت به من كبا الجواد اذا سقط لوجهه (١) عرف الضبع ما كثر على عنقها من الشعر وهو ثخين يضرب به المثل فى الكثرة والازدحام ، وينثالون يتتابعون مزدحمين . والحسنان ولداه الحسن والحسين ، وشق عطفاه خدش جانباه من الاصطكاك . وفى رواية شق عطافى والعطاف الرداء وكان هذا الازدحام لاجل البيعة على الخلافة (٢) ربيضة الغنم الطائفة الرابضة من الغنم يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه (٣) الناكثة أصحاب الجمل، والمارقة أصحاب النهروان والقاسطون أى الجائرون أصحاب صفين (٤) حليت الدنيا من حليت المرأة اذا تزينت بحليها ، والزبرج الزينة من وشى أو جوهر (٥) النسمة محركة الروح، وبرأها خلقها (٦) من حضر لبيعته ولزوم البيعة لذمة الامام بحضوره (٧) والناصر الجيش الذى يستعين به على الزام الخارجين بالدخول فى البيعة الصحيحة . والكظة مايعترى الآكل من امتلاء البطن بالطعام والمراد استئثار الظالم بالحقوق ، والسغب شدة الجوع

لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا[1] وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا . وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ[2] (قَالُوا) وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّوَادِ[3] عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَابًا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ . قَالَ لَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا . يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَوِ ٱطَّرَدْتَ خُطْبَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ . فَقَالَ هَيْهَاتَ يَا ٱبْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ[4] هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ . قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ فَوَٱللّٰهِ مَا أَسِفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسَفِي عَلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ أَنْ لَا يَكُونَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ (قَوْلُهُ كَرَاكِبِ ٱلصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ) يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا شَدَّدَ عَلَيْهَا فِي جَذْبِ ٱلزِّمَامِ وَهِيَ تُنَازِعُهُ رَأْسَهَا خَرَمَ أَنْفَهَا وَإِنْ أَرْخَى لَهَا شَيْئًا مَعَ صُعُوبَتِهَا تَقَحَّمَتْ بِهِ فَلَمْ يَمْلِكْهَا . يُقَالُ أَشْنَقَ ٱلنَّاقَةَ إِذَا جَذَبَ رَأْسَهَا

---

(١) الغارب الكاهل والكلام تمثيل للترك وارسال الأمر والمراد منه هضم حقوقه (٢) عفطة العنز ما تنثره من أنفها كالعطفة ، عفطت تعفط من باب ضرب ، غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة ، والاشهر في العنز النفطة بالنون ، يقال ما له عافط ولا نافط أي نعجة ولا عنز ، كما يقال ما له ثاغية ولا راغية ، والعفطة الحبقة أيضا لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم (٣) السواد العراق وسمي سواداً لخضرته بالزرع والاشجار . والعرب تسمي الاخضر أسود قال الله تعالى «مدهامتان» يريد الخضرة كما هو ظاهر (٤) الشقشقة بكسر فسكون فكسر شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج ، وصوت البعير بها عند اخراجها هدير ، ونسبة الهدير اليها نسبة الى الآلة ، قال

بِالزِّمَامِ فَرَفَعَهُ وَشَنَقَهَا أَيْضاً، ذَكَرَ ذٰلِكَ ابْنُ السِّكِّيتِ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ . وَإِنَّمَا قَالَ أَشْنَقَ لَهَا وَلَمْ يَقُلْ أَشْنَقَهَا لِأَنَّهُ جَعَلَهُ فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ أَسْلَسَ لَهَا فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ إِنْ رَفَعَ لَهَا رَأْسَهَا بِمَعْنَى أَمْسَكَهُ عَلَيْهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ. وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ[1] وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ . وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ[2] وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ[3] . رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ[4] مَازِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ

في القاموس : والخطبة الشقشقة العلوية وهي هذه (١) تسنمتم العليا ركبتم سنامها وارتقيتم الى أعلاها ، والسرار كسحاب وكتاب آخر ليلة من الشهر يختفي فيها القمر . وانفجرتم دخلتم في الفجر . والمراد كنتم في ظلام حالك وهو ظلام الشرك والضلال فصرتم الى ضياء ساطع بهدايتنا وارشادنا والضمير لمحمد صلى الله عليه وآله والامام ابن عمه ونصيره في دعوته . ويروى أفجرتم بدل انفجرتم وهو أفصح وأوضح لأن الفعل لا يأتي لغير المطاوعة الا نادرا . أما أفعل فيأتي لصيرورة الشيء الى حال لم يكن عليها كقولهم أجرب الرجل اذا صارت ابله جربى وأمثاله كثير (٢) الواعية الصاخة،والصارخة والصراخ نفسه. والمراد هنا العبر والمواعظ الشديدة الأثر . ووقرت اذنه فهي موقورة ووقرت كسمعت صمت . دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر والعبر (٣) الصيحة هنا الصوت الشديد ، والنبأة أراد منها الصوت الخفي، أي من أصمته الصيحة فلم يسمعها كيف يمكن أن يسمع النبأة فيراعيها . و يشير بالصيحة الى زواجر كتاب الله ومقال رسوله، و بالنبأة الى ما يكون منه رضي الله عنه وقد رأينا هذا أقرب مما أشرنا اليه في الطبعة السابقة (٤) ربط جأشه رباطة اشتد قلبه، ومثله رباطة

ٱلْغَدْرِ . وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ ٱلْمُغْتَرِّينَ[١] سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ ٱلدِّينِ[٢] وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ ٱلنِّيَّةِ . أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ ٱلْحَقِّ فِي جَوَادِّ ٱلْمَضَلَّةِ[٣] ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ . وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ[٤]. اَلْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ ٱلْعَجْمَاءَ ذَاتَ ٱلْبَيَانِ[٥] غَرَبَ رَأْيُ ٱمْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي[٦] مَا شَكَكْتُ فِي ٱلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ . لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ[٧] أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ ٱلْجُهَّالِ وَدِوَلَ ٱلضَّلَالِ . اَلْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ

الجنان أي القلب وهو دعاء للقلب الذى لازمه الخفقان والاضطراب خوفا من الله بأن يثبت ويستمسك (١) ينتظر بهم الغدر يترقب غدرهم ثم كان يتفرس فيهم الغرور والغفلة وأنهم لا يميزون بين الحق والباطل وهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه الى من ليس له من الحق على مثل حاله . والحليـة هنا الصفة (٢) جلباب الدين ما لبسوه من رسومه الظاهرة ، أى أن الذى عصمكم منى هو ما ظهرتم به من الدين وان كان صدق نيتي قد بصرنى ببواطن أحوالكم وما تكنه صدوركم . وصاحب القلب الطاهر تنفذ فراسته الى سرائر النفوس فتستخرجها (٣) المضلة بكسر الضاد وفتحها الأرض يضل سالكها ، وللضلال طرق كثيرة لأن كل ما جار عن الحق فهو باطل ، وللحق طريق واحد مستقيم وهو الوسط بين طرق الضلال ، لهذا قال أقمت لكم على سنن الحق وهو طريقه الواضح فيما بين جواد المضلة وطرقها المتشعبة حيث يلاقى بعضكم بعضا وكلكم تائهون فلا فائدة فى التقائكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم علمه بالدليل (٤) تميهون تجدون ماء من أماهوا أركيتهم أنبطوا ماءها أو تستقون من أماهوا دوابهم سقوها (٥) أراد من العجماء رموزه واشاراته فانها وان كانت غامضة على من لا بصيرة لهم لكنها جلية ظاهرة (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) لهذا سماها ذات البيان مع أنها عجماء (٦) غرب غاب ، أى لا رأى لمن تخلف عنى ولم يطعنى (٧) يتأسى

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَاطَبَهُ ٱلْعَبَّاسُ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فِي أَنْ يُبَايِعَا لَهُ بِٱلْخِلَافَةِ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ ٱلْفِتَنِ بِسُفُنِ ٱلنَّجَاةِ . وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ ٱلْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا عَنْ تِيجَانِ ٱلْمُفَاخَرَةِ(١) . أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ . أَوِ ٱسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ(٢) هٰذَا مَاءٌ آجِنٌ(٣) . وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا . وَمُجْتَنِي ٱلثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَٱلزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ(٤) فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى ٱلْمُلْكِ . وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ ٱلْمَوْتِ(٥) هَيْهَاتَ بَعْدَ

بموسى عليه السلام اذ رموه بالخيفة ويفرق بين الواقع وبين ما يزعمون فانه لا يخاف على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل كما كان من نبي الله موسى ، وهو أحسن تفسير لقوله تعالى (فأوجس في نفسه خيفة موسى) وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك في أمره (١) قلب قصد به المبالغة . والقصد ضعوا تيجان المفاخرة عن رؤوسكم وكأنه يقول طأطئوا رؤوسكم تواضعا ولا ترفعوها بالمفاخرة الى حيث تصيبها تيجانها، ويروى وضعوا تيجان المفاخرة بدون لفظ عن وهو ظاهر . وعرج عن الطريق مال عنه وتنكبه (٢) المفلح أحد رجلين اما ناهض للامر بجناح أي بناصر ومعين يصل بمعونته الى ما نهض اليه ، واما مستسلم يريح الناس من المنازعة بلا طائل وذلك عند عدم الناصر ، وهذا ينحو نحو قول عنترة لما قيل له انك أشجع العرب فقال لست بأشجعهم ولكني أقدم اذا كان الاقدام عزما وأحجم اذا كان الاحجام حزما (٣) الآجن المتغير الطعم واللون لا يستساغ،والاشارة الى الخلافة،أي ان الامرة على الناس والولاية على شئونهم مما لا يهنأ لصاحبه بل ذلك أمر يشبه تناوله تناول الماء الآجن ولا تحمد عواقبه كاللقمة يغص بها آكلها فيموت بها (٤) يشير الى أن ذلك لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الأمر فلو نهض اليه كان كمجتني الثمرة قبل ايناعها ونضجها وهو لا ينتفع بما جنى ، كما أن الزارع في غير أرضه لا ينتفع بما زرع (٥) ان

اُللَّتيَا وَالَّتِي(١) وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ . بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ(٢) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ لَمَّا أُشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَتْبَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَلَا يَرْصُدَ لَهُمَا الْقِتَالَ (٣)

وَاللهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ(٤) .. حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا . وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ . وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَدًا . حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي

تكلم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف حقيقة قصده بالحرص على السلطان وان سكت وهم يعلمونه أهلا للخلافة يرمونه بالجزع من الموت فى طلب حقه (١) أى بعد ظن من يرميني بالجزع بعد ما ركبت الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها وكبيرها . قيل ان رجلا تزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقى بعشرتها ثم طلقها وتزوج أخرى طويلة فكان شقاؤه بها أشد فطلقها وقال لا أتزوج بعد اللتيا والتى يشير بالاولى الى الصغيرة وبالثانية الى الكبيرة فصارت مثلا فى الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها . وقوله هيهات الخ نفى لما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته (٢) أدمجه لفه فى ثوب فاندمج، أى انطويت على علم والتففت عليه . والأرشية جمع رشاء بمعنى الحبل، والطوى جمع طوية وهى البئر ، والبعيدة بمعنى العميقة ، أو هى بفتح الطاء كعلىّ ، بمعنى السقاء ويكون البعيدة نعتا سببيا أى البعيدة مقرها من البئر أو نسبة البعد اليها فى العبارة مجاز عقلى (٣) يرصد يترقب أو هو رباعى من الارصاد بمعنى الاعداد ، أى ولا يعد لهما القتال (٤) اللدم الضرب بشىء ثقيل يسمع صوته . قال أبو عبيد يأتى صائد الضبع فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضربا غير شديد وذلك هو اللدم ثم يقول خامرى أم عامر بصوت ضعيف يكررها مراراً فتنام الضبع على ذلك فيجعل فى عرقوبها حبلا ويجرها فيخرجها ، وخامرى أى استترى فى جحرك ويقال خامر

فَوَاللهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكًا(١) ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكًا . فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ(٢) . وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ(٣) . فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ . فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ(٤) فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ .

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْنِي بِهِ الزُّبَيْرَ فِي حَالٍ اقْتَضَتْ ذٰلِكَ)

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ . فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ(٥) فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ . وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا ، وَمَعَ هٰذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ . وَلَسْنَا نُرْعِدُ

---

(١) ملاك الشيء بالفتح ويكسر قوامه الذي يملك به . والأشراك جمع شريك كشريف وأشراف فجعلهم شركاءه أو جمع شرك وهو ما يصاد به فكأنهم آلة الشيطان في الاضلال (٢) باض وفرخ كناية عن توطنه صدورهم وطول مكثه فيها، لأن الطائر لا يبيض الا في عشه. وفراخ الشيطان وساوسه (٣) دب ودرج الخ أي أنه تربى في حجورهم كما يربى الأطفال في حجور والديهم حتى بلغ فتوته وملك قوته (٤) الخطل أقبح الخطأ. والزلل الغلط والخطأ (٥) الوليجة الدخيلة وما يضمر في الرجل منزله اذا لزمه

حَتَّى نُوقِعَ(١) . وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ . وَٱسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجْلَهُ . وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ . وَأَيْمُ ٱللّٰهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ(٢) لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ(٣)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْحَنَفِيَّةِ لَمَّا أَعْطَاهُ ٱلرَّايَةَ يَوْمَ ٱلْجَمَلِ

تَزُولُ ٱلْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ . عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ(٤) . أَعِرِ ٱللّٰهَ جُمْجُمَتَكَ . تِدْ فِي ٱلْأَرْضِ قَدَمَكَ(٥) . ٱرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى ٱلْقَوْمِ . وَغُضَّ بَصَرَكَ(٦) وَٱعْلَمْ

القلب ويكتم، والبطانة (١) اذا أوقعنا بعدو أوعدنا آخر بأن يصيبه ما أصاب سابقه، واذا أمطرنا أسلنا، أما أولئك الذين يقولون نفعل ونفعل وما هم بفاعلين فهم بمنزلة من يسيل قبل المطر وهو محال غير موجود فهم كالاعدام فيما به يوعدون (٢) أفرطه ملأه حتى فاض . والماتح من متح الماء نزعه أى أنا نازع مائه من البئر فمالىء به الحوض وهو حوض البلاء والفناء ، أو أنا الذى أسقيهم منه (٣) أى أنهم سيردون الحرب فيموتون عندها ولايصدرون عنها ومن نجا منهم فلن يعود اليها (٤) النواجذ أقصى الأضراس أو كلها أو الأنياب والناجذ واحدها. قيل اذا عض الرجل على أسنانه اشتدت أعصاب رأسه وعظامه ولهذا يوصى به عند الشدة ليقوى، والصحيح أن ذلك كناية عن الحمية فان من عادة الانسان اذا حمى واشتد غيظه على عدوه عض على أسنانه. وأعر أمر من أعار ، أى ابذل جمجمتك لله تعالى كما يبذل المعير ماله للمستعير (٥) أى ثبتها من وتد يتد (٦) ارم ببصرك الخ أى أحط بجميع حركاتهم وغض

أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا أَظْفَرَهُ اللهُ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ. فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟(١) فَقَالَ نَعَمْ، قَالَ فَقَدْ شَهِدَنَا. وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ(٢) وَيَقْوَى بِهِمُ الْإِيمَانُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْبَصْرَةِ

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ. وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ(٣). رَغَا فَأَجَبْتُمْ. وَعَقَرَ

النظر عما يخيفك منهم أى لا يهولنك منهم هائل (١) هوى أخيك أى ميله ومحبته (٢) يرعف بهم أى سيجود بهم الزمان كما يجود الأنف بالرعاف يأتى بهم على غير انتظار (٣) يريد الجمل، ومجمل القصة أن طلحة والزبير بعدما بايعا أمير المؤمنين فارقاه فى المدينة وأتيا مكة مغاضبين، فالتقيا بعائشة زوج النبى ﷺ فسألتهما الأخبار فقالا انا تحملنا هربا من غوغاء العرب بالمدينة وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم، فقالت ننهض الى هذه الغوغاء أو نأتى الشام. فقال أحد الحاضرين لا حاجة لكم فى الشام قد كفاكم أمرها معاوية فلنأت البصرة فان لاهلها هوى مع طلحة، فعزموا على المسير وجهزهم يعلى بن منبه وكان والياً لعثمان على اليمن وعزله على كرم الله وجهه وأعطى للسيدة عائشة جملاً اسمه عسكر ونادى مناديها فى الناس بطلب ثأر عثمان فاجتمع نحو ثلاثة آلاف فسارت فيهم الى البصرة وبلغ

فَهَرَبْتُمْ . أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ[١] وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ[٢] . وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ . كَأَنِّى بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ[٣] قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا . (وَفِي رِوَايَةٍ) وَايْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ . أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ[٤] . (وَفِي رِوَايَةٍ) كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ . (وَفِي رِوَايَةٍ) أُخْرَى بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ اللهِ تُرْبَةً . أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ . وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ . الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللهِ . كَأَنِّى أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ

الخبر عليا فأوسع لهم النصيحة وحذرهم الفتنة فلم ينجح النصح . فتجهز لهم وأدركهم بالبصرة و بعد محاولات كثيرة منه يبغى بها حقن الدماء انتشبت الحرب بين الفريقين واشتد القتال ، وكان الجمل يعسوب البصريين قتل دونه خلق كثير من الفئتين وأخذ خطامه سبعون قرشيا ما نجا منهم أحد وانتهت الموقعة بنصر على كرم الله وجهه بعد عقر الجمل. وفيها قتل طلحة والزبير وقتل سبعة عشر ألفا من أصحاب الجمل وكانوا ثلاثين ألفا . وقتل من أصحاب على الف وسبعون (١) دقة الأخلاق دناءتها (٢) مالح (٣) الجؤجؤ الصدر (٤) من جثم اذا وقع على صدره أو تلبد بالأرض. وقد وقع ما أوعد به أمير المؤمنين فقد غرقت البصرة جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف بجزيرة الفرس ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ولم يبق ظاهراً

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مِثْلِ ذٰلِكَ

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ . بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ . خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ . فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ[١]، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا رَدَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَطَائِعِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [٢]

وَاللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ الْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ[٣] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا بُويِعَ بِالْمَدِينَةِ

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ[٤] . وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبَرُ

منها الا مسجدها الجامع ، ومعنى قوله أبعدها من السماء أنهـا فى أرض منخفضة والمنخفض أبعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع (١) الغرض ما ينصب ليرمى بالسهام. والنابل الضـارب بالنبل (٢) قطائع عثمان ما منحه للناس من الاراضى (٣) أى أن من عجز عن تدبير أمره بالعدل فهو عن التدبير بالجور أشد عجزاً، فان الجور مظنة أن يقاوم و يصد عنه ، وهذه الخطبة رواها الـكلبى مرفوعة الى أبى صـالح عن ابن عباس ان عليا خطب ثانى يوم من بيعته فى المدينة فقال: الا ان كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود فى بيت المال، فان الحق القديم لا يبطله شىء، ولو وجدته قد تزوج الخ (٤) الذمة العهد تقول هذا الحق في

عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ[1] حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ. أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[2] وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً. وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً. وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ[3] حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ. وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَرُوا. وَلَيَقْصُرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا[4].

ذمتي كما تقول فى عنقي وذلك كناية عن الضمان والالتزام . والزعيم الكفيل. يريد أنه ضامن لصدق ما يقول كفيلي بأنه الحق الذى لا يدافع (١) العبر بكسر ففتح جمع عبرة بمعنى الموعظة ، والمثلات العقوبات، أى من كشف له النظر فى أحوال من سبق بين يديه وحقق له الاعتبار والاتعاظ أن العقوبات التى نزلت بالأمم والأجيال والأفراد من ضعف وذل وفاقة وسوء حال انما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان وما لبسوا من جهل وفساد أحوال ملكته التقوى وهى التحفظ من الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لأهلها فنعته عن تقحم الشبهات والتردى فيها ،فان الشبهة مظنة الخطيئة والخطيئة مجلبة العقوبة (٢) ان بلية العرب التى كانت محيطة بهم يوم بعث الله نبيه محمداً ﷺ هى بلية الفرقة ومحنة الشتات حيث كانوا متباغضين متنافرين يدعو كل الى عصبيته وينادى نداء عشيرته يضرب بعضهم رقاب بعض ، فتلك الحالة التى هى مهلكة الأمم قد صاروا اليها بعد مقتل عثمان، بعثت العداوات التى كان قد قتلها الدين ، ونفخت روح الشحناء بين الأمويين والهاشميين واتباع كل ولا حول ولا قوة الا بالله (٣) لتبلبلن أى لتخلطن. من نحو تبلبلت الألسن اختلطت، ولتغربلن أى لتقطعن من غربلت اللحم أى قطعته ولتساطن من السوط وهو أن تجعل شيئين فى الاناء وتضربهما بيدك حتى يختلطا . وقوله سوط القدر أى كما تختلط الابزار ونحوها فى القدر عند غليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها، وكل ذلك حكاية عما يؤولون اليه من الاختلاف وتقطع الارحام وفساد النظام (٤) ولقد سبق معاوية الى مقام الخلافة وقد كان فى قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله اليه ، وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه

وَاللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[١] وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً. وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهَٰذَا الْمَقَامِ وَهَٰذَا الْيَوْمِ. أَلَا وَإِنَّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي النَّارِ[٢]. أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ. حَقٌّ وَبَاطِلٌ. وَلِكُلٍّ أَهْلٌ[٣] فَلَئِنْ أَمِرَ الْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ. وَلَئِنْ قَلَّ الْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ. وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ[٤]. أَقُولُ إِنَّ فِي هَٰذَا الْكَلَامِ الْأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ

وقد كانوا أسبق الناس اليه (١) الوشمة الكلمة وقد كان رضى الله عنه لا يكتم شيئا يحوك بنفسه ، كان أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر لا يحابى ولا يدارى ولا يكذب ولا يداجى ، وهذا القسم توطئة لقوله ولقدنبئت بهذا المقام أى انه قد أخبر من قبل على لسان النبي ﷺ بأن سيقوم هذا المقام ويأتى عليه يوم مثل هذا اليوم (٢) الشمس بضمتين وضم فسكون جمع شموس وهى من شمس كنصر أى منع ظهره أن يركب، وفاعل الخطيئة انما يقترفها لغاية زينت له يطلب الوصول اليها فهو شبيه براكب فرس يجريه الى غايته ، لكن الخطايا ليست الى الغايات بمطايا فانها اعتساف عن السبيل واختباط فى السير، لهذا شبهها بالخيل الشمس التى قد خلعت لجمها لأن من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه الى حيث ترديه وتتقحم به فى النار. وتشبيه التقوى بالمطايا الذلل ظاهر فان التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة فصاحبها على الجادّة لا يزال عليها حتى يوافى الغاية والذلل جمع ذلول وهى المروضة الطائعة السلسة القياد (٣) أى ان ما يمكن أن يكون عليه الانسان ينحصر فى أمرين الحق والباطل ولا يخلو العالم منهما، ولكل من الأمرين أهل ، فللحق أقوام وللباطل أقوام. ولئن أمر الباطل أى كثر بكثرة أعوانه فلقد كان منه قديما لأن البصائر الزائغة عن الحقيقة أكثر من الثابتة عليها. ولئن كان الحق قليلا بقلة أنصاره فلربما غلبت قلته كثرة الباطل ولعله يقهر الباطل ويمحقه (٤) هذه الكلمة صادرة

ٱلْإِحْسَانِ مَالَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ ٱلِاسْتِحْسَانِ. وَإِنَّ حَظَّ ٱلْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ ٱلْعَجَبِ بِهِ وَفِيهِ مَعَ ٱلْحَالِ ٱلَّتِي وَصَفْنَا زَوَائِدُ مِنَ ٱلْفَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ. وَلَا يَطَّلِعُ فَجَّهَا إِنْسَانٌ[1]. وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ بِحَقٍّ. وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ[2]. (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ).

وَمِنْ هٰذِهِ ٱلْخُطْبَةِ

شُغِلَ مَنِ ٱلْجَنَّةُ وَٱلنَّارُ أَمَامَهُ[3] سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا[4] وَطَالِبٌ بَطِيءٌ

من ضجر بنفسه يستبعد بها أن تعود دولة لقوم بعد ما زالت عنهم ومن هذا المعنى قول الشاعر.

وقالوا يعود الماء فى النهر بعدما ذوى نبت جنبيه وجف المشارع
فقلت الى أن يرجع النهر جاريا ويوشب جنباه يموت الضفادع

(١) لا يطلع من قولهم اطلع الأرض أى بلغها ، والفج الطريق الواسع بين جبلين فى قبل من أحدهما (٢) العرق الأصل أى سلك فى العمل بصناعة الفصاحة والصدور عن ملكتها على أصولها وقواعدها (٣) شغل مبنى للمجهول نائب فاعله من والجنة والنار مبتدا خبره أمامه. والجملة صلة من أى كفى شاغلا أن تكون الجنة والنار أمامك. ومن كانت أمامه الجنة والنار على ماوصف الله سبحانه حرى به أن تنفد أوقاته جميعها فى الاعداد للجنة والابتعاد عما عساه يؤدى الى النار (٤) يقسم الناس الى ثلاثة أقسام الأول الساعى الى ما عند الله السريع فى سعيه وهو الواقف عند حدود الشريعة لا يشغله فرضها عن نفلها ولا شاقها عن سهلها والثانى الطالب البطيء له قلب تعمره الخشية وله صلة الى الطاعة لكن ربما قعد به عن السابقين ميل الى الراحة فيكتفى من العمل بفرضه وربما انتظر به غير وقته وينال من الرخص حظه وربما

رَجَا وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى. الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ . وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ(١) . عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ . وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ . هَلَكَ مَنِ ادَّعَى وَخَابَ مَنِ افْتَرَى. مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ(٢) وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ. لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ(٣) . وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ : فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ . وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ . وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَا يَحْمَدُ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ

كانت له هفوات ولشهوته نزوات على أنه رجاع إلى ربه كثير الندم على ذنبه فذلك الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يرجو أن يغفر له والقسم الثالث المقصر وهو الذى حفظ الرسم ولبس الاسم وقال بلسانه انه مؤمن وربما شارك الناس فيما يأتون من أعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شابههما وظن أن ذلك كل مايطلب منه ثم لاتورده شهوته منهلا الاعب منه ولا يميل به هواه الى أمر الا انتهى اليه فذلك عبد الهوى وجدير به أن يكون فى النارهوى (١) اليمين والشمال مثال للزائغ عن جادة الشريعة. والطريق الوسطى مثال للشريعة القويمة . ثم أخذ يبين أن الجادة والطريق الوسطى وهى سبيل النجاة جاء الكتاب هاديا اليها والسنة لا تنفذ الا منها فمن خالف الكتاب ونبذ السنة ثم ادعى أنه على الجادة فقد كذب ولهذا يقول خاب من ادعى أى من ادعى دعوة وكذب فيها ولم يكن عنده مما يدعيه الا مجرد الدعوى فقد هلك لأنه مائل عن الجادة (٢) الرواية الصحيحة هكذا من أبدى صفحته للحق هلك أى من كاشف الحق مخاصما له مصارحا له بالعداوة هلك ويروى من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وعلى هذه الرواية يكون المعنى من ظاهر الحق ونصره غلبته الجهلة بكثرتهم وهم أعوان الباطل فهلك (٣) السنخ المثبت يقال ثبتت السن فى سنخها أى منبتها ، والأصل لكل شىء قاعدته وما قام عليه بقيته فأصل الجبل مثل أسفله الذى يقوم عليه

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ مَنْ يَتَصَدَّى لِلْحُكْمِ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَلَيْسَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ

إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ[١] فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ . وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ . فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ . ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ . مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ . حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ . رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ[٢] وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً[٣] .

أعلاه ، وأصل النبات جذره الذاهب فى منبته ، وهلاك السنخ فساده حتى لا يثبت فيه أصول ما اتصل به ولا ينمو غرس غرس فيه ، وكل عمل ذهبت أصوله فى أسناخ التقوى كان جديراً بأن تثبت أصوله وتنمو فروعه ويزكو بزكاء منبته ومغرس أصله وهو التقوى وكما أن التقوى سنخ لأصول الأعمال كذلك منها تستمد الأعمال غذاءها وتستقى ماءها من الاخلاص وجدير بزرع يسقى بماء التقوى أن لا يظمأ وعليها فى الموضعين فى معنى معها ، وقد يقال فى قوله سنخ أصل أنه هو على نحو قول القائل اذا خاص عينيه كرى النوم ، والكرى هو النوم ، والسنخ هو الأصل ، والأليق بكلام الامام ما قدمناه (١) وكله الله الى نفسه تركه ونفسه وهو كناية عن ذهابه خلف هواه فيما يعتقد لا يرجع الى حقيقة من الدين ولا يهتدى بدليل من الكتاب ، فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته، والمشغوف بشيء المولع به وكلام البدعة ما اخترعته الاهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين (٢) هذا الضال المولع بتنميق الكلام لتزيين البدعة الداعى الى الضلالة قد غرر بنفسه وأوردها هلكتها فهو رهن بخطيئته لا مخرج له منها وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم بدعائه كما قال تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (٣) قمش جهلا جمعه والجهل

مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ(١) عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ . عَمٍ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ(٢) قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ . بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ(٣) حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ . وَاكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ(٤) . جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً . ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى

هنا بمعنى المجهول وكما يسمى المعلوم علما بل قال قوم ان العلم هو صورة الشيء في العقل وهو المعلوم حقيقة كذلك يسمى المجهول جهلا بل الصورة التي اعتبرت مثالا لشيء وليست بمنطبقة عليه هي الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق فالجهل المجموع هو المسائل والقضايا التي يظنها جامعها تحكي واقعا ولا واقع لها (١) موضع في جهال الأمة مسرع فيهم بالغش والتغرير وضع البعير أسرع وأوضعه راكبه فهو موضع به أي مسرع به ، وقوله عاد في أغباش الفتنة الاغباش الظلمات واحدها غبش بالتحريك واغباش الليل بقايا ظلمته. وعاد بمعنى مسرع في مشيته أي أنه ينتهز افتتان الناس بجهلهم وعماهم في فتنتهم فيعدو الى غايته من التصدر فيهم والسيادة عليهم بما جمع مما يظنه الجهلة علما وليس به . ويروى غار في أغباش الفتنة من غره يغره اذا غشه وهو ظاهر (٢) عم وصف من العمى أي جاهل بما أودعه الله في السكون والاطمئنان من المصالح ، وقد يراد بالهدنة امهال الله له في العقوبة واملاؤه في أخذه ولو عقل ما هيأ الله له من العقاب لأخذ من العلم بحقائقه وأوغل في النظر لفهم دقائقه ونصح لله ولرسوله والمؤمنين (٣) بكر بادر الى الجمع كالجاد في عمله يبكر اليه من أول النهار فاستكثر أي احتاز كثيراً من جمع بالتنوين أي مجموع قليله خير من كثيره ان جعلت ما موصولة فان جعلتها مصدرية كان المعنى قلته خير من كثرته ، ويروى جمع بغير تنوين ولا بد من حذف على تلك الرواية أي من جمع شيء قلته خير من كثرته (٤) الماء الآجن الفاسد المتغير الطعم واللون شبه به تلك المجهولات التي ظنها معلومات وهي تشبه العلم في أنها صور قائمة بالذهن فكأنها من نوعه كما أن الآجن من نوع الماء لكن الماء الصافي ينقع الغلة ويطفيء من الأوار والآجن يجلب العلة ويفضي

غَيْرِهِ(١) . فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْوًا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ(٢) . فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ(٣) . لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ . وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ . جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ . عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ(٤) لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ(٥) يُذْرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ(٦) . لَا مَلِيءٌ وَاللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ . وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا

بشاربه الى البوار . واكتنز أى عدماجمعه كنزاً وهو غير طائل أى دون خسيس (١) التخليص التبيين ، والتبس على غيره اشتبه عليه (٢) المبهمات المشكلات لأنها أبهمت عن البيان كالصامت الذى لم يجعل على ما فى نفسه دليلا ومنه قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمة ، والحشو الزائد لا فائدة فيه ، والرث الخلق البالى ضد الجديد أى أنه يلاقى المبهمات برأى ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئابل هو حشو لا فائدة له فى تبينها ثم يزعم بذلك أنه بينها (٣) الجاهل بشىء ليس على بينة منه فاذا أثبتهعرضت له الشبهة فى نفيه واذا نفاه عرضت له الشبهة فى اثباته فهو فى ضعف حكمه فى مثل نسج العنكبوت ضعفا ولا بصيرة له فى وجوه الخطأ والاصابة فاذا حكم لم يقطع بأنه مصيب أومخطىء وقد جاء الامام فى تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبيرعنه (٤) خباط صيغة مبالغة من خبط الليل اذا سار فيه على غير هدى ، ومنه خبط عشواء . وشبه الجهالات بالظلمات التى يخبط فيها السائر وأشار الى التشبيه بالخبط . والعاشى الأعمى أو ضعيف البصر أو الخابط فى الظلام فيكون كالتأكيد لماقبله ، والعشوات جمع عشوة مثلثة الأول وهى ركوب الأمر على غير هـدى (٥) من عادة عاجم العود أى مختبره ليعلم صلابته من لينه أن يعضه فلهذا ضرب المثل فى الخبرة بالعض بضرس قاطع أى أنه لم يأخذ العلم اختباراً بل تناوله كما سول الوهم وصور الخيال ولم يعرض على محض الخبرة ليتبين أحق هو أم باطل (٦) الهشيم ما يبس من النبت وتفتت . وأذرته الريح

فُوِّضَ إِلَيْهِ[1] . لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ * وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ . وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ[2] لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ. تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ . وَتَعِجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ[3] إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً[4] وَيَمُوتُونَ ضُلَّالاً لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ[5] . وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَلَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي الْفُتْيَا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا

اذراء أطارته ففرقته ويروى تذرو الروايات كما تذرو الريح الهشيم وهى أفصح قال الله تعالى (فأصبح هشيما تذروه الرياح) وكما أن الريح فى حمل الهشيم وتبديده لا تبالى بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل فى الروايات ما تفعل الريح بالهشيم (١) الملىء بالقضاء من يحسنه ويجيد القيام عليه وهذا لا ملىء باصدار القضايا التى ترد عليه وارجاعها عنه مفصولا فيها النزاع مقطوعا فيها الحكم أى غير قيم بذلك ولا غناء فيه لهذا الأمر الذى تصدر له وروى ابن قتيبة بعد قوله لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه (ولا أهل لما قرظ به) أى مدح به بدل ولا هو أهل لما فوض اليه (٢) اكتتم به أى كتمه وستره (٣) العج رفع الصوت وصراخ الدماء وعج المواريث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور (٤) الى الله متعلق بأشكو . وفى رواية اسقاط لفظ أشكو فيكون إلى الله متعلقا بتعج ، وقوله من معشر يشير الى أولئك الذين قمشوا جهلا (٥) تلى حق تلاوته أخذ على وجهه وما يدل عليه جملته وفهم كما كان النبى

بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ(١) فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً وَإِلَٰهُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ. أَفَأَمَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ. أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ. أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ. أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ. فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَامًّا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضاً وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً). وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ(٢). وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ. لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ

وأصحابه ﷺ يفهمونه ، وأبور من بارت السلعة كسدت ، وأنفق من النفاق بالفتح وهو الرواج وما أشبه حال هذا المعشر بالمعاشر من أهل هذا الزمان (١) الامام الذى استقضاهم الخليفة الذى ولاهم القضاء (٢) أنيق حسن معجب ، وآنقنى الشىء أعجبنى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَهُ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ يَخْطُبُ فَمَضَى فِي بَعْضِ كَلَامِهِ شَيْءٌ اعْتَرَضَهُ الْأَشْعَثُ فَقَالَ يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هٰذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ (١) فَخَفَضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ فَقَالَ

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللّٰهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ . حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ (٢) مُنَافِقٌ بْنُ كَافِرٍ (٣) وَاللّٰهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى (٤) . فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ

---

(١) كان أمير المؤمنين يتكلم فى أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أى الأمرين أرشد فصفق باحدى يديه على الأخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة فقال الأشعث ما قال وأمير المؤمنين يريد هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتم وألجأتمونى لقبول الحكومة (٢) قيل ان الحائكين أنقص الناس عقلا وأهل اليمن يعيرون بالحياكة ، والأشعث يمنى من كندة قال خالد بن صفوان فى ذم اليمانيين . ليس فيهم الا حائك برد أو دابغ جلد أو سائس قرد ملكتهم امرأة وأغرقتهم فأرة ودل عليهم هدهد (٣) كان الأشعث فى أصحاب على كعبد الله بن أبى ابن سلول فى أصحاب رسول الله ﷺ كل منهما رأس النفاق فى زمنه (٤) أسر مرتين مرة وهو كافر فى بعض حروب الجاهلية وذلك أن قبيلة مراد قتلت قيسا الاشج أبا الأشعث فخرج الأشعث طالبا بثأر أبيه فخرجت كندة متساندين إلى ثلاثة ألوية على أحدها كبش بن هانىء وعلى أحدها القشعم ابن الأرقم وعلى أحدها الأشعث فأخطأوا مراداً ووقعوا على بنى الحارث بن كعب فقتل كبش والقشعم وأسر الأشعث وفدى بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربى قبله

عَلَى قَوْمِهِ ٱلسَّيْفَ . وَسَاقَ إِلَيْهِمُ ٱلْحَتْفَ . لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ ٱلْأَقْرَبُ . وَلَا يَأْمَنَهُ ٱلْأَبْعَدُ [1] . *

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ [2] وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ . وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا . وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ ٱلْحِجَابُ [3] وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ

ولا بعده ، فمعنى قول أمير المؤمنين فما فداك لم يمنعك من الأسر وأما أسر الاسلام له فذلك أن بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي ﷺ وقاتلهم زياد بن لبيد البياضي الانصاري لجأوا الى الأشعث مستنصرين به فقال لا أنصركم حتى تملكوني فتوجوه كما يتوج الملك من قحطان فخرج معهم مرتداً يقاتل المسلمين وأمد أبو بكر زياداً بالمهاجرين أبي أمية فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياما ثم نزل اليهم على أن يؤمنوه وعشرة من أقار به حتى يأتي أبا بكرفيرى فيه رأيه وفتح لهم الحصن فقتلوا كل من فيه من قوم الأشعث الا العشرة الذين عزلهم وكان المقتولون ثمانمائة ثم حملوه أسيراً مغلولا إلى أبي بكر فعفا عنه وعمن كان معه وزوجه أخته أم فروة بنت أبي قحافة (١) دلالة السيف على قومه وسوق الحتف اليهم تسليمهم لزياد بن لبيد وفتح الحصن عليهم حتى قتلهم كما تقدم وان كان الذي ينقل عن الشريف الرضي أن ذلك اشارة الى وقعة جرت بين الأشعث وخالد بن الوليد في حرب المرتدين باليمامة وأن الأشعث دل خالداً على مكامن قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد فان ما نقله الشريف لا يتم الا إذا قلنا ان بعض القبائل من كندة كانت انتقلت من اليمن إلى اليمامة وشاركت أهل الردة في حروبهم وفعل بهم الأشعث ما فعل وعلى كل حال فقد كان الأشعث ملوما على ألسنة المسلمين والكافرين وكان نساء قومه يسمينه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم (٢) الوهل الخوف وهل يوهل (٣) ما مصدرية أي قريب

---

* وفي نسخة زيادة(يريد عليه السلام أنه أسر في الكفر مرة وفي الاسلام مرة. وأما قوله عليه السلام دل على قومه السيف فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم .

سَمِعْتُمْ وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ. بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ[١] وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ[٢]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ[٣] وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا[٤] . فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ[٥] (أَقُولُ إِنَّ هٰذَا الْكَلَامَ لَوْ وُزِنَ بَعْدَ كَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَبَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

طرح الحجاب وذلك عند نهاية الأجل ونزول المرء فى أول منازل الآخرة (١) جاهرتكم العبر انتصبت لتنبهكم جهراً وصرحت لكم بعواقب أموركم ، والعبر جمع عبرة والعبرة الموعظة لكنه أطلق اللفظ وأراد مابه الاعتبار مجازاً فان العبر التى جاهرتهم اما قوارع الوعيد المنبعثة عليهم من ألسنة الرسل الالهيين وخلفائهم واما ما يشهدونه من تصاريف القدرة الربانية ومظاهرة العزة الالهية (٢) رسل السماء الملائكة أى ان قلتم لم يأتنا عن الله شىء فقد أقيمت عليكم الحجة بتبليغ رسول الله وارشاد خليفته (٣) الغاية الثواب أو العقاب والنعيم والشقاء فعليكم أن تعدوا للغاية مايصل بكم اليها ولا تستبطئوها فان الساعة التى يصيبونها فيها وهى يوم القيامة آزفة اليكم فكأنها فى تقربها نحوكم وتقليل المسافة بينها و بينكم بمنزلة سائق يسوقكم الى ما تسيرون اليه (٤) سبق سابقون بأعمالهم الى الحسنى فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من أثقال الشهوات وأوزار العناء فى تحصيل اللذات ويحفز بنفسه عن هذه الفانيات فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار . وأصله الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه (٥) أى أن الساعة لا ريب فيها وانما ينتظر بالأول مدة لا يبعث

وَآلِهِ بِكُلِّ كَلَامٍ أَمَالَ بِهِ رَاجِحًا وَبَرَّزَ عَلَيْهِ سَابِقًا . فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَمَا سُمِعَ كَلَامٌ أَقَلُّ مِنْهُ مَسْمُوعًا وَلَا أَكْثَرُ مَحْصُولًا وَمَا أَبْعَدَ غَوْرَهَا مِنْ كَلِمَةٍ . وَأَنْقَعَ نُطْفَتَهَا مِنْ حِكْمَةٍ(١) . وَقَدْ نَبَّهْنَا فِي كِتَابِ الْخَصَائِصِ عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا وَشَرَفِ جَوْهَرِهَا .)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ(٢) وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ . لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ . وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ(٣) . وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِفًا(٤) وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ . وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ . فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ . وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ يَرْتَضِعُونَ أُمًّا قَدْ فَطَمَتْ(٥) . وَيُحْيُونَ

فيها حتى يرد الآخرون و ينقضى دور الانسان من هذه الدنيا ولا يبقى على وجه الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا وذلك يوم يبعثون (١) من قولهم ماء ناقع ونقيع أى ناجع أى اطفاء العطش ، والنطفة الماء الصافى (٢) حثهم وحضهم والجلب بالتحريك ما يجلب (٣) النصاب الأصل أو المنبت (٤) النصف بالكسر العدل أو المنصف أى لم يحكموا العدل بينى و بينهم أو لم يحكموا عادلا (٥) اذا فطمت الأم ولدها فقد انقضى ارضاعها وذهب لبنها يمثل به طلب الأمر بعد فواته

بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ . يَاخَيْبَةَ ٱلدَّاعِي . مَنْ دَعَا وَإِلَامَ أُجِيبَ[1] وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ . وَعِلْمِهِ فِيهِمْ . فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ . وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ ٱلْبَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ . وَمِنَ ٱلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنِ أَبْرُزْ لِلطِّعَانِ . وَأَنِ اصْبِرْ لِلْجِلَادِ هَبِلَتْهُمُ ٱلْهَبُولُ[2] لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ . وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي . وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ ٱلْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ[3] فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً . فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ ٱلْمُسْلِمَ ٱلْبَرِيءَ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَتُغْرَى بِهَا لِئَامُ ٱلنَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ ٱلْيَاسِرِ[4] ٱلَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ

---

(١) من استفهامية وما المحذوفة الألف لدخول الى عليها كذلك. وهذا استفهام عن الداعي ودعوته تحقيراً لهما. والكلام في أصحاب الجمل والداعي هو أحد الثلاثة الذين تقدم ذكرهم في قصة الجمل عند الكلام في ذم البصرة (٢) هبلتهم ثكلتهم والهبول بالفتح من النساء التي لا يبقى لها ولد وهو دعاء عليهم بالموت لعدم معرفتهم بأقدار أنفسهم فالموت خير لهم من حياة جاهلية (٣) عفيرة زيادة وكثرة (٤) الفالج الظافر فلج يفلج كنصر ينصر ظفر وفاز ومنه المثل من يأتي الحكم وحده يفلج. والياسر الذي يلعب بقداح

تُوجِبُ لَهُ ٱلْمَغْنَمَ . وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ ٱلْمَغْرَمُ وَكَذَلِكَ ٱلْمَرْءُ ٱلْمُسْلِمُ ٱلْبَرِئُ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ ٱللهِ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ . إِمَّا دَاعِيَ ٱللهِ فَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لَهُ . وَإِمَّا رِزْقَ ٱللهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ . إِنَّ ٱلْمَالَ وَٱلْبَنِينَ حَرْثُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّالِحَ حَرْثُ ٱلْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا ٱللهُ لِأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ ٱللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ . وَٱخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ(١) . وَٱعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ ٱللهِ يَكِلْهُ ٱللهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ(٢) . نَسْأَلُ ٱللهَ مَنَازِلَ ٱلشُّهَدَاءِ . وَمُعَايَشَةَ ٱلسُّعَدَاءِ وَمُرَافَقَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ .

الميسر أى المقامر . وفى الكلام تقديم وتأخير ونسقه كالياسر الفالج كقوله تعالى (وغرابيب سود) وحسنه أن اللفظتين صفتان وان كانت احداهما انما تأتى بعد الأخرى اذا صاحبها يريد أن المسلم اذا لم يأت فعلا دنيئا يخجل لظهوره وذكره ويبعث لئام الناس على التكلم به فقد فاز بشرف الدنيا وسعادة الآخرة فهو شبيه بالمقامر الفائز فى لعبه لا ينتظر الا فوزاً أى أن المسلم اذا برىء من الدناآت لا ينتظر الا احدى الحسنيين اما نعيم الآخرة أو نعيم الدارين لجدير به أن لا ياسف على فوت حظ من الدنيا فانه ان فاته ذلك لم يفته نصيبه من الآخرة وهو يعلم أن الأرزاق بتقدير رزاقها فهو أرفع من أن يحسد أحداً على رزق ساقه الله عليه وقوله فاحذروا ماحذركم الله من نفسه يريد احذروا الحسد فان مبعثه انتقاص صنع الله تعالى واستهجان بعض أفعاله وقد حذرنا الله من الجرأة على عظمته فقال واياى فارهبون واياى فاتقون ومايفوق الكثرة من الآيات الدالة على ذلك (١) مصدر عذر تعذيراً لم يثبت له عذر أى خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه الاعتذار (٢) العامل لغيرالله لا يرجو ثواب عمله من الله وانما يطلبه ممن عمل له فكأن الله قد تركه الى من عمل له

• أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي ٱلرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَهُمْ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ حِيطَةً مِنْ وَرَائِهِ[1] وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ. وَلِسَانُ ٱلصِّدْقِ يَجْعَلُهُ ٱللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ[2] (مِنْهَا) أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ ٱلْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا ٱلْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِٱلَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ[3]. وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ ٱلْمَوَدَّةَ (أَقُولُ ٱلْغَفِيرَةُ هٰهُنَا ٱلزِّيَادَةُ وَٱلْكَثْرَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْجَمْعِ ٱلْكَثِيرِ ٱلْجَمُّ ٱلْغَفِيرُ وَٱلْجَمَّاءُ ٱلْغَفِيرُ. وَيُرْوَى عَفْوَةً مِنْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ. وَٱلْعَفْوَةُ ٱلْخِيَارُ مِنَ ٱلشَّيْءِ يُقَالُ أَكَلْتُ عَفْوَةَ ٱلطَّعَامِ. أَيْ خِيَارَهُ. وَمَا أَحْسَنَ ٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي أَرَادَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِقَوْلِهِ. وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِلَى تَمَامِ ٱلْكَلَامِ فَإِنَّ ٱلْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا ٱحْتَاجَ

وجعل أمره اليه (١) حيطة كبينة أى رعاية وكلاءة ويروى حيطة بكسر الحاء وسكون الياء مخففة مصدر حاطه يحوطه أى صانه وتعطف عليه وتحنن. والشعث بالتحريك التفرق والانتشار (٢) لسان الصدق حسن الذكر بالحق وهو فى القرابة أولى وأحق (٣) الخصاصة الفقر والحاجة الشديدة ينهى أمير المؤمنين عن اهمال القريب اذا كان فقيرا ويحث

إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَاُضْطُرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ[١] قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدَ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ وَتَنَاهُضَ الْأَقْدَامِ الْجَمَّةِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ[٢] فَاتَّقُوا اللّٰهَ عِبَادَ اللّٰهِ وَفِرُّوا إِلَى اللّٰهِ مِنَ اللّٰهِ. وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ[٣]. فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلًا وَإِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا[٤]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ بِاسْتِيلَاءِ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْبِلَادِ وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَامِلَاهُ عَلَى الْيَمَنِ وَهُمَا عُبَيْدُ اللّٰهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَسَعِيدُ بْنُ نُمْرَانَ لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهِمَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ[٥] فَقَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمِنْبَرِ

على سد حاجته بالمال وأنواع المعاونة فان ما يبذل فى سد حاجة القريب لو لم يصرفه فى هذا السبيل وأمسكه لنفسه لم يزده فى غناه أو فى جاهه شيئا ولو بذله لم ينقصه من ذلك كذلك ومعنى أهلكه بذله (١) المرافدة المعاونة (٢) الادهان المنافقة والمصانعة ولا تخلو من مخالفة الظاهر للباطن والغش. والايهان الدخول فى الوهن وهو من الليل نحو نصفه وهو هنا عبارة عن التستر والمخاتلة وقد يكون مصدر أوهنته أضعفته أى لا يعرض على فيه مايضعفنى. وخابط الغى والغى يخبطه وهو أشد اضطرابا ممن يخبط فى الغى (٣) عصبه بكم ربطه بكم أى كلفكم به وألزمكم بأدائه ونهجه بكم أوضحه و بينه (٤) لفلجكم أى لظفركم وفوزكم (٥) يقال بسر بن أبى أرطاه و بسر بن أرطاة وهو عامرى من

ضَجِرًا بِتَثَاقُلِ أَصْحَابِهِ عَنِ الْجِهَادِ وَمُخَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي الرَّأْيِ فَقَالَ مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا[1]. إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ[2]. فَقَبَّحَكِ اللهُ (وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ)

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي ... عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ[3]

(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) أُنْبِئْتُ بُسْرًا قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ[4] وَإِنِّي وَاللهِ

بنى عامر بن لؤى بن غالب سيره معاوية الى الحجاز بعسكر كثيف فأراق دماء غزيرة واستكره الناس على البيعة لمعاوية وفرمن بين يديه والى المدينة أبو أيوب الانصارى ثم توجه والياً على اليمن فتغلب عليها وانتزعهامن عبيدالله بن العباس وفرعبيدالله ناجياً من شره فأتى بسر بيته فوجد له ولدين صبيين فذبحهما وباء بإثمهما قبح الله القسوة وما تفعل ويروى أنهما ذبحا فى بنى كنانة أخوالها وكان أبوهما تركهما هناك وفى ذلك تقول زوجة عبيد الله .

يا من أحس بابنى اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بابنى اللذين هما ... قلبى وسمعى فقلبى اليوم مختطف
من ذل والهة حيرى مدلهة ... على صبيين ذلا اذ غدا السلف
خبرت بسرا وما صدقت مازعموا ... من افكهم ومن القول الذى اقترفوا
أنحى على ودجى ابنى مرهفة ... مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

ويروى هذه الأبيات بروايات شتى فيها تغيير وزيادة ونقص (١) أقبضها وأبسطها أى أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب فى ثوبه يقبضه أو يبسطه (٢) جمع اعصار ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود أو كل ريح فيها العصار وهو الغبار الكثير ان لم يكن لى ملك الكوفة على ما فيهامن الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله وشبه الاختلاف والشقاق بالأعاصير لاثارتها التراب وافسادها الأرض (٣) الوضرغسالة السقاء والقصعة وبقية الدسم فى الاناء (٤) اطلع اليمن بلغها وتمكن منها وغشيها بجيشه

لَأَظُنُّ أَنَّ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ(١) . وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي ٱلْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي ٱلْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمُ ٱلْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ . وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ . فَلَوِ ٱئْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ(٢) . اَللّٰهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي . اَللّٰهُمَّ مُثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ ٱلْمِلْحُ فِي ٱلْمَاءِ(٣) . أَمَا وَٱللّٰهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ(٤)

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ * فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ ٱلْحَمِيمِ

(١) سيدالون منكم ستكون له الدولة بدلكم بذلك السبب القوى وهو اجتماع كلمتهم وطاعتهم لصاحبهم وأداؤهم الأمانة واصلاحهم بلادهم ، وهو يشير الى أن هذا السبب متى وجد كان النصر والقوة معه ومتى فقد ذهبت القوة والعزة بذهابه ، فالحق ضعيف بتفرق أنصاره والباطل قوى بتضافر أعوانه (٢) القعب بالضم القدح الضخم (٣) مث قلوبهم أذبها ماثه يميثه دافه أى أذابه (٤) بنو فراس بن غنم بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر أو هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حى مشهور بالشجاعة ومنهم علقمة بن فراس وهو جذل الطعان ومنهم ربيعة ابن مكدم حامى الظعن حياً وميتا ولم يحم الحريم أحدوهوميت غيره: عرض له فرسان من بنى سليم ومعه ظعائن من أهله يحميهن وحده فرماه أحد الفرسان بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه فى الأرض واعتمد عليه وأشار اليهن بالمسير فسرن حتى بلغن بيوت الحى و بنو سليم قيام ينظرون اليه لا يتقدم أحد منهم نحوه خوفا منه حتى رموا

* فى نسخة : لو دعوت أتاك . بخطاب المؤنث

ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمِنْبَرِ . أَقُولُ الْأَرْمِيَةُ جَمْعُ رَمِيٍّ وَهُوَ السَّحَابُ. وَالْحَمِيمُ هٰهُنَا وَقْتُ الصَّيْفِ. وَإِنَّمَا خَصَّ الشَّاعِرُ سَحَابَ الصَّيْفِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَشَدُّ جُفُولًا وَأَسْرَعُ خُفُوفًا[١] لِأَنَّهُ لَا مَاءَ فِيهِ . وَإِنَّمَا يَكُونُ السَّحَابُ ثَقِيلَ السَّيْرِ لِامْتِلَائِهِ بِالْمَاءِ وَذٰلِكَ لَا يَكُونُ فِي الْأَكْثَرِ إِلَّا زَمَانَ الشِّتَاءِ . وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ وَصْفَهُمْ بِالسُّرْعَةِ إِذَا دُعُوا وَالْإِغَاثَةِ إِذَا اسْتُغِيثُوا . وَالدَّلِيلُ عَلَى ذٰلِكَ قَوْلُهُ : هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ اللّٰهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ . وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ . وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ . مُتَنَخُّونَ * بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّاتٍ صُمٍّ[٢] تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ[٣]

فرسه بسهم فوثبت من تحته فسقط وقد كان ميتا (١) مصدر غريب لخف بمعنى انتقل وارتحل مسرعا والمصدر المعروف خفا (٢) الخشن جمع خشناء من الخشونة ، ووصف الحيات بالصم لأنها أخبثها اذ لا تنزجر. وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفر والغلظ فأكثر أراضيها حجارة خشنة غليظة، ثم انه يكثر فيها الأفاعي والحيات فابدلهم الله منها الريف ولين المهاد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها (٣) الجشب

* تنخ بالمكان : اقام به

وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ . الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ[1] . (وَمِنْهَا) فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ . وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى . وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى . وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ[2] وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ (وَمِنْهَا) وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً[3] فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ . فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا . وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا . فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَعَلَا سَنَاهَا . وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ[4] . فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمْلَةَ الْبَلَاءِ . وَدُيِّثَ

الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير أدم (١) معصوبة مشدودة تمثيل للزومها لهم . وقد جمع فى وصف حالهم بين فساد المعيشة وفساد العقيدة والملة (٢) الكظم بالتحريك الحلق أو الفم أو مخرج النفس والكل صحيح ههنا، والمراد أنه صبر على الاختناق. وأغضيت غضضت طرفى على قذى فى عينى وما أصعب أن يغمض الطرف على قذى فى العين. والشجا ما يعترض فى الحلق وكل هذا تمثيل للصبر على المضض الذى ألم به من حرمانه حقه وتألب القوم عليه (٣) ضمير يبايع الى عمرو بن العاص فانه شرط على معاوية أن يوليه مصر لو تم له الأمر (٤) جنته بالضم وقايته

بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ[١] وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ[٢] وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمَ الْخَسْفَ[٣] وَمُنِعَ النِّصْفَ. أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللّٰهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا[٤] فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ. وَهٰذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ[٥] وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ ابْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا[٦] وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ

---

(١) ديث مبني للمفعول من ديثه أى ذلله وقمؤ الرجل ككرم قمأة وقماءة أى ذل وصغر (٢) الاسداد جمع سدير يد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد. قال الله «وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون» ويروى بالاسهاب وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام أى حيل بينه وبين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة (٣) اديل الحق منه أي صارت الدولة للحق بدله، وسيم الخسف أى أولى الخسف وكلفه والخسف الذل والمشقة أيضا والنصف بالكسر العدل، ومنع مجهول أى حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه (٤) عقر الدار بالضم وسطها واصلها وتواكلتم وكل كل منكم الأمر الى صاحبه أى لم يتوله أحد منكم بل أحاله كل على الآخر ومنه يوصف الرجل بالوكل أى العاجز لأنه يكل أمره الى غيره. وشنت الغارات فرقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقا دفعة بعد دفعة وما كان ارسالا غير متفرق يقال فيه سن بالمهملة (٥) أخو غامد هو سفيان ابن عوف من بنى غامد قبيلة من اليمن من أزدشنوءة بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلا على أهله. والأنبار بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات ويقابلها على الجانب الغربى هيت (٦) جمع مسلحة

فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلَائِدَهَا وَرِعَاثَهَا(١) مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ(٢) ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ(٣) مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ . فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا . فَيَا عَجَبًا وَاللّٰهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا(٤) حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ . وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ . وَيُعْصَى اللّٰهُ وَتَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هٰذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ(٥) أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ(٦) وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هٰذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ(٧) أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ ، كُلُّ هٰذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ

بالفتح وهي الثغر . والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء (١) المعاهدة الذمية. والحجل بالكسر خلخالها . والقلب بالضم سوارها . والرعاث جمع رعثة بالفتح ويحرك بمعنى القرط ويروى رعثها بضم الراء والعين جمع رعاث جمع رعثة (٢) الاسترجاع ترديد الصوت بالبكاء. والاسترحام أن تناشده الرحم (٣) وافرين تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم والكلم بالفتح الجرح (٤) ترحا بالتحريك أى هماً وحزناً أوفقراً والغرض ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب لا يدفعون وقوله ويعصى الله يشير الى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل فى المسلمين والمعاهدين ثم أهل العراق راضون بذلك اذ لو غضبوا لهموا بالمدافعة (٥) حمارة القيظ شدة الحر (٦) التسبيخ بالخاء المعجمة التخفيف والتسكين (٧) صبارة الشتاء شدة برده والقر بالضم البرد

وَالْقُرِّ تفِرُّونَ فَإِذًا أَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ . يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ . حُلُومُ الْأَطْفَالِ . وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ(١) . لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ . مَعْرِفَةٌ وَاللهِ جَرَّتْ نَدَمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا(٢) قَاتَلَكُمُ اللهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا . وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا . وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا(٣) . وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ

لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّي(٤) لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَهَا أَنَاذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ(٥) . وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ(٦) وَإِنَّ الْآخِرَةَ

---

(١) حجال جمع حجلة وهى القبة وموضع يزين بالستور والثياب للعروس. وربات الحجال النساء (٢) السدم محركة الهم أو مع أسف أو غيظ . والقيح مافى القرحة من الصديد. وشحنتم صدرى ملأتموه (٣) النغب جمع نغبة كجرعة وجرع لفظا ومعنى والتهمام بالفتح الهم وكل تفعال فهو بالفتح الا التبيان والتلقاء فانهما بالكسر . وأنفاسا أى جرعة بعد جرعة (٤) مراسا مصدر مارسه ممارسة ومراسا أى عالجه وزاوله وعاناه (٥) ذرفت على الستين زدت عليها ويروى نيفت بمعناه. وفى الخطبة روايات أخرى لا تختلف عن رواية الشريف فى المعنى وان اختلفت عنها فى بعض الألفاظ. انظر الكامل للمبرد (٦) آذنت أعلمت

قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ(١). وَغَدًا السِّبَاقَ. وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ(٢) وَالْغَايَةُ النَّارُ. أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ(٣)؟ أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ(٤) مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ. فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ. وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ. وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ. وَضَرَّهُ أَجَلُهُ. أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ(٥). أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ

وايذانها بالوداع انما هو بما أودع فى طبيعتها من التقلب والتحول، فأول نظرة من العاقل اليها تحصل له اليقين بفنائها وانقضائها وليس وراء الدنيا الا الآخرة فان كانت الأولى مودعة فالأخرى مشرفة. والاطلاع من اطلع فلان علينا أتانا فجأة (١) المضمار الموضع والزمن الذى تضمر فيه الخيل. وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ثم يقلل علفها وماؤها وتجرى فى الميدان حتى تهزل. وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثانى واطلاقه على الاول لانه مقدمة للثانى والا فحقيقة التضمير احداث الضمور وهو الهزال وخفة اللحم. وانما يفعل ذلك بالخيل لتخف فى الجرى يوم السباق كما اننا نعمل اليوم فى الدنيا للحصول على السعادة فى الاخرى (٢) السبقة بالتحريك الغاية التى يجب السابق أن يصل اليها و بالفتح المرة من السبق والشريف رواها فى كلام الامام بالتحريك أو الفتح وفسرها بالغاية المحبوبة أو المرة من السبق وهو مطلوب لهذا روى الضم بصيغة رواية أخرى. ومن معانى السبقة بالتحريك الرهن الذى يوضع من المتراهنين فى السباق أى الجعل الذى يأخذه السابق الا أن الشريف فسرها بما تقدم (٣) البؤس اشتداد الحاجة وسوء الحالة. ويوم البؤس يوم الجزاء مع الفقر من الأعمال الصالحة. والعامل له هو الذى يعمل الصالح لينجو من البؤس فى ذلك اليوم (٤) يريد الامل فى البقاء واستمرار الحياة (٥) أى اعملوا لله فى السراء كما تعملون له فى الضراء لا تصرفكم النعم عن خشيته والخوف منه

نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا[١] . أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعْهُ ٱلْحَقُّ يَضْرُرْهُ ٱلْبَاطِلُ[٢] . وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ ٱلْهُدَى يَجُرُّ بِهِ ٱلضَّلَالُ إِلَى ٱلرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[٣] . وَدُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ . وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى وَطُولُ ٱلْأَمَلِ . تَزَوَّدُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَدًا[٤] (أَقُولُ) لَوْ كَانَ كَلَامٌ يَأْخُذُ بِالْأَعْنَاقِ إِلَى ٱلزُّهْدِ فِي ٱلدُّنْيَا وَيَضْطَرُّ إِلَى عَمَلِ ٱلْآخِرَةِ لَكَانَ هٰذَا ٱلْكَلَامَ . وَكَفَى بِهِ قَاطِعاً لِعَلَائِقِ ٱلْآمَالِ . وَقَادِحًا زِنَادَ ٱلِاتِّعَاظِ وَٱلِازْدِجَارِ . وَمِنْ أَعْجَبِهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (أَلَا وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ ٱلْمِضْمَارَ وَغَدًا ٱلسِّبَاقَ . وَٱلسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ وَٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ) فَإِنَّ فِيهِ مَعَ فَخَامَةِ ٱللَّفْظِ وَعِظَمِ قَدْرِ ٱلْمَعْنَى وَصَادِقِ ٱلتَّمْثِيلِ وَوَاقِعِ ٱلتَّشْبِيهِ سِرًّا عَجِيباً وَمَعْنًى لَطِيفاً وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (وَٱلسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ وَٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ) فَخَالَفَ بَيْنَ ٱللَّفْظَيْنِ لِٱخْتِلَافِ ٱلْمَعْنَيَيْنِ . وَلَمْ يَقُلِ ٱلسَّبَقَةُ ٱلنَّارُ كَمَا قَالَ: ٱلسَّبَقَةُ ٱلْجَنَّةُ لِأَنَّ

---

(١) من أعجب العجائب الذى لم ير له مثيل أن ينام طالب الجنة فى عظمها واستكمال أسباب السعادة فيها، وأن ينام الهارب من النار فى هولها واستجماعها أسباب الشقاء (٢) النفع الصحيح كله فى الحق. فان قال قائل ان الحق لم ينفعه فالباطل أشد ضرراً له ، ومن لم يستقم به الهدى المرشد الى الحق أى لم يصل به الى مطلوبه من السعادة جرى به الضلال الى الردى والهلاك (٣) الظعن الرحيل عن الدنيا وأمرنا به أمر تكوين أى كما خلقنا الله خلق فينا أن نرحل عن حياتنا الأولى لنستقر فى الأخرى. والزاد الذى دلنا عليه هو عمل الصالحات وترك السيئات (٤) تحرزون أنفسكم تحفظونها

ٱلِاسْتِبَاقَ إِنَّمَا يَكُونُ إِلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ وَغَرَضٍ مَطْلُوبٍ وَهٰذِهِ صِفَةُ ٱلْجَنَّةِ وَلَيْسَ هٰذَا ٱلْمَعْنَى مَوْجُودًا فِي ٱلنَّارِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَقُولَ وَٱلسَّبَقَةُ ٱلنَّارُ بَلْ قَالَ وَٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ ، لِأَنَّ ٱلْغَايَةَ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَنْ لَا يَسُرُّهُ ٱلِانْتِهَاءُ وَمَنْ يَسُرُّهُ ذٰلِكَ، فَصَلَحَ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَا عَنِ ٱلْأَمْرَيْنِ مَعًا فَهِيَ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ كَٱلْمَصِيرِ وَٱلْمَآلِ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ) وَلَا يَجُوزُ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ أَنْ يُقَالَ سَبْقَتُكُمْ «بِسُكُونِ ٱلْبَاءِ» إِلَى ٱلنَّارِ فَتَأَمَّلْ ذٰلِكَ فَبَاطِنُهُ عَجِيبٌ وَغَوْرُهُ بَعِيدٌ . وَكَذٰلِكَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ . (وَفِي بَعْضِ ٱلنُّسَخِ) وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى (وَٱلسُّبْقَةُ ٱلْجَنَّةُ) بِضَمِّ ٱلسِّينِ. وَٱلسُّبْقَةُ عِنْدَهُمُ ٱسْمٌ لِمَا يُجْعَلُ لِلسَّابِقِ إِذَا سَبَقَ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرَضٍ وَٱلْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ لِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يَكُونُ جَزَاءً عَلَى فِعْلِ ٱلْأَمْرِ ٱلْمَذْمُومِ وَإِنَّمَا يَكُونُ جَزَاءً عَلَى فِعْلِ ٱلْأَمْرِ ٱلْمَحْمُودِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱلْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ . ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ[1] . كَلَامُكُمْ يُوهِي ٱلصُّمَّ ٱلصِّلَابَ[2] وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ ٱلْأَعْدَاءَ . تَقُولُونَ

من الهلاك الأبدى (١) اهواؤهم آراؤهم وما تميل اليه قلوبهم (٢) الصم جمع اصم

فِي ٱلْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ. فَإِذَا جَاءَ ٱلْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيدِي حِيَادِ(١). مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَلَا ٱسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ(٢). أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ. دِفَاعَ ذِي ٱلدَّيْنِ ٱلْمَطُولِ(٣) لَا يَمْنَعُ ٱلضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ. وَلَا يُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ. أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ. وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ. ٱلْمَغْرُورُ وَٱللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ. وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَٱللهِ بِالسَّهْمِ ٱلْأَخْيَبِ(٤). وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ(٥) أَصْبَحْتُ وَٱللهِ لَا أُصَدِّقُ

وهو من الحجارة الصلب المصمت والصلاب جمع صليب والصليب الشديد و بابه ظريف وظراف وضعيف وضعاف. و يوهيها يضعفها و يفتتها، يقال وهي الثوب ووهى يهى وهيا من باب ضرب وحسب، تخرق وانشق أى تقولون من الكلام ما يفلق الحجر بشدته وقوته ثم يكون فعلكم من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو (١) حيدى حياد كلمة يقولها الهارب كأنه يسأل الحرب أن تتنحى عنه من الحيدان وهو الميل والانحراف عن الشيء. وحياد مبنى على الكسر كما فى قولهم فيحى فياح أى اتسعى وحمى حام للداهية أى انهم يقولون فى المجلس سنفعل بالاعداء ما نفعل فاذا جاء القتال فروا وتقاعدوا (٢) أى من دعاهم وحملهم بالترغيب على نصرته لم تعز دعوته لتخاذلهم فان قاساهم وقهرهم انتقضوا عليه فاتعبوه والاعاليل أما جمع اعلال جمع علل جمع علة أو جمع اعلولة كما ان الأضاليل جمع اضلولة والاضاليل متعلقة بالاعاليل أى انكم تتعللون بالاباطيل التى لا جدوى لها (٣) أى انكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه والمطول الكثير المطل وهو تأخير اداء الدين بلا عذر وقوله لا يمنع الضيم الخ أى أن الذليل الضعيف الباس الذى لا منعة له لا يمنع ضيماً وانما يمنع الضيم القوى العزيز (٤) فاز بكم من فاز بالخير اذا ظفر به أى من ظفر بكم وكنتم نصيبه فقد ظفر بالسهم الاخيب وهو من سهام الميسر الذى لا حظ له (٥) الا فوق من السهام مكسور الفوق. والفوق موضع الوتر من السهم والناصل العارى عن النصل أى

قَوْلَكُمْ . وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ . وَلَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ . مَا بَالُكُمْ ؟ مَادَوَاؤُكُمْ ؟ مَاطِبُّكُمْ ؟ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ . أَقَوْلًا بِغَيْرِ عَمَلٍ وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ . وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْنَى قَتْلِ عُثْمَانَ

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً . أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً [١] غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ . وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي [٢] وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ :

من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت فى الوتر حتى يرمى، وان رمى به لم يصب مقتلا اذ لا نصل له . وهذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين عند اغارة الضحاك بن قيس فان معاوية لما بلغه فساد الجند على أمير المؤمنين دعا الضحاك بن قيس وقال له سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت فمن وجدت من الاعراب فى طاعة على فاغر عليه وان وجدت له خيلا أو مسلحة فاغر عليها واذا أصبحت فى بلدة فأمس فى أخرى ولا تقيمن لخيل بلغك أنها قد سرحت اليك لتلقاها فتقاتلها، وسرحه فى ثلاثة آلاف فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقى من الاعراب ثم لقى بن عمر عميس بن مسعود الذهلى فقتله وهو ابن أخى عبدالله ابن مسعود ونهب الحاج وقتل منهم وهم على طريقهم عند القطقطانة فساء ذلك أمير المؤمنين وأخذ يستنهض الناس الى الدفاع عن ديارهم وهم يتخاذلون فوبخهم بما تراه فى هذه الخطبة، ثم دعا بحجر بن عدى فسيره إلى الضحاك فى أربعة آلاف فقاتله فانهزم فاراً إلى الشام يفتخر بأنه قتل ونهب (١) يقول أنه لم يأمر بقتل عثمان والا كان قاتلا له مع أنه برىء من قتله، ولم ينه عن قتله أى لم يدافع عنه بسيفه ولم يقاتل دونه والا كان ناصراً له. أما نهيه عن قتله بلسانه فهو ثابت وهو الذى أمر الحسن والحسين أن يذابا الناس عنه (٢) أى

أُسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الْأَثَرَةَ. وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ(١) وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِابْنِ الْعَبَّاسِ لَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَى الزُّبَيْرِ يَسْتَفِيئُهُ إِلَى طَاعَتِهِ قَبْلَ حَرْبِ الْجَمَلِ(٢)

لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ(٣) يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ. وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً(٤) فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي

ان الذين نصروه ليسوا بأفضل من الذين خذلوه لهذا لا يستطيع ناصره أن يقول انى خير من الذى خذله ولا يستطيع خاذله أن يقول ان الناصر خير منى يريد أن القلوب متفقة على أن ناصريه لم يكونوا فى شىء من الخير الذى يفضلون به على خاذليه (١) أى أنه استبد عليكم فأساء الاستبداد وكان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم، وجزعتم لاستبداده فأسأتم الجزع أى لم ترفقوا فى جزعكم ولم تقفوا عند الحد الأولى بكم وكان عليكم أن تقتصروا على الشكوى ولا تذهبوا فى الاساءة الى حد القتل ولله حكمه فى المستأثر وهو عثمان وفى الجازع وهو أنتم فاما آخذه وآخذكم أو عفا عنه وعفا عنكم (٢) يستفيئه أى يسترجعه (٣) يروى أن تلقه تلفه الأولى بالقاف والثانية بالفاء من ألفاه يلفيه وهى بمعنى تجده ، وعاقصاً قرنه من عقص الشعر اذا ضفره وفتله ولواه وهو تمثيل له فى تغطرسه وكبره وعدم انقياده ، ويركب الصعب يستهين به ويزعم أنه ذلول سهل (٤) العريكة الطبيعة وعرفه بالحجاز اطاعه فيه حيث عقد له

بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا[1] (أَقُولُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِعَتْ مِنْهُ هٰذِهِ الْكَلِمَةُ أَعْنِي «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا»)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ . وَزَمَنٍ كَنُودٍ[2] . يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً . وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً. لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا . وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا . وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا[3] . فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلَالَةُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِهِ[4] . وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ . وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ. وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ . قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ . لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ . أَوْ مِقْنَبٍ

البيعة وانكر. بالعراق حيث خرج عليه وجمع لقتاله (١) عداه الأمر صرفه و بدا ظهر، ومن هنا بمعنى،عن نقل ابن قتيبة حدثنى فلان من فلان أى عنه، و نهيت من كذا أى عنه أى ما الذى صرفك عما كان بدا وظهر منك (٢) العنود الجائر من عند يعند كنصر جار عن الطريق وعدل ، والكنود الكفور . ويروى وزمن شديد أى بخيل كما فى قوله تعالى (وانه لحب الخير لشديد) أى ان الانسان لاجل حبه للمال بخيل والوصف لأهل الزمن والدهر كما هو ظاهر. وسوء طباع الناس يحملهم على عد المحسن مسيئاً (٣) القارعة الخطب يقرع من ينزل به أى يصيبه . والداهية العظيمة (٤) القسم الأول من يقعد به عن طلب الأمارة والسلطان حقارة نفسه فلا يجد معينا ينصره وكلالة حده أى ضعف سلاحه عن القطع فى أعدائه ، يقال كل السيف كلالة اذا لم يقطع والمراد اعوازه من السلاح أو لضعفه عن استعماله ، ونضيض وفره قلة ماله وكان مقتضى النسق أن يقول ونضاضة وفره لكنه عدل الى الوصف تفننا. والنضيض

يَقُودُهُ . أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُه(١) . وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللهِ عِوَضاً . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَاتَّخَذَ سَتْرَ اللهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ(٢) وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ(٣) . وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ . فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَنْ حَالِهِ فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ وَلَيْسَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدًى . وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ(٤) . وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ . فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ

القليل والوفر المال (١) القسم الثانى الذى يطلب الامارة وما هى من حقه ويجهر بذلك فهو مصلت لسيفه أى سال له على اعناق الذين لا يسمعون لسلطان الباطل والمعان المظهر ، والجلب بخيله من أجاب القوم أى جلبوا وتجمعوا من كل أوب للحرب . والرجل جمع راجل كالركب جمع راكب ، واشرط نفسه أى هيأها واعدها للشر والفساد فى الأرض أو للعقوبة وسوء العاقبة ، وأوبق دينه أهلكه ، والحطام المال وأصله ما تكسر من اليبيس ينتهزه يغتنمه أو يختلسه والمقنب طائفة من الخيل ما بين الثلاثين الى الأربعين . وانما يطلب قود المقنب تعززاً على الناس وكبراً وفرع المنبر بالفاء أى علاه وفى علو المنبر والخطبة على الناس من الرفعة ما يبعث على الطلب فهذا القسم قد أضاع دينه وأفسد الناس فى طلب هذه الشهوات المذكورة (٢) الذريعة الوسيلة وهذا قسم ثالث (٣) الضؤولة بالضم الضعف وهذا هو القسم الرابع وليس من الزهادة فى ذهاب ولا اياب أى لا فى فعل ولا ترك (٤) هذا قسم خامس للناس مطلقا والأقسام الأربعة للناس المعروفين الواقعين تحت نظر العامة فقوله فيما سبق فالناس أربعة أصناف انما يريد به الذين يعرفهم النظر الجلى ناسا ، أما الرجال الذين

نَادٍّ(١) . وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ . وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ . وَدَاعٍ مُخْلِصٍ . وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ . قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ(٢) وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ . أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ(٣) . وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ . وَقَدْ وُعِظُوا حَتَّى مَلُّوا(٤) وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا . وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ(٥) وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ . وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ(٦) . (أقول) هٰذِهِ الْخُطْبَةُ رُبَّمَا نَسَبَهَا مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهِيَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي لَا

غضوا أبصارهم عن مطامع الدنيا خوفا من الآخرة وتذكرهم لمعادهم فهؤلاء لا يعرفون عند العامة وانما يتعرف أحوالهم امثالهم فكأنهم فى نظر الناس ليسوا بناس (١) الناد الهارب من الجماعة الى الوحدة ، والمقموع المقهور ، والمكعوم من كعم البعير شد فاه لئلا يأكل أو يعض وما يشد به. كعام ككتاب. والثكلان الحزين (٢) أخمله اسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة . والتقية اتقاء الظلم باخفاء الحال والاجاج الملح أى انهم فى الناس كمن وقع فى البحر الملح لا يجد ما يطفىء ظمأه ولا ينقع غلته (٣) ضامزة ساكنة ضمز يضمز بالزاى المعجمة سكت يسكت ، والقرحة بفتح فكسر المجروحة (٤) أى انهم اكثروا من وعظ الناس حتى ملهم الناس وسئموا من كلامهم (٥) الحثالة بالضم القشارة وما لا خير فيه ، والقرظ ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به والجلم بالتحريك مقراض يجز به الصوف وقراضته مايسقط منه عند القرض والجزء انما طالبهم باحتقار الدنيا بعد التقسيم المتقدم لما ثبت من أن الدنيا لم تصف الا للاشرار ، أما المتقون الذين ذكرهم فانهم لم يصيبوا منها الا العناء وكل ما كان شأنه أن يأوى الى الأشرار ويجافى الاخيار فهو أجدر بالاحتقار (٦) أى من كان أشد تعلقا بها منكم

يُشَكُّ فِيهِ وَأَيْنَ ٱلذَّهَبُ مِنَ ٱلرَّغَامِ[1] وَٱلْعَذْبُ مِنَ ٱلْأُجَاجِ . وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذٰلِكَ ٱلدَّلِيلُ ٱلْخِرِّيتُ[2] وَنَقَدَهُ ٱلنَّاقِدُ ٱلْبَصِيرُ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ ٱلْجَاحِظُ فَإِنَّهُ ذَكَرَ هٰذِهِ ٱلْخُطْبَةَ فِي كِتَابِ ٱلْبَيَانِ وَٱلتَّبْيِينِ وَذَكَرَ مَنْ نَسَبَهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ ثُمَّ قَالَ هِيَ بِكَلَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَشْبَهُ ، وَبِمَذْهَبِهِ فِي تَصْنِيفِ ٱلنَّاسِ وَبِالْإِخْبَارِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْقَهْرِ وَٱلْإِذْلَالِ وَمِنَ ٱلتَّقِيَّةِ وَٱلْخَوْفِ أَلْيَقُ[3] قَالَ وَمَتَى وَجَدْنَا مُعَاوِيَةَ فِي حَالٍ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ يَسْلُكُ فِي كَلَامِهِ مَسْلَكَ ٱلزُّهَّادِ . وَمَذَاهِبَ ٱلْعُبَّادِ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عِنْدَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ[4]

قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِذِي قَارٍ[5] وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ[6] فَقَالَ لِي مَا قِيمَةُ هٰذَا ٱلنَّعْلِ فَقُلْتُ لَا قِيمَةَ لَهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَٱللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَخَطَبَ ٱلنَّاسَ فَقَالَ :

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ

---

(١) الرغام بالفتح التراب (٢) الخريت الحاذق فى الدلالة (٣) تصنيف الناس تقسيمهم وتبيين أصنافهم (٤) فى وقعة الجمل (٥) بلد بين واسط والكوفة وهو قريب من البصرة وكانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت فيه العرب قبل الاسلام (٦) يخصف

يَقْرَأُ كِتَاباً وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً . فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ (١) فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ (٢) وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ . أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا (٣) حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا (٤) فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ (٥) مَالِي وَلِقُرَيْشٍ . وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ . وَإِنِّي

نعله يخرزها (١) بوأهم محلتهم أى أنزلهم منزلتهم فالناس قبل الاسلام كأنهم كانوا غرباء مشردين والاسلام هو منزلهم الذى يسكنون فيه ويأمنون من المخاوف ، فالنبي صلى الله عليه وسلم ساق الناس حتى أوصلهم إلى منزلهم من الاسلام الذى كانوا قد ضلوا عنه وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك (٢) القناة العود والرمح. والكلام تمثيل لاستقامة أحوالهم. والصفاة الحجر الصلد الضخم. وأراد به مواطىء أقدامهم. والكلام تصوير لاستقرارهم على راحة كاملة وخلاصهم مما كان يرجف قلوبهم ويزلزل أقدامهم (٣) ان كنت الخ ان هذه هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف والأصل انه كنت الخ . والمعنى. قد كنت. والساقة مؤخر الجيش السائق لمقدمه. وولت بحذافيرها بجملتها . والضمائر فى ساقتها وولت بحذافيرها عائدة إلى الحادثة المفهومة من الحديث وهى ما أنعم الله به من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من الظلمات الى النور ومن الذلة للعزة وقال الشارح ابن أبى الحديد الضمائر للجاهلية المفهومة من الكلام وكونه فى ساقتها أنه طارد لها. ويضعفه أن ساقة الجيش منه لا من مقاتله فلو كان فى ساقة الجاهلية لكان من جيشها نعوذ بالله. ويمكن تصحيح كلام الشارح بجعل الساقة جمع سائق أى كنت فى الذين يسوقونها طرداً حتى ولت (٤) أى أنه يسير الى الجهاد فى سبيل الحق (٥) الباطل يبادر الأوهام فيشغلها عن الحق ويقوم حجابا ما نعا للبصيرة عن الحقيقة فكأنه شىء اشتمل على الحق فستره

لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ الْيَوْمَ * (وَاللهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْش إِلَّا أَنَّ اللهَ اخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا فَكَانُوا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ الْمَحْضَ صَابِحاً
وَأَكْلَكَ بِالزُّبْدِ الْمُقَشَّرَةَ الْبُجْرَا

وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ الْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ
عَلِيًّا وَحُطْنَا حَوْلَكَ الْجُرْدَ وَالسُّمْرَا)

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اسْتِنْفَارِ النَّاسِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ)

أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ . أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ عِوَضًا . وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلَفًا . إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ (١) . وَمِنَ الذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ (٢) فَكَأَنَّ

وصار الحق فى طيه. والكلام تمثيل لحال الباطل مع الحق وحال الامام فى كشف الباطل واظهار الحق (١) دوران الأعين اضطرابها من الجزع. ومن غمره الموت يدور بصره فانهم يريدون من غمرة الموت الشدة التى تنتهى اليه يشير الى قوله تعالى (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) (٢) الحوار بالفتح فى الكلام. و يرتج بمعنى يغلق

* ما بين القوسين زيادة فى بعض النسخ .

قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ (١) فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ . مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي (٢) وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ وَلَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ . (٣) مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا . فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ . لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللهِ سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ . (٤) تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ . وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ (٥) لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ . غُلِبَ وَاللهِ الْمُتَخَاذِلُونَ وَأَيْمُ (٦) اللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ (٧) وَاللهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ (٨)

---

(١) المألوسة المخلوطة بمس الجنون أى لا تهتـدون لفهمه فتعمهون أى تتحيرون وتترددون (٢) سجيس بفتح فكسر كلمة تقال بمعنى أبداً. وسجيس أصله من سجس الماء بمعنى تغير وكدر. وكان أصل الاستعمال ما دامت الليالى بظلامها أى ما دام الليل ليلا . ويقال سجيس لا وجس بفتح الجيم وضمها، وسجيس عجيس كل ذلك بمعنى أبداً أى أنهم ليسوا بثقات عنده يركن اليهم أبداً (٣) الزافرة من البناء ركنه ومن الرجل عشيرته. وقوله يمال بكم أى يمال على العدو بعزكم وقوتكم (٤) السعر أصله مصدر سعر النار من باب نفع أوقدها، أى لبئس ما توقد به الحرب أنتم. ويقال ان سعر جمع ساعر كشرب جمع شارب وركب جمع راكب (٥) امتعض غضب (٦) غلب مبنى للمجهول. والمتخاذلون الذين يخذل بعضهم بعضا ولا يتناصرون (٧) حمس كفرح اشتد . والوغى الحرب. واستحر بلغ فى النفوس غاية حدته . وقوله انفراج الرأس أى انفراجا لا التئام بعده فان الرأس اذا انفرج عن البدن أو انفرج أحد شقيه عن الآخر لم يعد للالتئام (٨) يأكل لحمه حتى لا يبقى منه شيء على العظم . وفراه يفريه

وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ . وَيَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ (١) أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ (٢) فَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ. وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ (٣) . وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ . فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ . وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ (٤) وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا . وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ . وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ . وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ التَّحْكِيمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ (٥) وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ .

مزقه يمزقه (١) ما ضمت عليه الجوانح هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية. والجوانح الضلوع تحت الترائب، والترائب ما يلي الترقوتين من عظام الصدر أو ما بين الثديين والترقوتين . يريد ضعيف القلب (٢) يمكن أن يكون خطابا عاما لكل من يمكن عدوه من نفسه . ويروى أنه خطاب للأشعث بن قيس عند ما قال له هلا فعلت فعل ابن عفان فأجابه بقوله ان فعل ابن عفان لمخزاة على من لادين له وان امرءا الخ (٣) أى لا يمكن عدوه من نفسه حتى يكون دون ذلك ضرب بالمشرفية وهى السيوف التى تنسب إلى مشارف وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، ولا يقال فى النسبة اليها مشارفى. وفراش الهام العظام الرقيقة التى تلى القحف. وتطيح السواعد أى تسقط (٤) الفىء الخراج وما يحويه بيت المال (٥) من فدحه الدين أى أثقله . والحدث

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرِّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ . وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي(١) لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ(٢) فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاةِ وَالْمُنَابِذِينَ الْعُصَاةِ . حَتَّى ارْتَابَ

بالتحريك الحادث (١) الحكومة حكومة الحكمين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى. وذلك بعد ما وقف القتال بين على أمير المؤمنين ومعاوية بن أبى سفيان فى حرب صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة فان جيش معاوية لما رأى أن الدبرة تكون عليه رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم الى كتاب الله وكانت الحرب أكلت من الفريقين ،فانخدع القراء وجماعة تبعوهم من جيش على وقالوا : دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق بالاجابة اليه، فقال لهم أمير المؤمنين انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها انهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة ، أعيرونى سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الاأن يقطع دابر الذين ظلموا، فخالفوا واختلفوا، فوضعت الحرب أوزارها وتكلم الناس فى الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما فى كتاب الله فاختار معاوية عمرو بن العاص واختار بعض أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعرى فلم يرض أمير المؤمنين واختار عبدالله بن عباس فلم يرضوا ثم اختار الأشتر النخعى فلم يطيعوا فوافقهم على أبى موسى مكرها بعد أن أعذر فى النصيحة لهم فلم يذعنوا. فقد نخل لهم أى أخلص رأيه فى الحكومة أولا وآخراً ثم انتهى أمر التحكيم بانخداع أبى موسى لعمرو بن العاص وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية ثم صعود عمرو بعده واثباته معاوية وخلعه أمير المؤمنين ، وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين وأصحابه (٢) هو مولى جذيمة المعروف

ٱلنَّاصِحُ بِنُصْحِهِ(١) . وَضَنَّ ٱلزَّنْدُ بِقَدْحِهِ فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ

أَمَرْتُكُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ ٱللِّوَى
فَلَمْ تَسْتَبِينُوا ٱلنُّصْحَ إِلَّا ضُحَى ٱلْغَدِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي تَخْوِيفِ أَهْلِ ٱلنَّهْرَوَانِ (٢)

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا ٱلنَّهْرِ وَبِأَهْضَامِ هٰذَا

بالابرش وكان حاذقا وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن للزباء ملكة الجزيرة خالفه وقصدها اجابة لدعوتها الى زواجه فقتلته فقال قصير «لا يطاع لقصير أمر» فذهب مثلا (١) يريد بالناصح نفسه أى أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك فى نصيحته وظن أن النصح غير نصح وأن الصواب ما اجمعوا عليه. وتلك سنة البشر اذا كثر المخالف للصواب اتهم المصيب نفسه. وقوله ضن الزند بقدحه أى أنه لم يعن له بعد ذلك رأى صالح لشدة ما لقى من خلافهم وهكذا المشير الناصح اذا اتهم واستغش عشت بصيرته وفسد رأيه. وأخو هوازن هودريد بن الصمة. ومنعرج اللوى اسم مكان وأصل اللوى من الرمل الجدد بعد الرملة. ومنعرجه منعطفه يمنة ويسرة وفى هذه القصيدة :

فلما عصونى كنت منهم وقد أرى غوايتهم أو أننى غير مهتدى
وما أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

(٢) النهروان اسم لأسفل نهر بين الخافيق وطرفاء على مقربة من الكوفة فى طرف صحراء حروراء . ويقال لأعلى ذلك النهر تامر ، وكان الذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطأوه فى التحكيم قد نقضوا بيعته وجهروا بعداوته وصاروا له حربا واجتمع معظمهم عند ذلك الموضع. وهؤلاء يلقبون بالحرورية لما تقدم أن الأرض التى اجتمعوا

الْغَائِطِ(١) عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ . قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ(٢). وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ. وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ(٣). حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ . وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ(٤) . سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْرًا(٥) وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا

فيها كانت تسمى حروراء وكان رئيس هـذه الفئة الضالة حرقوص بن زهير السعدى ويلقب بذى الثدية (تصغير ثدية) خرج اليهم أمير المؤمنين يعظهم فى الرجوع عن مقالتهم والعودة الى بيعتهم فأجابوا النصيحة برمى السهام وقتال أصحابه كرم الله وجهه فأمر بقتالهم وتقدم القتال بهذا الانذار الذى تراه (١) صرعى جمع صريع أى طريح أى انى احذركم من اللجاج فى العصيان فتصبحوا مقتولين مطروحين بعضكم فى أثناء هذا النهر و بعضكم بأهضام هذا الغائط. والاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادى. والغائط ما سفل من الأرض والمراد منهـا المنخفضات (٢) أى صرتم فى متاهة ومضلة لا يدع الضـلال لـكم سبيلا الى مستقر من اليقين فأنتم كمن رمت به داره وقذفته و يقال تطاوحت به النوى أى ترامت. وقد يكون المعنى أهلـكتكم دار الدنيا كما اختزناه فى الطبعة الأولى. والمقدار القدر الالهى. واحتبلهم أوقعهم فى حبالته فهم مقيدون للهلاك لا يستطيعون منه خروجا (٣) نهاهم عن اجابة الشـام فى طلب التحكيم بقوله ا ه‍ م ما رفعوا المصاحف ليرجعوا الى حكمها إلى آخر ماتقدم فى الخطبة السابقة وقد خالفوه بقولهم دعينا الى كتاب الله فنحن أحق بالاجابة اليه بل أغلظوا فى القول حتى قال بعضهم لئن لم تجبهم الى كتاب الله أسلمناك لهم وتخلينا عنك (٤) الهام الرأس. وخفتها كناية عن قلة العقل (٥) البجر بالضم الشر والأمر العظيم والداهيـة. قال الراجز * أرمى عليها وهى شىء بجر * أى داهية . و يقال لقيت منه البجارى وهى الدواهى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجْرِي مَجْرَى الْخُطْبَةِ (١)

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا . وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا (٢) وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا . وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللّٰهِ حِينَ وَقَفُوا . وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً (٣) وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً (٤) . فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا . وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا (٥) . كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ . وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ . لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ

واحـدها بجرى مثل قمرى وقمارى (١) هذا الـكلام ساقه الرضى كأنه قطعة واحدة لغرض واحـد وليس كذلك، بل هو قطع غير متجاورة كل قطعة منها فى معنى غير ماللأخرى، وهو أربعة فصول: الأول من قوله فقمت بالأمر الى قوله واستبددت برهانها. والفصل الثانى من قوله كالجبل لا تحركه القواصف الى قوله حتى آخذ الحق منه والفصل الثالث من قوله رضينا عن الله قضـاءه الى قوله فلا أكون أول من كذب عليه. والفصل الرابع ما بقى (٢) يصف حاله فى خلافة عثمان رضى الله عنه ومقاماته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنـكر أيام الاحـداث أى أنه قام بانـكار المنـكر حين فشل القوم أى جبنهم وخورهم. والتقبع الاختباء والتطلع ضده يقال امرأة طلعة قبعة تطلع ثم تقبع رأسها أى تدخله كما يقبع القنفذ أى يدخل رأسه فى قبعة جلده. وقبع الرجل أدخل رأسه فى قميصه أى أنه ظهر فى اعزاز الحق والتنبيه على مواقع الصـواب حين كان يختبىء القوم من الرهبة. ويقال تقبع فلان فى كلامه اذا تردد من عى أو حصر. فقد كان ينطق بالحق ويستقيم به لسانه والقوم يترددون ولا يبينون (٣) كناية عن ثبات الجأش فان رفع الصوت عنـد المخاوف انما هو من الجزع وقد يكون كناية عن التواضع أيضا (٤) الفوت السبق (٥) هـذا الضمير وسابقه يعودان الى الفضيلة المعلومة من الـكلام فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وهو يمثل حاله مع القوم بحـال خيل الحلبة. والعنان للفرس معروف. وطار به سبق به. والرهان الجعل الذى وقع التراهن عليه

مَهْمَزٌ[1] وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ . الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ . وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . رَضِينَا عَنِ اللّٰهِ قَضَاءَهُ وَسَلَّمْنَا لِلّٰهِ أَمْرَهُ[2]. أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ واللّٰهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي[3] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ . فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللّٰهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ . وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى[4] . وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللّٰهِ

---

(١) الهمز والغمز الوقيعة أي لم يكن فيّ عيب أعاب به. وهذا هو الفصل الثاني يذكر حاله بعد البيعة أي أنه قام بالخلافة كالجبل الخ وقوله الذليل عندي الخ أي أنني أنصر الذليل فيعز بنصري حتى اذا أخذ حقه رجع الى ما كان عليه قبل الانتصار بي . ومثل ذلك يقال فيما بعده (٢) قوله رضينا الخ كلام قاله عندما تفرس في قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به من أنباء الغيب (٣) قوله فنظرت الخ هذه الجملة قطعة من كلام له في حال نفسه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فيه أنه مأمور بالرفق في طلب حقه فأطاع الأمر في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فبايعهم امتثالا لما أمره النبي به من الرفق وايفاء بما أخذ عليه النبي من الميثاق في ذلك (٤) سمت الهدى طريقته وقوله فما ينجو من الموت الخ لبس ملتئما مع ما قبله فهو قطعة من كلام آخر

فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَمَى . فَمَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَلَا يُعْطَى الْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ[1] وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ . لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ . أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ تُحْمِشُكُمْ[2] أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا . وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا . حَتَّى تَكَشَّفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ[3] فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ . دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسَرِّ . وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الْأَدْبَرِ[4] ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ[5] . (أَقُولُ) قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ضمه الى هذا على نحو ما جمع الفصول المتقدمة (١) منيت بليت (٢) حمشه كنصره جمعه. وحمش القوم ساقهم بغضب. أومن أحمشه بمعنى أغضبه أى تغضبكم على أعدائكم. والمستصرخ المستنصر. ومتغوثا أى قائلا واغوثاه (٣) تكشف مضارع حذف زائده والأصل تتكشف أى تنكشف ، أى انكم لا تزالون تخالفوننى وتخذلوننى حتى تنجلى الأمور والأحوال عن العواقب التى تسوءنا ولا تسرنا (٤) الجرجرة صوت يردده البعير فى حنجرته . والأسر المصاب بداء السرر وهو مرض فى الكركرة ينشأ من الدبرة. والنضو المهزول من الأبل. والأدبر المدبور أى المجروح المصاب بالدبرة بالتحريك وهى العقر والجرح من القتب ونحوه (٥) وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين فى غارة

مُتَذَائِبٌ أَىْ مُضْطَرِبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ تَذَاءبَتِ الرِّيحُ أَىِ اضْطَرَبَ هُبُوبُهَا. وَمِنْهُ سُمِّىَ الذِّئْبُ ذِئْباً لِاضْطِرَابِ مِشْيَتِهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِى الْخَوَارِجِ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ. نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. وَلَكِنْ هؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ: وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ (١) يَعْمَلُ فِى إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ. وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ. وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الْأَجَلَ. وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَىْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ. وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ. وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِىِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بِهِ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ (وَفِى رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ) حُكْمَ اللهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ (وَقَالَ) أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِىُّ. وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِىُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ

النعمان بن بشير الانصارى على عين النمر من أعمال أمير المؤمنين وعليها اذ ذاك من قبله مالك بن كعب الارحبى (١) برهان على بطلان زعمهم أنه لا امرة الا لله بان البداهة قاضية أن الناس لابد لهم من أمير بر أوفاجر حتى تستقيم أمورهم وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لاحراز دينه ودنياه وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه الاجل ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة وتجرى سائر المصالح المذكورة، ويمكن أن يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البار وبالكافر الأمير الفاجر كما

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

إِنَّ ٱلْوَفَاءَ تَوْأَمُ ٱلصِّدْقِ(١) وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ . وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ ٱلْمَرْجِعُ . وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ ٱتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ ٱلْغَدْرَ كَيْسًا(٢) وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ ٱلْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ ٱلْحِيلَةِ . مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ قَدْ يَرَى ٱلْحُوَّلُ ٱلْقُلَّبُ وَجْهَ ٱلْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ ٱلْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي ٱلدِّينِ(٣)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ ٱثْنَتَانِ : ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى ،

تدل عليه الرواية الأخرى وقوله أما الامرة البرة الخ (١) التوأم الذى يولد مع الآخر فى حمل واحد، فالصدق والوفاء قرينان فى المنشأ لا يسبق أحدهما الآخر فى الوجود ولا فى المنزلة. والجنة بالضم الوقاية. ومن علم أن مرجعه الى الله وهو سريع الحساب لا يمكن أن يعدل عن الوفاء الى الغدر (٢) الكيس بالفتح العقل وأهل ذلك الزمان يعدون الغدر من العقل وحسن الحيلة كأنهم أهل السياسة من بنى زماننا. وأمير المؤمنين يعجب من زعمهم ويقول ما لهم قاتلهم الله يزعمون ذلك مع أن الحول القلب بضم الأول وتشديد الثانى من اللفظين أى البصير بتحويل الأمور وتقليبها قد يرى وجه الحيلة فى بلوغ مراده لكنه يجد دون الأخذ به مانعا من أمر الله ونهيه فيدع الحيلة وهو قادر عليها خوفا من الله ووقوفا عند حدوده (٣) الحريجة التحرج

وَطُولُ ٱلْأَمَلِ(١) . فَأَمَّا ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ ٱلْحَقِّ . وَأَمَّا طُولُ ٱلْأَمَلِ فَيُنْسِي ٱلْآخِرَةَ . أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ(٢) فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ(٣) كَصُبَابَةِ ٱلْإِنَاءِ ٱصْطَبَّهَا صَابُّهَا . أَلَا وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ . فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ ٱلدُّنْيَا ، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ . (أَقُولُ) ٱلْحَذَّاءُ ٱلسَّرِيعَةُ . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْوِيهِ جَذَّاءَ(٤) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِٱلْاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ بَعْدَ إِرْسَالِهِ جَرِيرَ ٱبْنَ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْبَجَلِيَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ

إِنَّ ٱسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ ٱلشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ . وَلَكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتًا

أى التحرز من الأنام (١) طول الأمل هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل طلبا للراحة العاجلة وتسلية للنفس بامكان التدارك فى الأوقات المقبلة ، وهذا من اقبح الصفات. أماقوة الأمل فى نجاح الأعمال الصالحة ثقة بالله و يقينا بعونه فهى حياة كل فضيلة وسائقة لكل مجد ، والمحرومون منها آيسون من رحمة الله تحسبهم أحياء وهم أموات لا يشعرون (٢) الحذاء بالتشديد الماضية السريعة (٣) الصبابة بالضم البقية من الماء واللبن فى الاناء . واصطبها صابها كقولك أبقاها مبقيها أو تركها تاركها (٤) جذاء

لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِياً. وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ، فَأَرْوِدُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ(١)

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هٰذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ(٢). وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ: فَلَمْ أَرَ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالاً فَقَالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا(٣).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا هَرَبَ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَكَانَ قَدِ ابْتَاعَ سَبْيَ بَنِي نَاجِيَةَ مِنْ عَامِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالجيم أى مقطوع خيرها ودرها (١) يقول أمير المؤمنين انه أرسل جريراً ليخابر معاوية وأهل الشام فى البيعة له والدخول فى طاعته ولم ينقطع الأمل منهم، فاستعداده للحرب وجمعه الجيوش وسوقها إلى أرضهم اغلاق لأبواب السلم على أهل الشام وصرف لهم عن الخير ان كانوا يريدونه، فالرأى الأناة أى التأنى ولكنه لا يكره الاعداد أى أن يعد كل شخص لنفسه ما يحتاج اليه فى الحرب من سلاح ونحوه ويفرغ نفسه مما يشغله عنها لو قامت حتى إذا دعى اليها لم يبطىء فى الاجابة ولم يجد ما يمنعه عن اقتحامها، وقوله أرودوا أى سيروا برفق (٢) مثل تقوله العرب فى الاستقصاء فى البحث والتأمل والفكر. وانما خص الأنف والعين لأنهما أظهر شىء فى صورة الوجه وهما مستلفت النظر، والمراد من الكفر فى كلامه الفسق لأن ترك القتال تهاون بالنهى عن المنكر وهو فسق لا كفر (٣) يريد من الوالى الخليفة الذى كان قبله، وتلك الأحداث معروفة فى التاريخ وهى التى أدت بالقوم إلى التألب على قتله، ويروى قال بالقاف بدل وال ولا أظنها الا تحريفاً وان كنت أتيت على تفسيرها فى الطبعة الأولى

وَأَعْتَقَهُمْ (١) فَلَمَّا طَالَبَهُ بِالْمَالِ خَاسَ بِهِ وَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ (٢)

قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ. فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ. فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ. وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ (٣). وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ (٤)

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الْحَمْدُ لِلّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ. وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ. وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ. الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ. وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ (٥) وَلِأَهْلِهَا

---

(١) كان الخريت بن راشد الناجى أحد بنى ناجيـة مع أمير المؤمنين فى صفين ثم نقض عهده بعد صفين ونقم عليه فى التحكيم وخرج يفسد الناس ويدعوهم للخلاف، فبعث اليه أمير المؤمنين كتيبة مع معقل بن قيس الرياحى لقتاله هو ومن انضم اليه فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس، وبعد دعوته إلى التوبة وابائه قبولها شدت عليه فقتل وقتل معه كثير من قومه وسبى من أدرك فى رحالهم من الرجال والنساء والصبيان فكانوا خمسمائة أسير. ولما رجع معقل بالسبى مر على مصقلة بن هبيرة الشيبانى وكان عاملا لعلى على أردشير خره فبكى اليه النساء والصبيان وتصايح الرجال يستغيثون فى فكاكهم فاشتراهم من معقل بخمسمائة ألف درهم ثم امتنع من أداء المبلغ. ولما ثقلت عليه المطالبة بالحق لحق بمعاوية فراراً تحت أستار الليل (٢) خاس به خان (٣) ميسوره ما تيسر له (٤) وفوره زيادته (٥) منى لها الفناء الفعل للمجهول.

مِنْهَا ٱلْجَلَاءُ. وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ(١) وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ(٢) وَٱلْتَبَسَتْ بِقَلْبِ ٱلنَّاظِرِ. فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ ٱلزَّادِ(٣). وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ ٱلْكَفَافِ(٤) وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ ٱلْبَلَاغِ(٥)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

عند عزمه على المسير الى الشام (٦)

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ ٱلسَّفَرِ(٧) وَكَآبَةِ ٱلْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ ٱلْمَنْظَرِ فِي ٱلْأَهْلِ وَٱلْمَالِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ ٱلصَّاحِبُ فِي ٱلسَّفَرِ وَأَنْتَ ٱلْخَلِيفَةُ فِي ٱلْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ ٱلْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً وَٱلْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً

---

(١) تمثيل لها بما يألفه الذوق ويروق النظر (٢) عجلت للطالب أسرعت اليه، والتبست بقلب الناظر اختلطت به محبة وعلقة (٣) أحسن ما بحضرتكم أى أفضل الأشياء الحاضرة عندكم، وذلك فاضل الأخلاق وصالح الأعمال (٤) الكفاف ما يكفك أى يمنعك عن سؤال غيرك وهو مقدار القوت (٥) البلاغ ما يتبلغ به أى يقتات به (٦) وذلك بعد حرب الجمل حيث اختلف عليه معاوية بن أبى سفيان ولم يدخل فى بيعته وقام للمطالبة بدم عثمان واستهوى أهل الشام واستنصرهم لرأيه فعززوه على الخلاف، وسار اليه أمير المؤمنين والتقيا بصفين واقتتلا مدة غير قصيرة وانتهى القتال بتحكيم الحكمين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى (٧) الوعثاء المشقة، والكآبة الحزن، والمنقلب مصدر بمعنى الرجوع. وأول الكلام مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتب الصحيحة

أى قدر لها، والجلاء الخروج من الأوطان

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ الْكُوفَةِ

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ الْأَدِيمِ الْعُكَاظِيِّ[1] تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ . وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءًا إِلَّا ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْمَسِيرِ إِلَى الشَّامِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ[2] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ[3] . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافَإِ الْإِفْضَالِ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي[4] . وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي . وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ

وأتمه أمير المؤمنين بقوله ولا يجمعهما غيرك الخ . وذات الله تستوى عندها الأمكنة كما تستوى الأزمنة ، فالحضر والسفر عندها سواء ، وليس هـذا الشأن لغير الذات الأقـدس (١) العكاظى نسبة الى عكاظ كغراب وهو سوق كانت تقيمه العرب في صحراء بين نخلة والطائف يجتمعون اليه من بداية شهر ذى القعـدة ليتعاكظوا أى يتفاخروا كل بما لديه من فضيلة وأدب . ويستمر الى عشرين عاماً وليتبايعوا أيضاً . وأكثر ما كان يباع بتلك السوق الأديم فنسب اليها، والأديم الجلد المدبوغ ، وجمعه أدم بفتحتين وضمتين، وآدمة كأرغفة. وقوله تمدين الخ تصوير لما ينالها من العسف والخبط ، وتعركين من عركتهم الحرب اذا مارستهم ، والنوازل الشدائد ، والزلازل المزعجات من الخطوب (٢) وقب دخل ، وغسق اشتدت ظلمته (٣) خفق النجم غاب ، ولاح ظهر (٤) أراد بمقدمته صـدر جيشه ، ومقدمة الانسان بفتح الدال

مِنْكُمْ مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ[1] فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ[2]. (أَقُولُ يَعْنِي عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِالْمِلْطَاطِ هَاهُنَا السَّمْتَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِلُزُومِهِ وَهُوَ شَاطِئُ الْفُرَاتِ. وَيُقَالُ ذٰلِكَ أَيْضًا لِشَاطِئِ الْبَحْرِ، وَأَصْلُهُ مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ. وَيَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءَ الْفُرَاتِ. وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ الْعِبَارَاتِ وَعَجِيبِهَا)

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ[3]. وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلاَمُ الظُّهُورِ. وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ. فَلاَ عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ. وَلاَ قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ[4]. سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلاَ شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ. وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ

صدره، والملطاط حافة الوادى وشفيره، وساحل البحر، والسمت أى الطريق، وقول الشريف يعنى بالملطاط السمت تبيين لمراد أمير المؤمنين من لفظ الملطاط فى كلامه لا تفسير اللفظ فى نفسه، وقوله وهو شاطىء الفرات بيان للسمت أى الطريق، وقوله ويقال ذلك ـ أى لفظ الملطاط ـ تفسير للفظ الملطاط فى استعمال اللغويين، فاندفع بهذا ما أورده ابن أبى الحديد على عبارته من أنها خالية من المعنى (١) الشرذمة النفر القليلون، والاكناف الجوانب. وموطنين الاكناف أى جعلوها وطنا. يقال أوطنت البقعة (٢) الامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش لتقويته. وهذه الخطبة نطق بها أمير المؤمنين وهو بالنخيلة خارجا من الكوفة الى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين (٣) بطن الخفيات علمها، والاعلام جمع علم بالتحريك وهو المنار يهتدى به ثم عم فى كل ما دل على شىء، وأعلام الظهور الأدلة الظاهرة التى بظهورها يظهر غيرها (٤) كان الأليق بعد قوله وامتنع على عين البصير ما جاء فى رواية أخرى وهو

فَلاَ شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ[1]. فَلاَ اُسْتِعْلاَؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَلاَ قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ . لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ . وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ . فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُودِ . عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ[2] تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ . وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ . يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ . وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً[3] عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ . فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ . وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ لاَنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ[4] وَلَكِنْ

فلا قلب من لم يره ينكره، ولا عين من أثبته تبصره. وما جاء فى الكتاب معناه أن من لم يره لا ينكره اعتمادا على عدم رؤيته لظهور الأدلة عليه. ومن أثبته لا يستطيع اكتناه حقيقته (١) علا كل شيء بذاته وكماله وجلاله وقرب من كل شيء بعلمه وارادته واحاطته وعنايته فلا شيء الا وهو منه فأى شيء يبعد عنه (٢) ان قلب الجاحد أن انكره فا انكاره الا افتعال مما عرض عليه من أثر الفواعل الخارجة عن فطرته. وظهور اعلام الوجود فى الدلالة عليه لا يقوى على مدافعة تأثيره قلب الجاحد. فلا مناص له من الاقرار فى الواقع وان ظهر الجحود فى كلامه و بعض أعماله (٣) يستعين عليها رجال برجال (٤) المرتادين الطالبين للحقيقة أى لو كان الحق خالصاً من ممازجة

يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هٰذَا ضِغْثٌ (١) فَيُمْزَجَانِ ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِى الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا غَلَبَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ أَصْحَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى شَرِيعَةِ الْفُرَاتِ بِصِفِّينَ وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الْمَاءِ (٢)

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ (٣) فَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ . وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ . أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تُرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ . فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ . وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ . أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ (٤) . وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ (٥) حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ

الباطل ومشابهته لكان ظاهرا لا يخلو على من طلبه (١) الضغث بالكسر قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس، يريد أنه ان أخذ الحق من وجه لم يعدم شبيها له من الباطل يلتبس به . وان نظر الى الباطل لاح كأن عليه صورة الحق فاشتبه به، فذلك ضغث الحق وهذا ضغث الباطل . ومصادر الاهواء التى ينشأ عنها وقوع الفتن انما هى من الالتباس الواقع بين الحق والباطل (٢) الشريعة مورد الشاربة من النهر (٣) طلبوا منكم أن تطعموهم القتال كما يقال فلان يستطعمنى الحديث أى يستدعيه منى . وقوله فقروا الخ أى اما أن تثبتوا على الذل وتأخر المنزلة ، واما أن ترووا سيوفكم الخ (٤) اللمة بضم اللام وتشديد الميم الاصحاب فى السفر ، و بتخفيفها الجملة القليلة مطلقا ، أو من الثلاثة الى العشرة. والتقليل مستفاد من الأول بطريق الكناية، ومن الثانى على الحقيقه الصريحة. وفى الأول الاشارة إلى انهم ليسوا بأهل حرب (٥) عمس الكتاب والخبر كنصر اخفاه. وعمست عليه اذا أريته أنك لا تعرف الأمر

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (*)

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا. وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ(١) فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا(٢) وَتَحْدُرُ بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا(٣) وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْوًا. وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا(٤). فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ(٥). أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ(٦). فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هٰذِهِ الدَّارِ، الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ(٧). وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ

وأنت به عارف، والاغراض جمع غرض وهو الهدف (١) حذاء: مسرعة. ورحم حذاء مقطوعة غير موصولة. وفى رواية جذاء بالجيم أى مقطوعة الدر والخير (٢) تحفزهم تدفعهم وتسوقهم، حفزه يحفزه دفعه من خلفه. أو هو بمعنى تطعنهم من حفزه بالرمح طعنه (٣) تحدر بالراء من باب نصر وضرب، أى تحوطهم بالموت. وفى رواية وهى الصحيحة تحدو بالواو بعد الدال أى تسوقهم بالموت إلى الهلاك فتكون الفقرة فى معنى ما قبلها مؤكدة لها (٤) أمرّ الشىء صار مرا. وكدر كفرح كدراً وكظرف كدورة تعكر وتغير لونه واختلط بما لا يساغ هو معه (٥) السملة محركة بقية الماء فى الحوض. والاداوة المطهرة (اناء الماء الذى يتطهر به) والمقلة بالفتح حصاة يضعها المسافرون فى اناء ثم يصبون الماء فيه ليغمرها فيتناول كل منهم مقدار ما يغمرها لا يزيد أحدهم عن الآخر فى نصيبه، يفعلون ذلك إذا قل الماء وأرادوا قسمته بالسوية (٦) التمزز الامتصاص قليلا قليلا، والصديان العطشان وقوله لم ينقع أى لم يرو (٧) فأزمعوا الرحيل أى عزموا عليه. يقال أزمع الأمر ولا يقال ازمع عليه، وجوزه الفراء بمعنى عزم عليه وأجمع.

(*) فى نسخة زيادة: «قد تقدم مختارها برواية ونذكرها هاهنا برواية أخرى لتغاير الروايتين»

ٱلْأَمَدُ . فَوَٱللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ ٱلْوُلْهِ ٱلْعِجَالِ(١) ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ ٱلْحَمَامِ(٢) وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ ٱلرُّهْبَانِ(٣) ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ ٱلْتِمَاسَ ٱلْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ٱرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ(٤) ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ ، وَٱللهِ لَوِ ٱنْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ ٱنْمِيَاثًا(٥) وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي ٱلدُّنْيَا مَا ٱلدُّنْيَا بَاقِيَةٌ(٦) مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ ـ وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جَهْدِكُمْ ـ أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ ٱلْعِظَامَ وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ(٧)

فِي ذِكْرِ يَوْمِ ٱلنَّحْرِ وَصِفَةِ ٱلْأُضْحِيَةِ

وَمِنْ كَمَالِ ٱلْأُضْحِيَةِ ٱسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا(٨) وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا . فَإِذَا سَلِمَتِ

والمراد من العزم على الرحيل مراعاته والعمل له (١) كل انثى فقدت ولدها فهى واله ووالهة.والعجول من الابل التى فقدت ولدها (٢) هديل الحمام صوته فى بكائه لفقد الفه (٣) جأرتم رفعتم أصواتكم . والجؤار الصوت المرتفع ، أى تضرعتم الى الله بأرفع اصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل. والمتبتل المنقطع للعبادة (٤) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد (٥) انماثت ذابت (٦) ما الدنيا باقية أى مدة بقائها (٧) قوله ماجزت جواب لو انماثت. وقوله أنعمه عليكم العظام مفعول جزت أى ما كافأ ذلك أنعمه الكبار عليكم . وقوله ولو لم تبقوا شيئا الخ اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفى فى الجواب . وقوله وهداه اياكم عطف على أنعمه عطف الخاص على العام ، فان الهداية إلى الايمان من اكبر النعم (٨) الاضحية الشاة التى

اَلْأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الْأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ . وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ[١] تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ[٢] (قَالَ الرَّضِى وَالْمَنْسَكُ هُنَا الْمَذْبَحُ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا[٣] قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا[٤] حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضَهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ. وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ . فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[٥] فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ. وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ

طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى ، واستشراف الأذن تفقدها حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوقة. وفى الحديث أمرنا أن نستشرف العين والأذن أى نتفقدها وذلك من كمال الأضحية أى من كمال عملها وتأدية سنتها، وتكون سلامة عينها عطفا على اذنها . وقد يراد من استشراف الأذن طولها وانتصابها. أذن شرفاء أى منتصبة طويلة فسلامة عينها عطف على استشراف والتفسير الأول أمس بقوله فاذا سلمت الاذن (١) عضباء القرن مكسورته (٢) تجر رجلها الى المنسك أى عرجا . والمنسك المذبح . وفى صفات الاضحية وعيوبها المخلة بها تفصيل وخلافات تطلب من كتب الفقه (٣) تداكّوا تزاحموا عليه ليبايعوه رغبة فيه. والهيم العطاش . و يوم وردها يوم شربها (٤) جمع المثناة بفتح الميم وكسرها حبل من صوف أو شعر يعقل به البعير (٥) قتال البغاة من الواجب على الامام ، فان لم يقاتلهم على قدرة منه كان منابذا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدِ اسْتَبْطَأَ أَصْحَابُهُ إِذْنَهُ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ بِصِفِّينَ

أَمَّا قَوْلُكُمْ أَ كُلُّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَاللّٰهِ مَا أُبَالِي أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ[١]. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكّاً فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللّٰهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْماً إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، وَذٰلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا . مَا يَزِيدُنَا ذٰلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ[٢]

لأمر الله فى ترك ما أوجبه عليه فكأنه جاحد لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) روى أن أمير المؤمنين بعدما ملك الماء على أصحاب معاوية ساهمهم فيه رجاء أن يعطفوا اليه، ولزوما للمعدلة وحسن السيرة، ومكث أياما لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه منه شيء، واستبطأ الناس اذنه فى قتال أهل الشام. واختلفوا فى سبب التريث فقال بعضهم كراهة الموت، وقال بعضهم الشك فى جواز قتال أهل الشام، فاجابهم: أما الموت لم يكن ليبالى به؛ وأما الشك فلا موضع له وانما يرجو بدفع الحرب أن يتجاوزوا اليه بلا قتال فان ذلك أحب اليه من القتال على الضلال وان كان الاثم عليهم. وتبوء بآثامها ترجع بها. وتعشو إلى ضوئه تستدل عليه وان كان ببصر ضعيف فى ظلام الفتن فتهتدى اليه. عشا إلى النار أبصرها ليلا ببصر ضعيف فقصدها (٢) اللقم بالتحريك معظم الطريق

وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ ٱلْأَلَمِ وَجِدًّا فِي جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ . وَلَقَدْ كَانَ ٱلرَّجُلُ مِنَّا وَٱلْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ ٱلْفَحْلَيْنِ . يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا[١] أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ ٱلْمَنُونِ . فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا . وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا . فَلَمَّا رَأَى ٱللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا ٱلْكَبْتَ[٢] وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا ٱلنَّصْرَ حَتَّى ٱسْتَقَرَّ ٱلْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ[٣] . وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ . وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ . وَلَا ٱخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا[٤] ، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَمًا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ

أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ ٱلْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ ٱلْبَطْنِ[٥]

أو جادته. ومضض الألم لذعته وبرحاؤه (١) يتخالسان كل يطلب اختلاس روح الآخر. والتصاول أن يحمل كل قرن على قرنه (٢) الكبت الذل والخذلان (٣) جران البعير بالكسر مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره. والقاء الجران كناية عن التمكن (٤) الاحتلاب استخراج ما فى الضرع من اللبن. والضمير المنصوب يعود إلى أعمالهم المفهومة من قوله ما أتيتم. واحتلاب الدم تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سوء العاقبة من أعمالهم، وسيتبعون تلك الأعمال بالندم عند ما تصيبهم دائرة السوء أو تحل قريبا من دارهم (٥) مندحق البطن عظيم البطن بارزه كأنه لعظمه مندلق من بدنه يكاد يبين عنه. واصل اندحق بمعنى اندلق وفى الرحم خاصة ، والدحوق من النوق التى يخرج رحمها عند الولادة. ورحب البلعوم واسعه. يقال عنى به زياداً. و بعضهم يقول عنى المغيرة

يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَالَا يَجِدُ . فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ[١] . أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي . فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ . وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ[٢]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ[٤] وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ . أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ . لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ . وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ . أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا . وَسَيْفًا قَاطِعًا . وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً[٥]

ابن شعبة والبعض يقول معاوية (١) هـذا الأمر (٢) قد تسب شخصاً وأنت مكره وحبه مستبطن فتنجو من شر من أكرهك. وما أكرهك على سبه الا مستعظم لأمره يريد أن يحط منه وذلك زكاة للمسبوب. أما البراءة من شخص فهي الانسلاخ من مذهبه (٣) زعم الخوارج خطأ الامام فى التحكيم، وغلوا فشرطوا فى العودة إلى طاعته أن يعترف بانه كان كفر ثم آمن، فخاطبهم بما منه هـذا الكلام (٤) الحاصب ريح شديدة تحمل الحصباء والجملة دعاء عليهم بالهلاك (٥) أو بوا شر مآب : انقلبوا شر منقلب بضلالكم فى زعمكم، وارتدوا على اعقابكم بفساد هواكم فلن يضرنى ذلك

(قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ يُرْوَى بِالْبَاءِ وَٱلرَّاءِ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ آبِرٌ لِلَّذِي يَأْبُرُ ٱلنَّخْلَ أَيْ يُصْلِحُهُ. وَيُرْوَى آثِرٌ وَهُوَ ٱلَّذِي يَأْثِرُ ٱلْحَدِيثَ أَيْ يَرْوِيهِ وَيَحْكِيهِ، وَهُوَ أَصَحُّ ٱلْوُجُوهِ عِنْدِي. كَأَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ (لَا بَقِيَ مِنْكُمْ مُخَبِّرٌ. وَيُرْوَى آبِزٌ بِالزَّايِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَهُوَ ٱلْوَاثِبُ. وَٱلْهَالِكُ أَيْضًا يُقَالُ لَهُ آبِزٌ)

قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى حَرْبِ ٱلْخَوَارِجِ وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ قَدْ عَبَرُوا جِسْرَ ٱلنَّهْرَوَانِ

مَصَارِعُهُمْ دُونَ ٱلنُّطْفَةِ. وَٱللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ[1] وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ. (يَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءَ ٱلنَّهْرِ وَهُوَ أَفْصَحُ كِنَايَةٍ عَنِ ٱلْمَاءِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا جَمًّا)

وَلَمَّا قُتِلَ ٱلْخَوَارِجُ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ ٱلْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ (قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) كَلَّا وَٱللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ ٱلرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ ٱلنِّسَاءِ[2]. كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ

شيئا وأنا على بصيرة فى أمرى . ثم انذرهم بما سيلاقون من سوء المنقلب والاثرة والاستبداد فيهم والاختصاص بفوائد الملك دونهم وحرمانهم من كل حق لهم (١) أنه ما نجا منهم الا تسعة تفرقوا فى البلاد، وما قتل من أصحاب أمير المؤمنين الا ثمانية (٢) قرارات النساء كناية عن الأرحام ، وكلما نجا منهم قرن : أى كلما ظهر وطلع منهم

لُصُوصًا سَلَّابِينَ. (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ) لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ. (يَعْنِي مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ[١])

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
لَمَّا خُوِّفَ مِنَ الْغِيلَةِ [٢]

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً[٣]، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي، فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَلَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ[٤]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا[٥]. وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ

رئيس قتل حتى ينتهي أمرهم إلى أن يكونوا لصوصا سلابين لا يقومون بملك ولا ينتصرون إلى مذهب ولا يدعون الى عقيدة شأن الأشرار الصعاليك الجهلة (١) الخوارج من بعده وان كانوا قد ضلوا بسوء عقيدتهم فيه الا أن ضلتهم لشبهة تمكنت من نفوسهم فاعتقدوا الخروج عن طاعة الامام مما يوجبه الدين عليهم. فقد طلبوا حقا وتقريره شرعا فاخطأوا الصواب فيه، لكنهم بعد أمير المؤمنين يخرجون بزعمهم هذا على من غلب على الأمرة بغير حق وهم الملوك الذين طلبوا الخلافة باطلا فأدركوها وليسوا من أهلها. فالخوارج على ما بهم أحسن حالا منهم (٢) الغيلة القتل على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل (٣) جنة بالضم وقاية (٤) الكلم بالفتح الجرح (٥) أي من أراد السلامة من محنتها فليهيئ وسائل النجاة وهو فيها

كَانَ لَهَا[١] . أُبْتُلِي ٱلنَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ[٢] . وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ. وَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ كَفَيْءِ ٱلظِّلِّ[٣] بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغًا حَتَّى قَلَصَ[٤]، وَزَائِدًا حَتَّى نَقَصَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ عِبَادَ ٱللَّهِ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ[٥] وَٱبْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ[٦] . وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ[٧] . وَٱسْتَعِدُّوا

اذ بعد الموت لا يمكن التدارك ولا ينفع الندم. فوسائل النجاة اما عمل صالح أو اقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح وكلاهما لا يكون إلا فى دار التكاليف وهى دار الدنيا (١) أي لا نجاة بعمل يعمل للدنيا اد كل عمل يقصد به لذة دنيوية فانية فهو هلكة لا نجاة (٢) ما أخذوه منها لها كالمال يدخر للذة و يقتنى لقضاء الشهوة. وما أخذوه لغيرها كالمال ينفق فى سبيل الخيرات يقدم صاحبه فى الآخرة على ثوابه بالنعيم المقيم (٣) اضافة الفيء الى الظل اضافة الخاص للعام لأن الفيء لا يكون الا بعد الزوال (٤) سابغا ممتدا سائرا الأرض. وقلص انقبض، وحتى هنا لمجرد الغاية بلا تدريج، أى ان غاية سبوغه الانقباض وغاية زيادته النقص (٥) بادروا الآجال بالأعمال أى سابقوها وعاجلوها بها أى استكملوا أعمالكم قبل حلول آجالكم (٦) ابتاعوا اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدى بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية (٧) الترحل الانتقال والمراد منه هنا لازمه وهو اعداد الزاد الذى لا بد منه للراحل ، والزاد فى الانتقال عن الدنيا ليس الا زاد التقوى. وقوله فقد جد بكم أى فقد حثثتم وازعجتم الى الرحيل ، أو فقد

لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ (١) . وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا (٢) . وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا . فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى (٣) . وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ (٤) . وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ (٥) . وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ:ـ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ـ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ (٦) . وَإِنَّ قَادِماً يَقْدَمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ

---

(١) الاستعداد للموت اعداد العدة له أو طلب العدة، للقائه، ولا عدة له الا الأعمال الصالحة. وقوله فقد اظلكم: أى قرب منكم حتى كأن له ظلا قد ألقاه عليكم (٢) أى كونوا قوما حذرين اذا استنامتهم الغفلة وقتا ما ثم صاح بهم صائح الموعظة انتبهوا من نومهم وهبوا لطلب نجاتهم . وقوله وعلموا أى آخره أى عرفوا الدنيا وانها ليست بدار بقاء وقرار فاستبدلوها بدار الآخرة وهى الدار التى ينتقل اليها (٣) تعالى الله أن يفعل شيئا عبثا ، وقد خلق الانسان وآتاه قوة العقل التى تصغر عندها كل لذة دنيوية ولا تقف رغائبها عند حد منها مهما علت رتبته فكأنها مفطورة على استصغار كل ما تلاقيه فى هذه الحياة وطلب غاية أعلى مما يمكن أن ينال فيها ، فهذا الباعث الفطرى لم يوجده الله تعالى عبثا بل هو الدليل الوجدانى المرشد الى ما وراء هذه الحياة وسدى. أى مهملين بلا راع يزجركم عما يضركم و يسوقكم الى ما ينفعكم. ورعاتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخلفاؤهم (٤) أن ينزل به فى محل الرفع بدل من الموت أى ليس بين الواحد منا وبين الجنة الا نزول الموت به ان كان قد أعد لها عدتها، ولا بينه و بين النار الا نزول الموت به ان كان قد عمل بعمل أهلها، فما بعد هذه الحياة الا الحياة الأخرى وهى اما شقاء واما نعيم (٥) تلك الغاية هى الأجل، وتنقصها أى تنقص أمد الانتهاء اليها، وكل لحظة تمر فهى نقص فى الأمد بيننا و بين الأجل والساعة تهدم ركناً من ذلك الأمد وما كان كذلك فهو جدير بقصر المدة (٦) ذلك الغائب هو الموت ، و يحدوه يسوقه ، الجديدان الليل

الْعُدَّةِ . فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا(١) فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ . نَصَحَ نَفْسَهُ . قَدَّمَ تَوْبَتَهُ . وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ(٢) فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ . وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ . وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا(٣) حَتَّى تَنْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا(٤) فَيَالَهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً(٥) وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ . نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ(٦) وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ . وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ

والنهار لأن الأجل المقسوم لك ان كان بعد ألف سنة فالليل والنهار بكرورهما عليك يسوقان اليك ذلك المنتظر على رأس الألف وما أسرع مرهما والانتهاء الى الغاية، وما أسرع أوبة ذلك الغائب الذى يسوقانه اليك . أى رجوعه . والموت هو ذلك القادم اما بفوز واما بشقوة. وعدته الاعمال الصالحات والملكات الفاضلة (١) ما تحرزون به أنفسكم أى تحفظونها به وذلك هو تقوى الله فى السر والنجوى وطاعة الشرع وعصيان الهوى (٢) قوله فاتقى عبد ربه وما بعده أوامر بصيغة الماضى، ويجوز أن يكون بياناً للتزود المأمور به فى قوله فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم، أو بيانا لما يحرزون به أنفسهم (٣) يسوفها أن يؤجلها ويؤخرها (٤) قوله اغفل ما يكون حال من الضمير فى عليه. والمنية الموت أى لا يزال الشيطان يزين له المعصية ويمنيه بالتوبة أن تكون فى مستقبل العمر ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو فى أشد الغفلة عنه (٥) يكون عمره حجة عليه لانه أوتى فيه المهلة ومكن فيه من العمل فلم ينشط له (٦) لا تبطره النعمة لا تطغيه ولا تسدل

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا(١) . فَيَكُونَ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا . وَيَكُونَ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ(٢) . وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ . وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ . وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ . وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ . وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ . وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا(٣) . وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ

على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر اليه (١) ما لله من وصف فهو لذاته يجب بوجوبها، فكما ان ذاته سبحانه لا يدنو منها التغير والتبدل، فكذلك أوصافه هي ثابتة له معالا يسبق منها وصف وصفا وان كان مفهومها قد يشعر بالتعاقب اذا أضيفت الى غيره، فهو أول وآخر أزلا وأبداً ، أى هو السابق بوجوده لكل موجود، وهو بذلك السبق باق لا يزول وكل وجود سواه فعلى أصل الزوال مبناه، ثم هو فى ظهوره بادلة وجوده باطن بكنهه لا تدركه العقول ولا تحوم عليه الأوهام (٢) الواحد أقل العدد ومن كان واحداً منفرداً عن الشريك محروما من المعين كان محتقراً لضعفه ساقطا لقلة انصاره . أما الوحدة فى جانب الله فهى علو الذات عن التركيب المشعر بلزوم الانحلال وتفردها بالعظمة والسلطان وفناء كل ذات سواها اذا اعتبرت منقطعة النسبة اليها فوصف غير الله بالوحدة تقليل والكمال فى عالمه أن يكون كثيرا، الا الله فوصفه بالوحدة تقديس وتنزيه ، وبقية الأوصاف ظاهرة (٣) السامعون من الحيوان والانسان لقوى سمعهم حد محدود فما خفى من الأصوات لا يصل اليها فهى صماء عنه . فيصم بفتح الصاد مضارع صم اذا أصيب بالصمم وفقد السمع، وما عظم من الأصوات حتى فات المألوف

خَفِيِّ الْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ الْأَجْسَامِ . وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ . وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ(١) . لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ . وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ . وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ(٢) . وَلَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ وَلَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ . وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ . وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ(٣) لَمْ يَحْلُلْ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ . وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالُ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ(٤) لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ(٥) وَلَا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ(٦) وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ . وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ(٧) . بَلْ قَضَاؤُهُ مُتْقَنٌ

الذى يستطاع احتماله يحدث فيها الصمم بصدعه لها فيصم بكسر الصاد مضارع أصم وما بعدمن الأصوات عن السامع بحيث لا يصل موج الهواء المتكيف بالصوت اليه ذهب عن تلك القوى فلا تناله ، كل ذلك فى غيره سبحانه، أما هو جل شأنه فيستوى عنده الخفى والشديد والقريب والبعيد لأن نسبة الأشياء اليه واحدة ومثل ذلك يقال فى البصر والبصراء (١) الباطن هنا غيره فيما سبق أى كل ماهوظاهر بوجوده الموهوب من الله سبحانه فهو باطن بذاته أى لا وجود له فى نفسه فهو معدوم بحقيقته وكل باطن سواه فهو بهذا المعنى فلا يمكن أن يكون ظاهرا بذاته بل هو باطن أبدا (٢) الند النظير والمثل. والمثاور المواثب والمحارب. والشريك المكاثر أى المفاخر بالكثرة. هذا اذا قرىء بالثاء المثلثة، ويروى المكابر بالباء الموحدة أى المفاخر بالكبر والعظمة. والضد المنافر أى المحاكم فى الرفعة والحسب، يقال نافرته فى الحسب فنفرته أى غلبته واثبت رفعتى عليه (٣) مربوبون أى مملوكون. وداخرون اذلاء من دخر ذل وصغر (٤) لم ينأ عنها أى لم ينفصل انفصال الجسم حتى يقال هو بائن أى منفصل (٥) يؤده أى لم يثقله. آده الأمر أثقله وأتعبه (٦) ذرأ أى خلق (٧) ولجت عليه

وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ . وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ(١) الْمَأْمُولُ مَعَ ٱلنِّقَمِ وَٱلْمَرْهُوبُ مَعَ ٱلنِّعَمِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

كَانَ يَقُولُهُ لِأَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صِفِّينَ

مَعَاشِرَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱسْتَشْعِرُوا ٱلْخَشْيَةَ(٢) وَتَجَلْبَبُوا ٱلسَّكِينَةَ وَعَضُّوا عَلَى ٱلنَّوَاجِذِ(٣) فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ وَأَكْمِلُوا ٱللَّامَةَ(٤) وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا(٥) وَٱلْحَظُوا ٱلْخَزْرَ(٦) وَٱطْعُنُوا الشَّزْرَ(٧) وَنَافِحُوا بِالظُّبَا(٨) وَصِلُوا ٱلسُّيُوفَ بِٱلْخُطَا(٩). وَٱعْلَمُوا

---

(١) محتوم. وأصله من ابرم الحبل جعله طاقين ثم فتله وبهذا أحكمه (٢) استشعر لبس الشعار وهو ما يلي البدن من الثياب . وتجلبب لبس الجلباب وهو ما تغطى به المرأة ثيابها من فوق، ولكون الخشية أى الخوف من الله غاشية قلبية عبر فى جانبها بالاستشعار، وعبر بالتجلبب فى جانب السكينة لأنها عارضة تظهر فى البدن كما لا يخفى (٣) النواجذ جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس . ولكل انسان أربعة نواجذ وهي بعد الارحاء ويسمى الناجذ ضرس العقل لأنه ينبت بعد البلوغ. واذا عضضت على ناجذك تصلبت أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماغك فكانت هامتك أصلب وأقوى على مقاومة السيف فكان أنبى عنها وأبعد عن التأثير فيها. والهام جمع هامة وهى الرأس (٤) اللامة الدرع، واكمالها أن يزاد عليها البيضة والسواعد ونحوها. وقد يراد من اللامة آلات الحرب والدفاع استيفاؤها (٥) مخافة أن تستعصى عن الخروج عند السل (٦) الخزر محركة النظر كانه من أحد الشقين، وهو علامة الغضب (٧) اطعنوا بضم العين فاذا كان فى النسب مثلا كان المضارع مفتوحها وقد يفتح فيهما. والشزر بالفتح الطعن فى الجوانب يمينا وشمالا (٨) نافحوا كافحوا وضاربوا. والظبا بالضم جمع ظبة طرف السيف وحده (٩) صلوا من الوصل أى اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا اعدائكم جمع خطوة أو اذا دخلت

أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ(١) وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ(٢) فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ . وَنَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ . وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا . وَامْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجُحًا(٣) وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ . وَالرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ(٤) . فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ(٥) فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ(٦) . قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا فَصَمْدًا صَمْدًا(٧) . حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ (وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)(٨)

---

(١) بعين الله أى ملحوظون بها (٢) الفر الفرار، وهو عار فى الأعقاب أى فى الأولاد لأنهم يعيرون بفرار آبائهم . وقوله وطيبوا عن أنفسكم نفسا أى ارضوا ببذلها فانكم تبذلونها اليوم لتحرزوها غدا (٣) السجح بضمتين السهل (٤) الرواق ككتاب وغراب الفسطاط . والمطنب المشدود بالاطناب جمع طنب بضمتين حبل يشد به سرادق البيت. وأراد بالسواد الأعظم جمهور أهل الشام، والرواق رواق معاوية (٥) الثبج بالتحريك الوسط (٦) كسره بالكسر شقه الأسفل كناية عن الجوانب التى يفر اليها المنهزمون. والشيطان الكامن فى الكسر مصدر الأوامر بالهجوم والرجوع ، فان جبنتم مد يده للوثبة وان شجعتم أخر للنكوص والهزيمة رجله (٧) الصمد القصد، أى فاثبتوا على قصدكم (٨) لن ينقصكم

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْنَى الْأَنْصَارِ

قَالُوا لَمَّا انْتَهَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنْبَاءُ السَّقِيفَةِ (١) بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَاقَالَتِ الْأَنْصَارُ ؟ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ (قَالُوا وَمَا فِي هٰذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ (٢)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا قَلَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مِصْرَ فَمُلِكَتْ عَلَيْهِ فَقُتِلَ

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ (٣)

شيئا من جزائها (١) سقيفة بني ساعدة اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لاختيار خليفة له (٢) يريد من الثمرة آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) العرصة كل بقعة واسعة بين الدور، والمراد ما جعل لهم مجالا للمغالبة. وأراد بالعرصة

وَلاَ أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ . بِلاَ ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ[١] فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً وَكَانَ لِي رَبِيباً[٢]

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي ذَمِّ أَصْحَابِهِ

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبِكَارُ الْعَمِدَةُ[٣] . وَالثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ[٤] كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ[٥] أَكُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَانْجَحَرَ انْجِحَارَ الضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَالضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا[٦] . الذَّلِيلُ وَاللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ . وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[٧] . وَإِنَّكُمْ وَاللهِ

عرصة مصر ، وكان محمد قد فر من عدوه ظنا منه أن ينجو بنفسه فأدركوه وقتلوه
(١) بلاذم لمحمد الخ لما يتوهم من مدح عتبة (٢) قالوا ان اسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبي طالب فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت منه محمدا ثم تزوجها على بعده وتربى محمد فى حجره وكان جاريا مجرى أولاده حتى قال على كرم الله وجهه محمد ابنى من صلب أبي بكر (٣) البكار ككتاب جمع بكر الفتى من الأبل ، والعمدة بفتح فكسر التى انفضح داخل سنامها من الركوب وظاهره سليم (٤) المتداعية الخلقة المتخرقة. ومداراتها استعمالها بالرفق التام (٥) حيصت خيطت، وتهتكت تخرقت (٦) المنسر كمجلس ومنبر القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكثير ، واطل أشرف. وانجحر دخل الجحر ، والوجار بالكسر جحر الضبع وغيرها (٧) الأفوق من السهام ما كسر فُوقه أي موضع الوتر منه والناصل العارى من النصل. والسهم إذا كان مكسور الفوق عاريا عن النصل لم يؤثر فى الرمية. فهم فى ضعف أثرهم وعجزهم عن النكاية

لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ(١) قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ . وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ(٢) وَلَكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي . أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ(٣) . وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ(٤) لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ . وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُحْرَةِ الْيَوْمِ الَّذِي ضُرِبَ فِيهِ (٥)

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ(٦) فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ ! فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ ، فَقُلْتُ أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي (يَعْنِي بِالْأَوَدِ الِاعْوِجَاجَ وَبِاللَّدَدِ الْخِصَامَ وَهٰذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْعِرَاقِ

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ(٧) وَمَاتَ قَيِّمُهَا وَطَالَ تَأَيُّمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا(٨) أَمَا وَاللهِ

بعدوهم أشبه به (١) الباحات الساحات (٢) أودكم بالتحريك اعوجاجكم (٣) أذل الله وجوهكم (٤) وأتعس جدودكم وحط من حظوظكم. والتعس الانحطاط والهلاك والعثار (٥) السحرة بالضم السحر الأعلى من آخر الليل (٦) ملكتني عيني غلبني النوم وسنح لي رسول الله مر بي. تسنح الظباء والطير (٧) أملصت ألقت ولدها ميتا (٨) قيمها

مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَاراً وَلٰكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً (١) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ. قَاتَلَكُمُ اللّٰهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ. أَعَلَى اللّٰهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ. أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ (٢). كَلَّا وَاللّٰهِ وَلٰكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا (٣) وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيْلُمِّهِ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ (٤) لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

زوجها وتأيمها خلوها من الأزواج، يريد أنهم لما شارفوا استئصال أهل الشام وبدت لهم علامات الظفر بهم جنحوا إلى السلم اجابة لطلاب التحكيم فكان مثلهم مثل المرأة الحامل لما أتمت أشهر حملها ألقت ولدها بغير الدافع الطبيعي بل بالحادث العارضي كالضرب به والسخطة وقلما تلقيه كذلك الا هالكا. ولم يكتف فى تمثيل خيفتهم فى ذلك حتى قال ومات مع هذه الحالة زوجها وطال ذلها بفقدها من يقوم عليها حتى اذا هلكت عن غير ولد ورثها الأباعد السافلون فى درجة القرابة ممن لا يلتفت الى نسبه (١) يقسم أنه لم يأت العراق مستنصرا بأهله اختيارا لتفضيله اياهم على من سواهم. وانما سيق اليهم بسائق الضرورة فانه لولا وقعة الجمل لم يفارق المدينة المنورة. ويروى هذا الكلام بعبارة أخرى وهى (ما أتيتكم اختيارا ولا جئت اليكم شوقا) بالشين المعجمة (٢) كان كرم الله وجهه كثيرا ما يخبرهم بما لا يعرفون ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فيقول المنافقون من أصحابه انه يكذب كما يقولون مثل ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم، فهو يرد عليهم قولهم بأنه أول من آمن بالله وصدق برسوله فكيف يجترئ على الكذب على الله أو على رسوله مع قوة ايمانه وكمال يقينه ولا يجتمع كذب وايمان صحيح (٣) لهجة غبتم عنها أى ضرب من الكلام أنتم فى غيبة عنه أى بعد عن معناه ونبو طبع عما حواه فلا تفهمونه ولهذا تكذبونه (٤) ويلمه كلمة استعظام تقال فى مقام المدح وان كان أصل وضعها لضده ومثل ذلك معروف فى لسانهم، يقولون للرجل يعظمونه ويقرظونه لا أبالك. وفى الحديث فاظفر بذات الدين تربت يداك، وفى كلام

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

علم فيها الناس الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله

اللَّهُمَّ دَاحِيَ ٱلْمَدْحُوَّاتِ(١). وَدَاعِمَ ٱلْمَسْمُوكَاتِ. وَجَابِلَ ٱلْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا(٢) شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا . اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ(٣) عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ٱلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ . وَٱلْفَاتِحِ لِمَا

الحسن يحدث عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه ويعظم أمره: وما لك والتحكيم والحق فى يديك ولا أبالك. وأصل الكلمة ويل أمه. وقوله كيلا مصدر محذوف أى أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلا بلا ثمن لو أجد وعاء اكيل فيه، أى لو أجد نفوسا قابلة وعقولا عاقلة (١) داحى المدحوات أى باسط المبسوطات وأراد منها الأرضين. و بسطها أن تكون كل قطعة منها صالحة لأن تكون مستقراً ومجالا للبشر وسائر الحيوان تتصرف عليها هذه المخلوقات فى الأعمال التى وجهت اليها بهادى الغريزة كما هو المشهود لنظر الناظر وان كانت الأرض فى جملتها كروية الشكل . وداعم المسموكات مقيمها وحافظها. دعمه كنعه: أقامه وحفظه. والمسموكات المرفوعات وهى السموات، وقد يراد من هنا الوصف المجعول لها سمكا يفوق كل سمك. والسمك الثخن المعروف فى اصطلاح أهل الكلام بالعمق. ودعمه للسموات اقامته لها وحفظها من الهوىّ بقوة معنوية وان لم يكن ذلك بدعامة حسية . قال صاحب القاموس المسموكات لحن والصواب مسمكات، ولعل هذا فى اطلاق اللفظ اسما للسموات، أما لو اطلق صفة كما فى كلام الامام فهو صحيح فصيح بل لا يصح غيره فان الفعل سمك لا أسمك (٢) جابل القلوب خالقها. والفطرة أول حالات المخلوق التى يكون عليها فى بدء وجوده، وهى للانسان حالته خاليا من الآراء والاهواء والديانات والعقائد. وقوله شقيها وسعيدها بدل من القلوب، أى جابل الشقى والسعيد من القلوب على فطرته الأولى التى هو بها كاسب محض ، فحسن اختياره يهديه الى السعادة وسوء تصرفه يضله فى طرق الشقاوة (٣) الشرائف جمع شريفة . والنوامى

انْغَلَقَ . وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ . وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ . كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ[1] قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ. وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ[2] . وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ . مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ . حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ[3] وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ .

الزوائد . والخاتم لما سبق أى لما تقدمه من النبوات . والفاتح لما انغلق كانت أبواب القلوب قد أغلقت بأقفال الضلال عن طوارق الهداية فإفتتحها صلى الله عليه وسلم بآيات نبوته ، وأعلن الحق وأظهره بالحق والبرهان . والأباطيل جمع باطل على غير قياس ، كما ان الأضاليل جمع ضلال على غير قياس . وجيشاتها جمع جيشة من جاشت القدر اذا ارتفع غليانها . والصولات جمع صولة وهى السطوة . والدامغ من دمغه اذا شجه حتى بلغت الشجة دماغه ، والمراد أنه قامع ما نجم من الباطل والكاسر لشوكة الضلال وسطوته وذلك بسطوع البرهان وظهور الحجة (١) أى أعلن الحق بالحق وقمع الباطل وقهر الضلال كما حمل تلك الأعمال الجليلة بتحميله اعباء الرسالة.فاضطلع أى نهض بها قويا . والضلاعة القوة . والمستوفز المسارع المستعجل، وقد تكون الكاف فى كما حمل للتعليل كما فى قوله .

فقلت له أبا الملحاة خذها كما أوسعتنا بغيا وعدوا

(٢) الناكل الناكص والمتأخر . أى غير جبان يتأخر عند وجوب الإقدام . والقدم بضمتين المشى الى الحرب، ويقال مضى قدما أى سار ولم يعرج . والواهى الضعيف واعيا أى حافظا وفاهما . وعيت الحديث حفظته وفهمته . وماضيا على نفاذ امرك أى ذاهبا فى سيره على ما فيه نفاذ أمر الله سبحانه (٣) يقال ورى الزند كوعى . وولى يرى وريا ورية فهو وار : خرجت ناره . وأوريته ووريته واستوريته . والقبس شعلة من النار . والقابس الذى يطلب النار . يقال قبست نارا فاقبسنى، أى طلبت منها فأعطانى . والكلام تمثيل لنجاح طلاب الحق ببلوغ طلبتهم منه واشراق النفوس

وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ ٱلْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ ٱلْأَحْكَامِ . فَهُوَ أَمِينُكَ ٱلْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ ٱلْمَخْزُونِ (١) . وَشَهِيدُكَ يَوْمَ ٱلدِّينِ (٢) وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ (٣) . وَرَسُولُكَ إِلَى ٱلْخَلْقِ . اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ (٤) وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ ٱلْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ ٱلْبَانِينَ بِنَاءَهُ (٥) وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ ، وَاجْزِهِ مِنِ ٱبْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ ٱلشَّهَادَةِ وَمَرْضِيَّ ٱلْمَقَالَةِ (٦) ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ . وَخُطَّةٍ فَصْلٍ . اللَّهُمَّ

المستعدة لقبوله بما سطع من أنواره . والخابط الذى يسير ليلا على غير جادة واضحة ، فأضاء الطريق له جعلها مضيئة ظاهرة فاستقام عليها سائرا الى الغاية وهى السعادة ، فكان فى ذلك أن هديت به القلوب الى ما فيه سعادتها بعد أن خاضت الفتن أطوارا واقتحمتها مرارا . والخوضات جمع خوضة المرة من الخوض كما قال وهديت به القلوب الخ . والاعلام جمع علم بالتحريك ما يستدل به على الطريق كالمنار ونحوه ، والاعلام موضحات الطرق لأنها تبينها للناس وتكشفها (١) العلم المخزون ما اختص الله به من شاء من عباده ولم يبح لغير أهل الحظوة به ان يطلعوا عليه وذلك مما لايتعلق بالأحكام الشرعية (٢) شهيدك شاهدك على الناس كما قال الله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (٣) بعيثك أى مبعوثك فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح (٤) افسح له وسع له ما شئت أن توسع فى ظلك أى احسانك وبرك فيكون الظل مجازا . ومضاعفات الخير أطواره ودرجاته (٥) أراد من بنائه ما شيده صلى الله عليه وسلم بأمر ربه من الشريعة العادلة . والهدى الفاضل مما يلجأ اليه التائهون ويأوى اليه المضطهدون ، فالإمام يسأل الله أن يعلى بناء شريعته على جميع الشرائع ويرفع شأن هديه فوق كل هدى لغيره . واكرام المنزلة باتمام النور ، والمراد من اتمام النور تأييد الدين حتى يعم أهل الأرض ويظهر على الدين كله كما وعده بذلك . اكرام المنزلة فى الآخرة ، فقد تقدم فى قوله افسح له واجزه مضاعفات الخير (٦) أى اجزه على بعثتك له الى الخلق وقيامه بما حملته واجعل ثوابه

أَجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعْمَةِ (١) ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ . وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ وَرَخَاءِ الدَّعَةِ . وَمُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ . وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ (٢)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَهُ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْبَصْرَةِ

(قَالُوا أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٣) إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ . فَقَالَا لَهُ يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ (*) قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ (٤)

على ذلك الشهادة المقبولة والمقالة المرضية يوم القيامة ، وتلك الشهادة والمقالة تصدران منه وهو ذو منطق عدل وخطة أى أمر فاصل ، ويروى وخطبة بزيادة باء بعد الطاء أى مقال فاصل ، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم يقوم ذلك المقام يوم القيامة فيشهد على أمته وعلى غيرهم من الأمم فيكون كلامه الفصل (١) تقول العرب عيش بارد أى لاحرب فيه ولا نزاع ، لأن البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة والحركة . وقرار النعمة مستقرها حيث تدوم ولا تفنى (٢) منى جمع منية بالضم ما يتمناه الانسان لنفسه . والشهوات ما يشتهيه . يدعو بان يتفق مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع رغباته وميله . والرخاء من قولهم رجل رخى البال أى واسع الخيال . والدعة سكون النفس واطمئنانها . والتحف جمع تحفة ما يكرم به الانسان من البر واللطف وقد كان صلى الله عليه وسلم من أرخى الناس بالا وألزمهم للطمأنينة وأعلاهم منزلة فى القلوب ، فالإمام يطلب من الله أن يدنيه منه فى جميع هذه الصفات الكريمة (٣) استشفعهما اليه سألهما أن يشفعا له عنده . وليس من الجيد قولهم استشفعت به (٤) كف يهودية أى غادرة

(*) فى نسخة : قبل قتل عثمان

يَهُودِيَّةٌ . لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ(١) أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ(٢) . وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ(٣) وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَزَمُوا عَلَى بَيْعَةِ عُثْمَانَ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي . وَوَاللهِ لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاسًا لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ(٤)

---

(١) السبت بالفتح الاست وهو ما يحرص الانسان على اخفائه . وكنى به عن الغدر الخفى واختاره لتحقير الغادر . وقد يكون ذلك إشارة إلى ما كانت تفعله سفهاء العرب عند الغدر بعقد أو عهد من أنهم كانوا يحبقون عند ذكره استهزاء (٢) تصوير لقصر مدتها وكانت تسعة أشهر (٣) جمع كبش وهو من القوم رئيسهم. وفسروا الاكبش ببنى عبد الملك بن مروان هذا وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام. قالوا ولم يتول الخلافة أربعة اخوة سوى هؤلاء . ويجوز ان يراد بهم بنو مروان لصلبه وهم عبد الملك وعبد العزيز وبشر ومحمد وكانوا كباشا أبطالا : أما عبد الملك فولى الخلافة وولى محمد الجزيرة وعبد العزيز مصر وبشر العراق (٤) يقسم بالله ليسلمن الأمر فى الخلافة لعثمان ما دام التسليم غير ضار بالمسلمين وحافظا لهم من الفتنة طلبا لثواب الله على ذلك وزهداً فى الامرة التى تنافسوها أى رغبوا فيها وان كان فى ذلك جور عليه خاصة . وأهل الزخرف الذهب وكذلك الزبرج بكسرتين بينهما سكون، ثم أطلق على كل مموه مزور . واغلب ما يقال الزبرج على الزينة من وشى أو جوهر . ومن زخرفه ليس للبيان ولكن حرف جر للتعليل أى ان الرغبة انما كان الباعث عليها الزخرف

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا بَلَغَهُ اتِّهَامُ بَنِي أُمَيَّةَ لَهُ بِالْمُشَارَكَةِ فِي دَمِ عُثْمَانَ

أَوَ لَمْ يَنْهَ أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي(١). أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهْمَتِي. وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي(٢). أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ(٣) وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ. وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ(٤) وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى. وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا(٥).

والزبرج ولولا لزوم ذلك للامارة ما كان فيها التنافس (١) قرفه قرفا بالفتح عابه. وعلمها فاعل ينه، وأمية مفعول، أى ألم يكن فى علم بنى أمية بحالى ومكانى من الدين والتحرج من سفك الدماء بغير حق ما ينهاهم عن ان يعيبونى بالاشتراك فى دم عثمان خصوصا وقد علموا انى كنت له لا عليه، ومن أحسن الناس قولا فيه. وسابقته حاله المعلومة لهم مما تقدم. ووزع بمعنى كف. والتهمة بفتح الهاء رميه بعيب الاشتراك فى دم عثمان (٢) ولما الخ اللام هى التى للتأكيد وماموصول مبتدأ وابلغ خبره والله قد وعظهم فى الغيبة بأنها فى منزلة أكل لحم الاخ ميتا (٣) حجيج المارقين أى خصيمهم. والمارقون الخارجون من الدين. والمرتابون الذين لا يقين لهم. وهو كرم الله وجهه قارعهم بالبرهان الساطع فغالبهم (٤) الأمثال متشابهات الاعمال والحوادث تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع وما خالفه فهو الباطل الممنوع، وهو كرم الله وجهه قد جرى على حكم كتاب الله فى أعماله فليس للغامز عليه أن يشير اليه بمطعن ما دام ملتزما لاحكام الكتاب (٥) الحكم هنا الحكمة قال الله تعالى (وآتيناه الحكم

وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا[١] . رَاقَبَ رَبَّهُ . وَخَافَ ذَنْبَهُ . قَدَّمَ خَالِصًا وَعَمِلَ صَالِحًا . اكْتَسَبَ مَذْخُورًا[٢] . وَاجْتَنَبَ مَحْذُورًا . رَمَى غَرَضًا وَأَحْرَزَ عِوَضًا[٣] كَابَرَ هَوَاهُ . وَكَذَّبَ مُنَاهُ . جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ . رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ[٤] ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ . إِغْتَنَمَ الْمَهَلَ[٥] وَبَادَرَ الْأَجَلَ وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقًا وَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ (وَيُرْوَى التُّرَابَ الْوَذِمَةَ . وَهُوَ عَلَى الْقَلْبِ[٦]) قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيُفَوِّقُونَنِي أَيْ يُعْطُونَنِي مِنَ

صبياً) ووعى حفظ وفهم المراد واعتبر بما سمع وعمل عليه . ودنا قرب من الرشاد الذى دعى اليه (١) الحجزة بالضم معقد الازار ومن السراويل موضع التكة، والمراد الاقتداء والتمسك . يقال أخذ فلان بحجزة فلان اذا اعتصم به ولجأ اليه (٢) اكتسب مذخورا كسب بالعمل الجليل ثوابا يذخره و يعده لوقت حاجته فى الآخرة (٣) رمى غرضا قصد الى الحق فأصابه . وكابر هواه غالبه، ويروى كاثر بالمثلثة أى غالبه بكثرة أفكاره الصائبة فغلبه (٤) الغراء النيرة الواضحة . والمحجة جادة الطريق ومعظمه . والطريقة الغراء والمحجة البيضاء سبيل الحق ومنهج العدل (٥) المهل هنا مدة الحياة مع العافية فانه أمهل فيها دون أن يؤخذ بالموت أو تحل به بائقة عذاب ، فهو يغتنم ذلك ليعمل فيه لآخرته فيبادر الأجل قبل حلوله بما يتزوده من طيب العمل (٦) على القلب أى أن الحقيقة الوذام الترية كما فى الرواية الأولى لا التراب الوذمة اذ لا معنى له، فهذه الرواية يراد

ٱلْمَالِ قَلِيلًا قَلِيلًا كَفُوَاقِ ٱلنَّاقَةِ . وَهُوَ ٱلْحَلْبَةُ ٱلْوَاحِدَةُ مِنْ لَبَنِهَا . وَٱلْوِذَامُ جَمْعُ وَذَمَةٍ وَهِيَ ٱلْحُزَّةُ مِنَ ٱلْكَرِشِ أَوِ ٱلْكَبِدِ تَقَعُ فِي ٱلتُّرَابِ فَتَنْفَضُ (١)

وَمِنْ كَلِمَاتٍ كَانَ يَدْعُوبِهَا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ . ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي (٢) . ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي (٣) . ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ ٱلْأَلْحَاظِ . وَسَقَطَاتِ ٱلْأَلْفَاظِ . وَشَهَوَاتِ ٱلْجَنَانِ . وَهَفَوَاتِ ٱللِّسَانِ (٤)

---

(١) الحزة بالضم القطعة. وفسر صاحب القاموس الوذمة بمجموع المعى منها مقلو بها والكرش (٢) وأيت وعدت . وأى كوعى : وعد وضمن، اذا عزمت على عمل خير فكأنك وعدت من نفسك بتأدية أمر الله فان لم توف به فكأن الله لم يجد عندك وفاء بما وعدته فتكون قد أخلفته ومخلف الوعد مسيء، فهو يطلب المغفرة على هذا النوع من الاساءة (٣) تقرب باللسان مع مخالفة القلب كان يقول الحمد لله على كل حال ويسخط على أغلب الأحوال، أو يقول اياك نعبد واياك نستعين وهو يستعين بغير الله ويعظم أشباها ممن دونه (٤) رمزات الألحاظ الاشارة بها . والالحاظ جمع لحظ وهو باطن العين ، أما اللحاظ بالفتح وهو مؤخر العين فلا أعرف له جمعا الا لحظ بضمتين. وسقطات الألفاظ لغوها. والجنان القلب. وشهواته ما يكون من ميل منه الى غير الفضيلة

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قَالَهُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لَمَّا عَزَمَ عَلَى ٱلْمَسِيرِ إِلَى ٱلْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهُ يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ خَشِيتُ أَنْ لَا تَظْفَرَ بِمُرَادِكَ مِنْ طَرِيقِ عِلْمِ ٱلنُّجُومِ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءُ. وَتُخَوِّفُ مِنَ ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ ٱلضُّرُّ(١)؟ . فَمَنْ صَدَّقَ بِهٰذَا فَقَدْ كَذَّبَ ٱلْقُرْآنَ وَٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلْإِعَانَةِ بِٱللهِ فِي نَيْلِ ٱلْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ ٱلْمَكْرُوهِ . وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ ٱلْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي نَالَ فِيهَا ٱلنَّفْعَ وَأَمِنَ ٱلضُّرَّ (ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَلَى ٱلنَّاسِ فَقَالَ)

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ ٱلنُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ(٢) فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى ٱلْكَهَانَةِ وَٱلْمُنَجِّمُ كَٱلْكَاهِنِ(٣) وَٱلْكَاهِنُ كَٱلسَّاحِرِ

وهفوات اللسان زلاته (١) حاق به الضر أحاط به (٢) طلب لنعلم علم الهيئة الفلكية وسير النجوم وحركاتها للاهتداء بها، وانما ينهى عما يسمى علم التنجيم وهو العلم المبنى على الاعتقاد بروحانية الكواكب، وان لتلك الروحانيـة العلوية سلطانا معنويا على العوالم العنصرية، وان من يتصل بأرواحها بنوع من الاستعداد ومعاونة من الرياضة تكاشفه بما غيب من اسرار الحال والاستقبال (٣) الكاهن من يدعى كشف الغيب

وَٱلسَّاحِرُ كَالْكَافِرِ وَالْكَافِرُ فِي ٱلنَّارِ سِيرُوا عَلَى ٱسْمِ ٱللهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَعْدَ حَرْبِ ٱلْجَمَلِ فِي ذَمِّ ٱلنِّسَاءِ

مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱلنِّسَاءَ نَوَاقِصُ ٱلإِيمَانِ[1] نَوَاقِصُ ٱلْحُظُوظِ نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ . فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ . وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى ٱلْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ ٱلرِّجَالِ . وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ ٱمْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ . فَاتَّقُوا شِرَارَ ٱلنِّسَاءِ . وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي ٱلْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي ٱلْمُنْكَرِ[2]

وكلام أمير المؤمنين حجة حاسمة لخيالات المعتقدين بالرمل والجفر والتنجيم وما شاكلها. ودليل واضح على عدم صحتها ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية (١) خلق الله النساء وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال الى سن معين لا يكاد ينتهى حتى تبتعد لحمل وولادة وهكذا، فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية فكأنهن قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن، فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليه فى هذا، وجاء الشرع مطابقا للفطرة فكن فى أحكامه غير لاحقات للرجال لا فى العبادة ولا الشهادة ولا الميراث (٢) لا يريد أن يترك المعروف لمجرد أمرهن به فان فى ترك المعروف مخالفة السنة الصالحة خصوصاً ان كان المعروف من الواجبات بل يريد أن لا يكون فعل المعروف صادراً عن مجرد طاعتهن، فاذا فعلت معروفا فافعله لأنه معروف ولا تفعله امتثالا لأمر المرأة، ولقد قال الامام قولا صدقته التجارب فى الاحقاب المتطاولة ولا استثناء مما قال الا بعضاً منهن وهبن فطرة تفوق فى سموها ما استوت به الفطن أو تقاربت أو أخذ سلطان من التربية طباعهن على خلاف ما

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱلزَّهَادَةُ قِصَرُ ٱلْأَمَلِ . وَٱلشُّكْرُ عِنْدَ ٱلنِّعَمِ . وَٱلْوَرَعُ عِنْدَ ٱلْمَحَارِمِ (١) . فَإِنْ عَزَبَ ذٰلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ ٱلْحَرَامُ صَبْرَكُمْ (٢) وَلَا تَنْسَوْا عِنْدَ ٱلنِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَ ٱللّٰهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ وَكُتُبٍ بَارِزَةِ ٱلْعُذْرِ وَاضِحَةٍ (٣)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي صِفَةِ ٱلدُّنْيَا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ . وَآخِرُهَا فَنَاءٌ . فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ . وَفِي

غرز فيها وحولها الى غير ما وجهتها الجبلة اليه (١) الورع الكف عن الشبهات خوف الوقوع فى المحرمات أى اذا عرض المحرم فمن الزهادة أن تكف عما يشتبه به فضلا عنه. والشكر عند النعم الاعتراف بأنها من الله والتصرف فيها على وفق ما شرع . وقصر الامل توجس الموت والاستعداد له بالعمل وليس المراد منه انتظار الموت بالبطالة (٢) عزب عنكم بعد عنكم وفاتكم. والاشارة الى ما تقدم من قصر الامل أى فان عسر عليكم أن تقصروا آمالكم وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم فلا يغلب الحرام صبركم أى فلا يفتكم الركنان الآخران وهما شكر النعم واجتناب المحرم فان نسيان الشكر يجر الى البطر وارتكاب المحرم يفسد نظام الحياة المعاشية والمعادية. والبطر والفساد مجلبة للنقم فى الدنيا والشقاء فى الآخرة (٣) أعذر بمعنى أنصف وأصله مماهمزته للسلب فأعذرت فلاناً سلبت عذره أى ما جعلت له عذرا يبديه لو خالف ما نصحته به ويقال أعذرت الى فلان أى أقمت لنفسى عنده عذراً واضحاً فيما أنزله به من العقوبة حيث حذرته ونصحته. ويصح أن تكون العبارة فى الكتاب على هذا المعنى أيضا بل هو الاقرب من لفظ اليكم ، ويكون الكلام على المجاز ، وتنزيل قيام الحجة له منزلة

حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ . وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ . وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ(١) . وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ . وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ(٢) . وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ . (أَقُولُ وَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُتَأَمِّلُ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ وَجَدَ تَحْتَهُ مِنَ الْمَعْنَى الْعَجِيبِ وَالْغَرَضِ الْبَعِيدِ مَالَا تُبْلَغُ غَايَتُهُ ، وَلَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا قَرَنَ إِلَيْهِ قَوْلَهُ : وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ . فَإِنَّهُ يَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ أَبْصَرَ بِهَا وَأَبْصَرَ إِلَيْهَا وَاضِحاً نَيِّراً وَعَجِيباً بَاهِراً) .

قيام العذر لنا. والمسفرة الكاشفة عن نتائجها الصحيحة وبارزة العذر ظاهرته (١) من جرى معها فى مطالبها ، والقصد اهتم بها وجد فى طلبها . وقوله فاتته أى سبقته فانه كلما نال شيئا فتحت له أبواب الآمال فيها فلا يكاد يقضى مطلوبا واحدا حتى يهتف به ألف مطلوب . وقوله ومن قعد عنها واتته يريد به أن من قوم اللذائذ الفانية بقيمتها الحقيقية وعلم أن الوصول اليها انما يكون بالعناء وفواتها يعقب الحسرة عليها، والتمتع بها لايكاد يخلو من شوب الالم فقد وافقته هذه الحياة وأراحته فانه لا يأسف على فائت منها ولا يبطر لحاضر ولا يعانى ألم الانتظار لمقتبل (٢) أبصر بها أى جعلها مرآة عبرة تجلو لقلبه آثار الجد فى عظائم الأعمال وتمثل له هياكل المجد الباقية مما رفعته أيدى الكاملين وتكشف له عواقب أهل الجهالة من المترفين فقد صارت الدنيا له بصراً وحوادثها عبراً . وأما من أبصر اليها واشتغل بها فانه يعمى عن كل خير فيها و يلهو

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مِنَ الْخُطَبِ الْعَجِيبَةِ وَتُسَمَّى الْغَرَّاءَ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ(١) . وَدَنَا بِطَوْلِهِ(٢) . مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ . وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ(٣) أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ . وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ(٤) . وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلًا بَادِيًا(٥) . وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا . وَأَسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا . وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ(٦)

عن الباقيات بالزائلات و بئس ما اختار لنفسه (١) علا بحوله أى عز وارتفع عن جميع ما سواه لقوته المستعلية بسلطة الايجاد على كل قوة (٢) دنا بطوله أى أنه مع علوه سبحانه وارتفاعه فى عظمته فقد دنا وقرب من خلقه بطوله أى عطائه و إحسانه (٣) الأزل بالسكون الضيق والشدة. وكاشف الشدة المنقذ منها، كما أن مانح الغنيمة معطيها المتفضل بها (٤) العواطف ، ما يعطفك على غيرك و يدنيه من معروفك. وصفة الكرم فى الجناب الالهى وخلقه فى البشر مما يعطف الكريم على موضع الاحسان . وسوابغ النعم كواملها من سبغ الظل إذا عم وشمل (٥) أولا باديا موضعه من سابقه كموضع قريبا هاديا ، وما جاء به بعده من سوابقها فهى أحوال من الضمائر الراجعة إلى الله سبحانه وتعالى فيكون أول صفة نصبت على الحال من ضمير به أى أصدق بالله على أنه سابق كل شىء فى الوجود فهو البادى أى الظاهر بذاته المظهر لغيره ومن كان كذلك لم تخالط التصديق به ريبة . والقريب الهادى جدير بأن تطلب منه الهداية. والقادر القاهر حقيق بأن يستعان به لأنه قوى على المعونة. والكافى الناصر حرى بأن يتوكل عليه (٦) انهاء عذره ابلاغه . والعذر هنا كناية عن الحجج العقلية والنقلية التى أقيمت ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم على أن من خالف شريعة الله استحق

وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ(١). أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِى ضَرَبَ لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ(٢) وَوَقَّتَ لَكُمُ ٱلْآجَالَ. وَأَلْبَسَكُمُ ٱلرِّيَاشَ وَأَرْفَغَ لَكُمُ ٱلْمَعَاشَ، وَأَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ. وَأَرْصَدَ لَكُمُ ٱلْجَزَاءَ. وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ ٱلسَّوَابِغِ وَٱلرِّفَدِ ٱلرَّوَافِغِ. وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ ٱلْبَوَالِغِ. وَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا. وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَدًا فِى قَرَارِ خِبْرَةٍ وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا(٣) رَدِغٌ مَشْرَعُهَا. يُونِقُ مَنْظَرُهَا(٤) وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا. غُرُورٌ حَائِلٌ(٥). وَظِلٌّ زَائِلٌ. وَسِنَادٌ

العقاب ومن جرى عليها استحق جزيل الثواب (١) النذر جمع نذير أى الأخبار الالهية المنذرة بالعقاب على سوء الأعمال أو هومفرد بمعنى الانذار (٢) ضرب الأمثال جاء بها فى الكلام لا يضاح الحجج وتقريرها فى الاذهان. ووقت الآجال جعلها فى أوقات محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر. والرياش ما ظهر من اللباس، ووجه النعمة فيه أنه ساتر للعورة واق من الحر والبرد، وقد يراد بالرياش الخصب والغنى فيكون ألبسكم على المجاز. وأرفغ لكم أى أوسع يقال رفغ عيشه بالضم رفاغة أى اتسع. وأحاطكم بالاحصاء أى جعل احصاء أعمالكم والعلم بها محيطا كالسور لا تنفذون منه ولا تتعدونه ولا تشذ عنه شاذة. وأرصد لكم الجزاء أعده لكم فلا محيص عنه. والرفد جمع رفدة ككسرة وكسر وهى العطية والصلة. والروافغ الواسعة. والحجج البوالغ الظاهرة المبينة. ووظف لكم مدداً أى قدر لكم. والمدد جمع مدة أى عين لكم أزمنة تحيون فيها. فى قرار خبرة أى فى دار ابتلاء واختبار وهى دار الدنيا وفيها الاعتبار والاتعاظ والحساب عليها أى على ما يؤتى من خير وشر (٣) رنق كفرح كدر، وردغ كثير الطين والوحل. والمشرع موردالشاربة للشرب (٤) يونق يعجب، ويوبق يهلك (٥) حائل اسم فاعل من حال إذا تحول وانتقل أى ان شأنها الغرور الذى لابقاء له، وجاء فى بعض الروايات بعد هذه الفقرة (وضوء آفل) أى غائب لا يلبث أن نظهر حتى يغيب

مَائِلٍ(١) حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا. وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا(٢). وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا. وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا. وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ(٣). قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ(٤) وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ. وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ(٥) وَثَوَابِ الْعَمَلِ. وَكَذَلِكَ الْخَلَفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ. لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَامًا(٦) وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا(٧). يَحْتَذُونَ مِثَالًا وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا إِلَى غَايَةِ الْانْتِهَاءِ. وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ(٨) حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ وَتَقَضَّتِ

---

(١) السناد بالكسر ما يستند اليه ودعامة يسند بها السقف ، وناكرها اسم فاعل من نكر الشيء كعلمه أي جهله فأنكره (٢) قمص الفرس وغيره يقمص من باب ضرب ونصر قمصا وقماصا أي استن وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معا ويعجب ، وفي المثل المضروب لضعيف لا حراك به وعزيز ذل (ما بالعير من قماص) وانما قال أرجل وليس للدابة الا رجلان لأنه نزل اليدين لها منزلة الأرجل لأن المشي على جميعها وروى بأرحلها بالحاء جمع رحل : الناقة ، وقنصت بأحبلها أي اصطادت وأوقعت من اغتر بها في شباكها وحبالها ، وأقصدت قتلت مكانها من غير تأخير (٣) علقت به وربطت بعنقه. أوهاق المنية جمع وهق بالتحريك والتسكين أي حبال الموت (٤) ضنك المضجع ضيق المرقد والمراد القبر (٥) معاينة المحل مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم. وثواب العمل جزاؤه الأعم من شقاء وسعادة. والخلف المتأخرون والسلف المتقدمون. ويعقب السلف يروى فعلا أي يتبع. ويروى بعقب بباء الجر فيكون عقب بالسكون بمعنى بعد وأصله جري الفرس بعد جريه. يقال لهذا الفرس عقب حسن (٦) لا تقلع أي لا تكف المنية عن اخترامها أي استئصالها للأحياء (٧) لا يرعوي الباقون أي لا يرجعون ولا يكفون عن اجترام السيئات ويحتذون مثالا أي يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم ويقتدون بهم ، ويمضون أرسالا جمع رسل بالتحريك وهو القطيع من الابل والغنم والخيل (٨) صيور الأمر كتنور مصيره وما يؤول اليه ، يريد الامام من

الدُّهُورُ وَأَزِفَ ٱلنُّشُورُ(١) أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ ٱلْقُبُورِ وَأَوْكَارِ ٱلطُّيُورِ . وَأَوْجِرَةِ ٱلسِّبَاعِ . وَمَطَارِحِ ٱلْمَهَالِكِ سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ . مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ(٢) . رَعِيلًا صُمُوتًا قِيَامًا صُفُوفًا يُنْفِذُهُمُ ٱلْبَصَرُ(٣) وَيُسْمِعُهُمُ ٱلدَّاعِي . عَلَيْهِمْ لَبُوسُ ٱلِاسْتِكَانَةِ(٤) . وَضَرَعُ ٱلِاسْتِسْلَامِ وَٱلذِّلَّةِ . قَدْ ضَلَّتِ ٱلْحِيَلُ . وَٱنْقَطَعَ ٱلْأَمَلُ . وَهَوَتِ ٱلْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً(٥) وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً . وَأَلْجَمَ ٱلْعَرَقُ . وَعَظُمَ ٱلشَّفَقُ وَأُرْعِدَتِ

ذلك أن الدنيا لا تزال تغر بنيها ليأنسوا اليها بالارتياح إلى لذائذها واستسهال احتمال آلامها ثم تنقلب بهم إلى ما لابد منه وهم فى غفلة لاهون (١) أزف النشور قرب البعث، والضمير فى أخرجهم إلى البعث على سبيل المجاز أو إلى الله تعالى. والضرائح جمع ضريح الشق وسط القبر وأصله من ضرحه دفعه وأبعده فان المقبور مدفوع منبوذ وهو أبعد الأشياء عن الاحياء. والاوكار جمع وكر مسكن الطير .والاوجرة جمع وجار ككتاب الجحر ، والذين يبعثون من الأوكار والأوجرة هم الذين افترسهم الطيور الصائدة والسباع الكاسرة (٢) مهطعين أى مسرعين إلى معاده سبحانه الذى وعد أن يعيدهم فيه ، وقوله الرعيل القطعة من الخيل .شبههم فى تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل أى الجملة القليلة منها لأن الاسراع لا يدع أحداً منهم ينفرد عن الآخر فان الانفراد من الابطاء، ولا يدعهم يجتمعون جا فان التضام والالتفاف إنما يكون من الاطمئنان (٣) ينفذهم البصر يجاوزهم أى يأتى عليهم ويحيط بهم أى لايعزب واحد منهم عن بصر الله (٤) اللبوس بالفتح ما يلبس. والاستكانة الخضوع . والضرع بالتحريك الوهن والضعف والخشوع ، هذا لو جعلنا عليهم متعلقا بمحذوف خبر عن لبوس وضرع فان جعلناه متعلقا بالداعى بمعنى المنادى والصائح عليهم جعلنا لبوس جملة مبتدأه ويكون لبوس جمع لابس ، وضرع محركة اسم جمع للضريع بمعنى الذليل (٥) هوت القلوب خلت من المسرة والأمل من النجاة ، كاظمة أى ساكنة كاتمة لما

ٱلْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ ٱلدَّاعِي إِلَى فَصْلِ ٱلْخِطَابِ (١) وَمُقَابَضَةِ ٱلْجَزَاءِ. وَنَكَالِ ٱلْعِقَابِ. وَنَوَالِ ٱلثَّوَابِ. عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ ٱقْتِدَارًا. وَمَرْبُوبُونَ ٱقْتِسَارًا (٢) وَمَقْبُوضُونَ ٱحْتِضَارًا. وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثًا. وَكَائِنُونَ رُفَاتًا. وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا. وَمَدِينُونَ جَزَاءً. وَمُمَيَّزُونَ حِسَابًا. قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ ٱلْمَخْرَجِ (٣)

يزعجها من الفزع ومهينمة أى متخافية، والهينمة الكلام الخفى، وألجم العرق كثر حتى امتلأت به الأفواه لغزارته فنعها من النطق وكان كالالجام. والشفق محركة الخوف (١) أرعدت عرتها الرعدة. وزبرة الداعى صوته وصيحته ولايقال زبره الا إذا كان فيها زجر وانتهار فانها واحدة الزبر أى الكلام الشديد، والمقابضة المعاوضة أى مبادلة الجزاء الخير بالخير والشر بالشر (٢) مربوبون مملوكون، والاقتسار الغلبة والقهر أى أنهم كما خلقوا باقتدار الله سبحانه وقوته فهم مملوكون له بسطوة عزته لا خيرة لهم فى ذلك واذا جاء الأجل قبضت أرواحهم إليه بما يحضر عند الأجل من مزهقات الأرواح والقوى المسلطة على الفناء. واحتضر فلان حضرته الملائكة تقبض روحه. وكانت العرب تقول لبن محتضر أى فاسد يعنون أن الجن حضرته، يقال اللبن محتضر فغط اناءك. والأجداث جمع جدث وهو القبر واجتدث الرجل اتخذ جدثا. ويقال جدف بالفاء. ومضمنون الاجداث مجعولون فى ضمنها. والرفات الحطام ويقال رفته كنصر وضرب أى كسره ودقه أى فته بيده كما يفت المدر والعظم البالى. ومبعوثون أفراداً أى كل يسأل عن نفسه لايلتفت لرابطة تجمعه مع غيره. ومدينون أى مجزيون والدين الجزاء قال «مالك يوم الدين» ومميزون حسابا كل يحاسب على عمله منفصلا عمن سواه (لا تزر وازرة وزر أخرى) (٣) المخرج الخاص من ربقة المعصية بالتوبة، والانابة الخالصة، والمنهج الطريق الواضحة التى دلت عليها الشريعة المطهرة والمستعتب المسترضى ويقال أيضا استعتبه أناله العتبى وهى الرضى. وانما ضرب المثل بمهل المستعتب لأنك إذا استرضيت شخصاً وطلبت منه أن يرضى لا ترهقه فى المطالبة بل تفسح له حتى يرضى بقلبه لا بلسانه، أى أن الله فسح لهم فى الآجال حتى يتمكنوا من ارضائه وأوتوا من العمر مهلة من ينال العتبى أى الرضا لو أحسن العمل. استعتبه أناله العتبى فهو المستعتب والمفعول

وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ . وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتَبِ . وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ(١) وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ(٢) . وَرَوِيَّةِ الْاِرْتِيَادِ . وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ(٣) فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ . فَيَالَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً . وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً . لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً . وَأَسْمَاعًا وَاعِيَةً . وَآرَاءً عَازِمَةً . وَأَلْبَابًا حَازِمَةً . فَاتَّقُوا اللّٰهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ . وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ(٤) وَوَجِلَ فَعَمِلَ . وَحَاذَرَ فَبَادَرَ . وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ . وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ . وَحُذِّرَ فَازْدَجَرَ وَأَجَابَ فَأَنَابَ(٥) . وَرَجَعَ فَتَابَ . وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى . وَأُرِيَ فَرَأَى .

---

(١) السدف جمع سدفة بالفتح الظلمة ، والريب جمع ريبة وهى الشبهة وابهام الأمر ، وكشف ذلك بما أبان من البراهين الواضحة (٢) خلوا تركوا فى مجال يتسابقون فيه إلى الخيرات. والجياد من الخيل كرامها ، والمضمار المكان الذى تضمر فيه الخيل ، والمدة التى تضمر فيها أيضا . والروية اعمال الفكر فى الأمر ليأتى على أسلم وجوهه والارتياد هنا طلب ما يراد (٣) الأناة الانتظار والتؤدة. والمقتبس المرتاد أى الذى أخذ بيده مصباحا ليرتاد على ضوئه شيئا غاب عنه ، ومثل هذا يتأنى فى حركته خوف أن يطفأ مصباحه وخشية أن يفوته فى بعض خطواته ما يفتش عليه لو أسرع فلذا ضرب المثل به . والمضطرب مدة الاضطراب أى الحركة فى العمل (٤) اقترف اكتسب ومثله قرف يقرف لعياله أى يكسب ، ووجل خاف وجلا وموجلا بفتح الميم والجيم. وبادر سارع. وعبر مبنى للمجهول مشدد الباء أى عرضت عليه العبر مرارا كثيرة فاعتبر أى اتعظ وحذر مبنى للمجهول أيضا أى خوف من عواقب الخطايا، فازدجر أى امتنع عنها ويروى وحذر لحذر وزجر فازدجر (٥) أجاب داعى الله إلى طاعته فأناب اليه أى رجع ، واحتذى شاكل بين عمله وعمل مقتداه أى أحسن القدوة. وأرى بضم الهمزة مبنى للمجهول أى أرته الشريعة ما يجب عليه وما يجب له وما يعقب الطاعة وما يعقب المعصية فرأى

فَأَسْرَعَ طَالِباً وَنَجَا هَارِباً. فَأَفَادَ ذَخِيرَةً(١) وَأَطَابَ سَرِيرَةً. وَعَمَرَ مَعَاداً. وَاسْتَظْهَرَ زَاداً(٢). لِيَوْمِ رَحِيلِهِ. وَوَجْهِ سَبِيلِهِ. وَحَالِ حَاجَتِهِ. وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ. وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ(٣). وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ(٤) وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ(٥) وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ

«مِنْهَا» جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا. وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا(٦) وَأَشْلَاءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا. مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا(٧). فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا وَمُدَدِ

ذلك رؤية صحيحة ترتب عليها حسن العمل (١) أفاد الذخيرة استفادها واقتناها وهو من الاضداد (٢) استظهر زاداً حمل زادا. حمل ظهر راحلته الى الآخرة والكلام تمثيل، ووجه السبيل المقصد الذى يركب السبيل لأجله (٣) الجهة مثلثة الناحية والجانب وهو ظرف متعلق بحال من ضمير اتقوا أى متوجهين جهة ما خلقكم لأجله من العمل النافع لكم الباقى أثره لأخلافكم (٤) حذرنا من نفسه سبحانه أن نتعرض لما يغضبه بمخالفة أوامره ونواهيه. وكنه ذلك غايته ونهايته أى احذروا نهاية ما حذركم ولا تقعوا فى شىء مما يغضبه وقد يكون المراد من كنه ما حذرنا هو البحث عن كنهه وحقيقته فيأمرنا الامام بالتقوى والبعد عن البحث فى حقيقته وكنهه فان الوصول الى كنه ذاته محال (٥) تنجز الوعد طلب وفائه على عجل وتنجز ما وعد الله انما يكون بالعمل له وبهذا التنجز العملى يستحق ما أعد الله للصالحين. والحذر معطوف على التنجز (٦) عناها أهمها وتعنيه تحفظه وتجلو من جلا عن المكان فارقه أى تخلص من عماها أى لتبصر ولا تكون مبصرة حقيقة حتى يفيدها الابصار حركة الى نافع وانقباضاً عن ضار. والأشلاء جمع شلو الجسد أو العضو وعلى الثانى يكون المعنى أن كل عضو فيه اعضاء باطنة أو صغيرة (٧) الاحناء جمع حنو بالكسر كل ما اعوج من البدن وملاءمة

عُمُرِهَا . بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا [١] وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا . فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ [٢] وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ . وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ . وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَارًا سَتَرَهَا عَنْكُمْ . وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ . أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الْآمَالِ . وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ . لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوَانِ [٣] . فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ الْهَرَمِ . وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ . وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ [٤] مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ [٥] وَأُزُوفِ الِانْتِقَالِ وَعَلَزِ الْقَلَقِ . وَأَلَمِ الْمَضَضِ وَغُصَصِ الْجَرَضِ . وَتَلَفُّتِ الِاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ

الأعضاء لها تناسبها معها، وقد يراد من الاحناء الجهات والجوانب. وملائمة حال من الأعضاء، وملاءمة الاعضاء للجهات التى وضعت فيها أن يكون العضو فى تلك الجهة انفع منه فى غيرها، تكون العين فى موضعها المعروف أنفع من كونها فى قمة الرأس مثلا ، وقوله تركيب صورها أى آتية فى صورها المركبة كما تقول ركب فى سلاحه أى متسلحا

(١) الارفاق جمع رفق بالكسر المنفعة أو ما يستعان به عليها . ورائدة أى طالبة

(٢) مجللات على صيغة اسم الفاعل من جلله بمعنى غطاه أى غامرات نعمه من قولهم سحاب مجلل أى يطبق الأرض (٣) الخلاق النصيب الوافر من الخير ، والخناق بالفتح حبل يخنق به وبالضم داء يمتنع معه نفوذ النفس، وارهقتهم أعجلتهم، وأنف بضمتين يقال أمر أنف مستأنف لم يسبق به قدر والأنف أيضا المشية الحسنة (٤) البضاضة رخص ورقة الجلد وامتلاؤه والغضارة النعمة والسعة والخصب (٥) الزيال مصدر زايله

وَٱلقُرَنَاء . فَهَلْ دَفَعَتِ ٱلْأَقَارِبُ أَوْ نَفَعَتِ ٱلنَّوَاحِبُ(١) وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ ٱلْأَمْوَاتِ رَهِيناً(٢) وَفِي ضِيقِ ٱلْمَضْجَعِ وَحِيداً . قَدْ هَتَكَتِ ٱلْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ(٣) وَأَبْلَتِ ٱلنَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ . وَعَفَتِ ٱلْعَوَاصِفُ آثَارَهُ . وَمَحَا ٱلْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ(٤) وَصَارَتِ ٱلْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا ، وَٱلْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا(٥) وَٱلْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا(٦) مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا . لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا(٧) أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ ٱلْقَوْمِ وَٱلْآبَاءِ ، وَإِخْوَانَهُمْ وَٱلْأَقْرِبَاءِ . تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ . وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ(٨) وَتَطَأُونَ جَادَّتَهُمْ . فَٱلْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا . لَاهِيَةٌ عَنْ

مزايلة وزيالا فارقه (١) الازوف الدنو والقرب والعاز فاق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر . والمضض بلوغ الحزن من القلب ، والجرض الريق ، والحفدة البنات وأولاد الأولاد والأصهار (٢) غودر ترك و بقى ، ورهينا حبيسا (٣) هتكت جذبت جلدته فقطعتها . والهوام الحيات وكل ذى سم يقتل (٤) النواهك من قولهم نهكه السلطان اذا بالغ فى عقوبته . وعفت أى محت ، والعواصف الرياح الشديدة ، والمعالم جمع معلم وهو ما يستدل به (٥) الشحبة بفتح فكسر الهالكة . البضة هنا الواحدة من البض وهو مصدر بض الماء اذا ترشح قليلا قليلا أى بعد امتلائها حتى كان الماء يترشح منها. ونخرة بالية (٦) الأعباء الأثقال جمع عبء أى حمل . وموقنة بغيب أنبائها أى منكشفا لها ما كان غائبا عنها من أخبارها وما أعد لها فى الآخرة (٧) لا تستزاد الخ أى لا يطلب منها زيادة العمل فانه لا عمل بعد الموت. ولا تستعتب مبنى للمفعول أى لا يطلب منها تقديم العتبى أى التوبة من العمل القبيح أومبنى للفاعل أى لا يمكنها أن تطلب الرضاء والاقالة من خطئها السيء (٨) القدة بكسر فتشديد الطريقة. وتطأون جادتهم تسيرون

رُشْدِهَا سَالِـكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا . كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا⁽¹⁾ وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ⁽²⁾ فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ . وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ⁽³⁾ ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ، وَأَرْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِإِبَّانِهِ ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ⁽⁴⁾ ، وَلَمْ تَعْمَ

على سبيلهم بلا انحراف عنهم فى شىء أى يصيبكم ما أصابهم بلا أقل تفاوت (١) كأن المعنى أى المقصود بالتكاليف الشرعية والموجه اليه التحذير والتبشير غيرها ، وقوله وكأن الرشد الخ أى مع أن الرشد لم ينحصر فى هذا بل الرشد كل الرشد احراز الآخرة لا الدنيا (٢) أن مجازكم الخ أنكم تجوزون على الصراط مع مافيه من مزالق الدحض. والدحض هو انقلاب الرجل بغتة فيسقط المار . والزلل هو انزلاق القدم والتارات النوب والدفعات (٣) أنصب الخوف بدنه أتعبه (٤) والغرار بالكسر القليل من النوم وغيره وأسهره التهجد أى أزال قيام الليل نومه القليل فأذهبه بالمرة. وأظمأ الرجاء الخ أى أظمأ نفسه فى هاجرة اليوم. والمعنى صام رجاء الثواب. وظلف الزهد الخ أى منعها. وظلف منع . وأرجف الذكر أرجف به أى حركه ويروى أوجف بالواو أى أسرع كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها ، وابان الشىء بكسر فتشديد وقته الذى يلزم ظهوره فيه أى انه خاف فى الوقت الذى ينفع فيه الخوف ، ويروى لأمانه أى خاف فى الدنيا ليأمن فى الآخرة. وتنكب الشىء مال عنه ، والمخالج الشعوب من الطريق المائلة عن وضحه والوضح محركة الجادة. وعن وضح متعلق بالمخالج أى تنكب المائلات عن الجادة . وأقصد المسالك أقومها ولم تفتله الخ أى لم ترده ولم تصرفه ولم تعم عليه أى لم تخف عليه الأمور المشتبهة حتى يقع فيها بحذر على غير

عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ ٱلْأُمُورِ. ظَافِرًا بِفَرْحَةِ ٱلْبُشْرَى وَرَاحَةِ ٱلنُّعْمَى[١] فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَآمَنِ يَوْمِهِ. قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ ٱلْعَاجِلَةِ حَمِيدًا[٢]. وَقَدَّمَ زَادَ ٱلْآجِلَةِ سَعِيدًا. وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ. وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ[٣] وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ. وَنَظَرَ قَدَمًا أَمَامَهُ[٤] فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَابًا وَنَوَالًا. وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَابًا وَوَبَالًا. وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِمًا وَنَصِيرًا. وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجًا وَخَصِيمًا[٥] أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ. وَٱحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ[٦]. وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي ٱلصُّدُورِ خَفِيًّا وَنَفَثَ فِي ٱلْآذَانِ نَجِيًّا[٧]، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى،

بصيرة (١) النعمى بالضم سعة العيش ونعيمه، ظافرا حال من الضمائر السابقة العائدة على ذى لب وفى أنعم متعلق براحة النعمى وجعل اتصافه بتلك الأوصاف فى حال الظفر تمثيلا لالتصاق السعادة بالفضيلة وملازمتها اياها (٢) العاجلة الدنيا. وسميت معبرا لأنها طريق يعبر منها الى الآخرة وهى الآجلة. بادر من وجل أى سبق الى خير الأعمال خوفا من لقاء الأهوال. وأكمش أسرع ومثله انكمش وكمشته تكميشا أعجلته. والمراد جد السير فى مهلة الحياة (٣) أى رغب فيما ينبغى طلبه وذهب وانصرف عما يجب الهروب منه (٤) القدم بفتحتين السابق أى نظر الى ما يتقدم أمامه من الأعمال ويروى قدما بضمتين وهو المضى أمام أى مضى متقدما (٥) الكتاب القرآن. وحجيجا وخصيما أى مقنعا لمن خالفه بأنه جلب الهلاك على نفسه، وقد يراد من الكتاب ما أحصى من الأعمال على العامل اذا عرض عليه يوم الحساب (٦) أعذر بما أنذر ما مصدرية أعذر أى سلب عذر المعتذر بانذاره اياه بعواقب العمل وقامت له الحجة على الضالين بما نهج وأوضح من طرق الخير والفضيلة (٧) ذلك العدو هو الشيطان ونفذ فى الصدور الخ تمثيل لدقة مجارى وسوسته فى الأنفس فهو فيما يسوله

وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ . وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْمَظَائِمِ . حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ (١) وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ (٢) وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ .

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ أَمْ هٰذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ (٣) وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقًا وَعَلَقَةً مُحَاقًا . وَجَنِينًا وَرَاضِعًا، وَوَلِيدًا وَيَافِعًا (٤) . ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَلِسَانًا لَافِظًا وَبَصَرًا لَاحِظًا . لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا . وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا . حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَاسْتَوَى مِثَالُهُ (٥) نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا وَخَبَطَ سَادِرًا (٦) . مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ (٧) ، كَادِحًا سَعْيًا لِدُنْيَاهُ . فِي لَذَّاتِ

يجرى مجرى الأنفاس و يسلك بما يأتى من مسالك الاصدقاء كأنه نجى يسارك و ينفث فى أذنك بما تظنه خيرا لك. واردى أهلك. ووعد فمنى أى صور الأمانى كذبا (١) القرينة النفس التى يقارنها بالوسوسة . واستدرجها أنزلها من درجة الرشد الى درجته من الضلالة ، واستغلق الرهن جعله بحيث لا يمكن تخليصه (٢) أنكر الخ بيان لعمل الشيطان وبراءته ممن اغواه عندما تحق كلمة العذاب (٣) أم بمعنى بل الانتقالية بعد ما بين وصف الشيطان انتقل لبيان صفة الانسان ، وشغف الأستار جمع شغاف هو فى الأصل غلاف القلب استعاره للمشيمة (٤) دهاقا متتابعا دهقها أى صبها بقوة وقد تفسر الدهاق بالممتلئة أى ممتلئة من جراثيم الحياة وعلقة محاقا أى خفى فيها ومحق كل شكل وصورة. والجنين الولد بعد تصويره ما دام فى بطن أمه ، واليافع الغلام راهق العشرين و يقصر يكف عن الرذائل ممتنعا عنها بالعقل والروية (٥) استوى مثاله أى بلغت قامته حد ما قدر لها من النمو (٦) خبط البعير اذا ضرب بيديه الأرض لا يتوقى شيئا والسادر المتحير والذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع (٧) متح الماء نزعه وهو فى أعلى البئر والماتح الذى ينزل البئر اذا قل ماؤها فيملأ الدلو . والغرب الدلو العظيمة أى لا يستقى

طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً[١] وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً . فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا. لَمْ يُفِدْ[٢] عِوَضًا. وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا. دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ[٣]. فَظَلَّ سَادِرًا[٤] وَبَاتَ سَاهِرًا. فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ . وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ . بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ وَوَالِدٍ شَفِيقٍ . وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعًا . وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقًا[٥] . وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ . وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ[٦] وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ . وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ . وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ. ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا[٧] وَجُذِبَ مُنْقَادًا

الا من الهوى . والكدح شدة السعى ، والبدوات جمع بداة وهى ما بدا من الرأى أى ذاهبا فيما يبدو له من رغائبه غير متقيد بشريعة ولا ملتزم صدور فضيلة (١) لا يحتسب رزية أى لا يظنها ولا يفكر فى وقوعها ولا يخاشع من التقية والخوف من الله تعالى وغريرا براءين مهملتين أى مغرورا ، ويروى عزيزا بمعجمتين أى بشابا وهى رواية ضعيفة غير ملائمة سياق النظم وعاش فى هفوته الخ عاش فى خطآته وخطيئاته الناشئة عن الخطأ فى تقدير العواقب زمنا يسيرا وهو مدة الأجل ويروى أسيرا (٢) لم يفد أى لم يستفد ثوابا (٣) دهمته غشيته وغبر بضم فتشديد جمع غابر أى باق أى فى بقايا تعنته على الحق وعدم انقياده له . والسنن الطريقة ، والمرح شدة الفرح والبطر (٤) ظل سادرا أى حائرا وذلك بعد ما غشيته فجعات المنية وهى عوارض الأمراض المهلكة التى تفضى الى الموت (٥) اللادمة الضاربة (٦) الغمرة الشدة تحيط بالعقل والحواس. والكارثة القاطعة للآمال أو من كربه الغم اذا اشتد عليه ، والأنة بفتح فتشديد الواحدة من الأنّ أى التوجع . وجذبة مكربة أى جذبات الأنفاس عند الاحتضار ، والسوقة من ساق المريض نفسه عند الموت سوقا وسياقا وسيق على المجهول شرع فى نزع الروح (٧) أبلس يبلس يئس فهو مبلس . وسلسا أى سهلا لعدم قدرته على الممانعة

سَلِساً . ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى ٱلْأَعْوَادِ. رَجِيعَ وَصَبٍ (١) وَنِضْوَ سَقَمٍ تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ ٱلْوِلْدَانِ (٢) وَحَشَدَةُ ٱلْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ . وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ (٣) حَتَّى إِذَا ٱنْصَرَفَ ٱلْمُشَيِّعُ . وَرَجَعَ ٱلْمُتَفَجِّعُ أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ ٱلسُّؤَالِ وَعَثْرَةِ ٱلِامْتِحَانِ (٤) . وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ ٱلْحَمِيمِ (٥) وَتَصْلِيَةُ ٱلْجَحِيمِ وَفَوْرَاتُ ٱلسَّعِيرِ وَسَوْرَاتُ ٱلزَّفِيرِ. لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ (٦) . وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ . وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ . وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ . وَلَا سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ ٱلْمَوْتَاتِ (٧) وَعَذَابِ ٱلسَّاعَاتِ إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ

عِبَادَ ٱللهِ أَيْنَ ٱلَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا (٨) وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا (٩)

---

(١) الرجيع من الدواب ما رجع به من سفر الى سفر فكل. والوصب التعب ، ونضو بالكسر مهزول (٢) الحفدة الأعوان ، والحشدة المسارعون فى التعاون (٣) منقطع الزورة حيث لا يزار (٤) النجى من تحادثه سراً والميت لا يسمع كلامه سوى الملائكة المكالمين له . وبهتة السؤال حيرته (٥) الحميم فى الأصل الماء الحار ، والتصلية الاحراق والمراد هنا دخول جهنم . والسورة الشدة. والزفير صوت النار عند توقدها (٦) الفترة السكون أى لا يفتر العذاب حتى يستريح المعذب من الألم، ولا تكون دعة أى راحة حتى تزيح ما أصابه من التعب، وليست له قوة تحجز عنه وترد غواشى العذاب ولا بموته يجد موتة حاضرة تذهب باحساسه عن الشعور بتلك الآلام. والناجز الحاضر والسنة بالكسر والتخفيف أوائل النوم، مسلية ملهية عن الألم (٧) أطوار الموتات الخ كل نوبة من نوب العذاب كأنها موت لشدتها. وأطوار هذه الموتات ألوانها وأنواعها (٨) عمروا الخ عاشوا فتنعموا (٩) أمهلوا فألهاهم المهل عن العمل وذلك بعد أن

وَسَلِمُوا فَنَسُوا[١] . أُمْهِلُوا طَوِيلًا . وَمُنِحُوا جَمِيلًا . وَحُذِّرُوا أَلِيماً . وَوُعِدُوا جَسِيما . اِحْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ[٢] أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ . وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ . هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ . أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ . أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ[٣] أَمْ لَا فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ[٤] أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ . أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ . قِيدُ قَدِّهِ[٥] مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ الْآنَ. عِبَادَ اللهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ[٦] وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ. فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ[٧] وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ وَبَاحَةِ الِاحْتِشَادِ[٨]. وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ . وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ[٩]. وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ[١٠] قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ . وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ[١١] وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ[١٢] وَأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ

علموا ففهموا وكان مقتضى الفهم أن لا يغتروا بالمهلة ويضيعوا الفرصة (١) سلمت عاقباتهم وأرزاقهم فنسوا نعمة الله فى السلامة (٢) المورطة المهلكة (٣) محار أى مرجع إلى الدنيا بعد فراقها (٤) تؤفكون تقلبون أى تنقلبون (٥) قيدقده بكسر القاف وفتحها من اللفظ الأول وفتحها من الثانى مقدار طوله يريد مضجعه من القبر (٦) الخناق الحبل الذى يخنق به وإهماله عدم شده على العنق مدى الحياة، أى وأنتم فى قدرة من العمل وسعة من الأمل (٧) الفينة بالفتح الحال والساعة والوقت وروى فينة الارتياد بمعنى الطلب (٨) باحة الدار ساحتها. والاحتشاد الاجتماع أى أنتم فى ساحة يسهل عليكم فيها التعاون على البر باجتماع بعضكم على بعض (٩) أنف بضمتين مستأنف المشيئة لو أردتم استئناف مشيئة وارادة حسنة لأمكنكم (١٠) الحوبة الحالة أو الحاجة (١١) الروع الخوف. والزهوق الاضمحلال (١٢) الغائب المنتظر الموت

وَفِي ٱلْخَبَرِ أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا خَطَبَ بِهٰذِهِ ٱلْخُطْبَةِ ٱقْشَعَرَّتْ لَهَا ٱلْجُلُودُ . وَبَكَتِ ٱلْعُيُونُ وَرَجَفَتِ ٱلْقُلُوبُ . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُسَمِّي هٰذِهِ ٱلْخُطْبَةَ ٱلْغَرَّاءَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي ذِكْرِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ

عَجَبًا لِابْنِ ٱلنَّابِغَةِ(١) يَزْعُمُ لِأَهْلِ ٱلشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً(٢) وَأَنِّي ٱمْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ(٣) لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَنَطَقَ آثِمًا . أَمَا وَشَرُّ ٱلْقَوْلِ ٱلْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ . وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ . وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ(٤) وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ . وَيَخُونُ ٱلْعَهْدَ . وَيَقْطَعُ ٱلْإِلَّ(٥) فَإِذَا كَانَ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ . مَالَمْ تَأْخُذِ ٱلسُّيُوفُ مَآخِذَهَا(٦) فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ ٱلْقِرْمَ سُبَّتَهُ(٧) أَمَا وَٱللهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ ٱللَّعِبِ ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ . وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ ٱلْحَقِّ نِسْيَانُ ٱلْآخِرَةِ .

---

(١) النابغة المشهورة فيما لا يليق بالنساء من نبغ اذا ظهر (٢) الدعابة بالضم المزاح واللعب. وتلعابة بالكسر كثير اللعب (٣) اعافس أعالج الناس وأضار بهم مزاحاً. ويقال المعافسة معالجة النساء بالمغازلة. والممارسة كالمعافسة (٤) فيلحف أى يلح. ويسأل ههنا مبنى للفاعل. ويسأل فى الجملة بعدها للمفعول (٥) الإل بالكسر القرابة والمراد أنه يقطع الرحم (٦) أى أنه فى الحرب زاجر وآمر عظيم أى محرض حاث مالم تأخذ السيوف مأخذها فعند ذلك يجبن كما قال فاذا كان ذلك الخ (٧) السبة بالضم الاست تقريع له بفعلته عندما نازل أمير المؤمنين فى واقعة صفين فصال عليه وكاد يضرب

إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ. وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ. لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَلَا تَعْقِدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ(٢) وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ. وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ (مِنْهَا) فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ. وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ(٣) وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ(٤) وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ. فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ. وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ. وَدَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ(٥) وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ(٦) وَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ. سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا

عنقه فكشف عورته فالتفت أمير المؤمنين عنه وتركه (١) الأتيّة العطية ورضخ له أعطاه قليلا والمراد بالأتيه والرضيخة ولاية مصر (٢) تعقد مجاز عن استقرار حكمها أى ليست له كيفية فتحكم بها (٣) الآى جمع آية وهى الدليل. والسواطع الظاهرة الدلالة (٤) البوالغ جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط. والنذر جمع نذير بمعنى الانذار أو المخوف والمراد انذار المنذرين (٥) المفظعات من أفظع الأمر اذا اشتد ويقال أفظع الرجل للمجهول اذا نزلت به الشدة (٦) الورد بالكسر الأصل فيه

وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا

(وَمِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ . وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ . لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا . وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا . وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا(١) .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ . وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ . لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ . وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ(٢) وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ . وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ(٣) وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقُدُومِهِ . وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ . فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ . فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمًى . قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ(٤) وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَكَتَبَ آجَالَكُمْ . وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ

الماء يورد للرى والمراد به الموت أو المحشر (١) بئس كسمع اشتدت حاجته (٢) ارهاق الأجل أن يعجل المفرط عن تدارك ما فاته من العمل أى يحول بينه و بينه (٣) الكظم بالتحريك الحلق أو مخرج النفس، والأخذ بالكظم كناية عن التضييق عند مداركة الأجل (٤) بين لكم أعمالكم وحددها

وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَانًا(١) حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِى رَضِىَ لِنَفْسِهِ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ(٢) وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ. فَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ. وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ. وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ. وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ(٣) فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِى كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِى تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ. وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ(٤) وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ(٥) الْإِدْهَانُ عَلَى الْمُصِيبَةِ. عِبَادَ اللهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ. وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ(٦) وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ(٧). وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ وَالشَّقِىُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ(٨) وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ(٩). وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ. جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ. الصَّادِقُ عَلَى شَرَفِ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ. وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ

---

(١) عمر نبيه مد فى أجله (٢) محابه مواضع حبه وهى الأعمال الصالحة (٣) اصبروا أنفسكم اجعلوا لانفسكم صبراً فيها (٤) الظلمة جمع ظالم (٥) المداهنة اظهار خلاف مافى الطوية والادهان مثله (٦) المغبون المخدوع (٧) والمغبوط المستحق لتطلع النفوس اليه والرغبة فى نيل مثل نعمته (٨) الرياء أن تعمل ليراك الناس وقلبك غير راغب فيه (٩) منساة

وَمَهَانَةٍ وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ . وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ(١). وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ(٢) فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ . وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ ٱللهُ عَلَى نَفْسِهِ فَٱسْتَشْعَرَ ٱلْحُزْنَ وَتَجَلْبَبَ ٱلْخَوْفَ(٣) فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَأَعَدَّ ٱلْقِرَى لِيَوْمِهِ ٱلنَّازِلِ بِهِ(٤) فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ وَهَوَّنَ ٱلشَّدِيدَ(٥). نَظَرَ فَأَبْصَرَ . وَذَكَرَ فَٱسْتَكْثَرَ(٦) وَٱرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ . سَهُلَتْ لَهُ

للايمان موضع لنسيانه وداعية للذهول عنه ، ومحضرة للشيطان مكان لحضوره وداع له (١) فانها أى المباغضة الحالقة أى الماحية لكل خير و بركة (٢) الأمل الذى يذهل العقل و ينسى ذكر الله وأوامره ونواهيه هو استقرار النفس على ما وصلت اليه غير ناظرة الى تغير الأحوال ولا آخذة بالحزم فى الأعمال (٣) استشعر لبس الشعار وهو ما يلى البدن من اللباس ، وتجلبب لبس الجلباب وهو ما يكون فوق جميع الثياب ، والحزن العجز عن الوفاء بالواجب وهو قلبى لا يظهر له أثر فى العمل الظاهر ، أما الخوف فيظهر أثره فى البعد عما يغضب الله والمسارعة للعمل فيما يرضيه وذلك أثر ظاهر. وزهر مصباح الهدى تلألأ وأضاء (٤) القرى بالكسر ما يهيأ للضيف وهو هنا العمل الصالح يهيؤه للقاء الموت وحلول الأجل (٥) جعل الموت على بعده قريباً منه فعمل له ولذلك هان عليه الصبر عن اللذائذ الفانية والأخذ بالجد فى احراز الفضائل السامية وذلك هو الشديد (٦) ذكر الله فاستكثر من العمل فى

مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً(١) وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا(٢) قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ(٣) فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى. قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ. وَسَلَكَ سَبِيلَهُ. وَعَرَفَ مَنَارَهُ. وَقَطَعَ غِمَارَهُ(٤) اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا. وَمِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا. فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ. قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ. وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ(٥) مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ. كَشَّافُ عَشَاوَاتٍ. مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ. دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ(٦) دَلِيلُ فَلَوَاتٍ(٧). يَقُولُ فَيُفْهِمُ وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ. قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ. فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ. وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ. قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ

رضاه والعذب والفرات مترادفان (١) النهل أول الشرب والمراد أخذ حظا لا يحتاج معه إلى العلل وهو الشرب الثانى (٢) الجدد بالتحريك الأرض الغليظة أى الصلبة المستوية ومثلها يسهل السير فيه (٣) الهم الواحد هو هم الوقوف عند حدود الشريعة (٤) جمع غمر بالفتح معظم البحر والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة (٥) لأن من كان همه التزام حدود الله فى أوامره ونواهيه نفذت بصيرته إلى حقائق سر الله فى ذلك فصار من درجات العرفان بحيث لا يرد عليه أمر إلا أصدره على وجهه ولا يعرض له فرع إلا رده إلى أصله (٦) عشاوات جمع عشاوة سوء البصر أو العمى أى أنه يكشف عن ذوى العشاوات عشاواتهم، ويروى عشاوات جمع عشوة بتثليث الأول وهى الأمر الملتبس. والمعضلات الشدائد والأمور لا يهتدى لوجهها (٧) الفلوات

فكان أول عدله نفى الهوى عن نفسه. يصف الحق ويعمل به. لا يدع للخير غاية إلا أمها[١] ولا مظنة إلا قصدها[٢]. قد أمكن الكتاب من زمامه[٣] فهو قائده وإمامه. يحل حيث حل ثقله[٤] وينزل حيث كان منزله. وآخر قد تسمى عالماً وليس به[٥]. فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال. ونصب للناس شركاً من حبائل غرور وقول زور. قد حمل الكتاب على آرائه. وعطف الحق على أهوائه[٦] يؤمن من العظائم ويهون كبير الجرائم. يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع. وأعتزل البدع وبينها اضطجع. فالصورة صورة إنسان. والقلب قلب حيوان. لا يعرف باب الهدى فيتبعه. ولا باب العمى فيصد عنه. فذلك ميت الأحياء فأين تذهبون. وأنى تؤفكون[٧]. والأعلام

جمع فلاة الصحراء الواسعة مجاز عن مجالات العقول فى الوصول الى الحقائق (١) أمها قصدها (٢) مظنة أى موضع ظن لوجود الفائدة (٣) الكتاب القرآن. وأمكنه من زمامه تمثيل لانقياده لاحكامه كأنه مطية والكتاب يقوده الى حيث شاء (٤) ثقل المسافر محركة متاعه وحشمه، وثقل الكتاب ما يحمل من أوامر ونواه (٥) وآخر الخ هذا عبد آخر غير العبد الذى وصفه بالاوصاف السابقة يخالف فى وصفه وصفه، واقتبس استفاد، جهائل جمع جهالة ويراد منها هنا تصور الشىء على غير حقيقته ولا يستفاد من الجهال الا ذلك، والاضاليل الضلالة جمع أضلولة ويقال لا واحد لها من لفظها وهو الأشهر، والضلال بضم فتشديد جمع ضال (٦) عطف الحق الخ حمل الحق على رغباته أى لا يعرف حقا الا اياها (٧) تؤفكون تقلبون وتصرفون بالبناء للمجهول. والأعلام الدلائل على الحق من معجزات ونحوها، والمنار جمع منارة والمراد هنا

قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ(١). بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ. فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ(٢) وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ(٣)

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ(٤). وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ. فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ(٥) وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ. وَأَنَا هُوَ. أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ(٦) وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ. وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ. وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ

ما أقيم علامة على الخير والشر (١) يتاه بكم من التيه بمعنى الضلال والحيرة. وتعمهون تتحيرون، وعترة الرجل نسله ورهطه (٢) أي أحلوا عترة النبي من قلوبكم محل القرآن من التعظيم والاحترام. وان القلب هو أحسن منازل القرآن (٣) هاموا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم أي الابل العطشى إلى الماء (٤) خذوا هذه القضية عنه وهي أنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت لبقاء روحه ساطع النور في عالم الظهور (٥) الجاهل يستغمض الحقيقة فينكرها واكثر الحقائق دقائق (٦) الثقل هنا بمعنى النفيس من كل شيء وفي الحديث عن النبي ﷺ قال تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أي النفيسين. وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر وهو القرآن ويترك الثقل

عَدْلِي وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي[١] وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي. فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ (مِنْهَا) حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ[٢] تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا. وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا. وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا. وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ[٣] يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ[٤] إِلَّا بَعْدَ تَمْيِيلٍ وَرَخَاءٍ. وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ[٥] وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ[٦]. وَمَا كُلُّ ذِي

الأصغر وهو ولداه ويقال عترته قدوة للناس (١) فرشتكم بسطت لكم (٢) مقصورة عليهم مسخرة لهم كأنهم شدوها بعقال كالناقة تمنحهم درها أى لبنها (٣) مجة بضم الميم واحدة المج بضمها أيضا نقط العسل أى قطرة عسل تكون فى أفواههم كما تكون فى فم النحلة يذوقونها زمانا ثم يقذفونها. وهذا التفسير أفضل من تفسير المجة بالفتح بالواحدة من مصدر مج التراب من فيه إذا رمى به (٤) يقصم يهلك. القصم الكسر (٥) جبر العظم طبه بعد الكسر حتى يعود صحيحا، والأزل بالفتح الشدة (٦) العتب بسكون التاء يريد منه عتب الزمان مصدر عتب عليه إذا وجد عليه، وإذا وجد الزمان على شخص اشتد عليه وقره، والأصح أنه بتحريك التاء اما مفرد بمعنى الأمر الكريه

قَلْبٍ بِلَبِيبٍ . وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ . وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ . فَيَا عَجَبِي – وَمَالِيَ لَا أَعْجَبُ – مِنْ خَطَإِ هٰذِهِ ٱلْفِرَقِ عَلَى ٱخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا . لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ . وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ . وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ . وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ (١) . يَعْمَلُونَ فِي ٱلشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ . ٱلْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا . وَٱلْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا (٢) . مَفْزَعُهُمْ فِي ٱلْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ . وَتَعْوِيلُهُمْ فِي ٱلْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ . وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ وَٱعْتِزَامٍ مِنَ ٱلْفِتَنِ (٣) وَٱنْتِشَارٍ مِنَ ٱلْأُمُورِ . وَتَلَظٍّ مِنَ

والفساد أو جمع عتبة بالتحريك بمعنى الشدة يقال ما فى هذا الأمر رتبة ولا عتبة أى شدة أى أنكم لجديرون أن تعتبروا بأقل من الشدة المقبلة عليكم بعد ضعف أمركم وأقل من الخطب العظيم الذى مر بكم فكيف بمثل هذه الأمور الجسام فأنتم أجدر أن تعتبروا بها (١) ولا يعفون بكسر العين وتشديد الفاء من عففت عن الشيء إذا كففت عنه (٢) أى يستحسنون ما بدا لهم استحبابه ويستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون رجوع الى دليل بين أو شريعة واضحة ، يثق كل منهم بخواطر نفسه كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى على ما بها من جهل ونقص (٣) اعتزام من قولهم اعتزم الفرس إذا مر جامحا أى وغلبة من الفتن ، ويروى اعترام بالراء المهملة يقال

ٱلْحُرُوبِ(١) وَٱلدُّنْيَا كَاسِفَةُ ٱلنُّورِ ظَاهِرَةُ ٱلْغُرُورِ. عَلَى حِينِ ٱصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا(٢) وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا. وَٱغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا. قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ ٱلْهُدَى. وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ ٱلرَّدَى. فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا(٣) عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا ٱلْفِتْنَةُ. وَطَعَامُهَا ٱلْجِيفَةُ. وَشِعَارُهَا ٱلْخَوْفُ وَدِثَارُهَا ٱلسَّيْفُ(٤) فَٱعْتَبِرُوا عِبَادَ ٱللّٰهِ. وَٱذْكُرُوا تِيكَ ٱلَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ(٥). وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ ٱلْعُهُودُ. وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ ٱلْأَحْقَابُ وَٱلْقُرُونُ(٦) وَمَا أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ وَٱللّٰهِ مَا أَسْمَعَهُمُ ٱلرَّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا ٱلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ. وَمَا أَسْمَاعُكُمُ ٱلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِٱلْأَمْسِ. وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ ٱلْأَبْصَارُ وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ ٱلْأَفْئِدَةُ فِي ذٰلِكَ

اعترم الفرس سطا ومال (١) وتلظ أى تلهب (٢) هذا وما بعده تمثيل لتغيير الدنيا واشرافها على الزوال ويأس الناس من التمتع بها أيام الجاهلية ، واغورار الماء ذهابه ويروى اعوار مائها بالمهملة من قوله فلاة عوراء لا ماء بها (٣) من تجهمه أى استقبله بوجه كريه (٤) ثمرها الفتنة أى ليست لها نتيجة سوى الفتن ، والجيفة إشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار . والشعار من الثياب ما يلى البدن، والدثار فوق الشعار . ولما كان الخوف يتقدم السيف كان الخوف شعارا والسيف دثارا وأيضا فالخوف باطن والسيف ظاهر (٥) تيك اشارة إلى سيئات الأعمال و بواطل العقائد وقبائح العوائد . وهم بها مرتهنون أى محبوسون على عواقبها فى الدنيا من الذل والضعف (٦) الأحقاب جمع حقب بالضم و بضمتين قيل ثمانون سنة وقيل أكثر وقيل

ٱلْاوَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ. وَٱللّٰهِ مَا بَصُرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ. وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ[1] وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا[2] رِخْوًا بِطَانُهَا. فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ ٱلْغُرُورِ. فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ. وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ[3] ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ. وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ أَرْتَاجٍ[4]. وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ. وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ. وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ. وَلَا فَجٌّ ذُو أعْوِجَاجٍ. وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ. وَلَا خَلْقٌ ذُو أعْتِمَادٍ. ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ ٱلْخَلْقِ

هو الدهر (١) يريد أن حالهم كحال من سبقهم وأن من السابقين من اهتدى بهدى الرسول فنجا من سوء عاقبة ما كان فيه. ومنهم من جهل فحل به من النكال ما حل. والامام اليوم مع هؤلاء كما كان الرسول مع أولئك. وحال السامعين فى المدارك كحال السابقين وليس هؤلاء مختصين بشىء حرمه أولئك ولا عالمين بأمر جهلوه. فأصفيتم أى خصصتم مبنى للمجهول (٢) الخطام ما جعل فى أنف البعير لينقاد به. وجولان الخطام حركته وعدم استقراره لأنه غير مشدود. والعبارة تصوير لانطلاق الفتنة تأخذ فيهم مأخذها لا مانع لها ولا مقاوم. و بطان البعير حزام يجعل تحت بطنه ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط (٣) روية فكر وامعان نظر (٤) الارتاج جمع رتج بالتحريك الباب العظيم. والداجى المظلم. والساجى الساكن. والفجاج جمع فج بمعنى الطريق الواسع بين جبلين، والمهاد الفراش، والخلق بمعنى المخلوق، وذو اعتماد

وَوَارِثُهُ(١) وَإِلٰهُ ٱلْخَلْقِ وَرَازِقُهُ . وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ(٢) يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ . قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ . وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ . وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ ٱلضَّمِيرِ(٣) . وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ ٱلْأَرْحَامِ وَٱلظُّهُورِ . إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ ٱلْغَايَاتُ . هُوَ ٱلَّذِي ٱشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ . عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ . وَٱتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ(٤) وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ . وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ(٥) . وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ

عِبَادَ ٱللهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا . وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا . وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ ٱلْخِنَاقِ . وَٱنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ ٱلسِّيَاقِ(٦)

---

(١) مبتدع الخلق منشئه من العدم المحض ووارثه الباقي بعده (٢) دائبان تثنية دائب وهو المجد المجتهد ، وصفهما بذلك لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران ولا يسكنان وذلك كما أراد سبحانه (٣) من الضمير بيان لما تخفي الصدور وذلك أخفى من خائنة الأعين وهي ما يسارق من النظر الى ما لا يحل وتلك أخفى مما قبلها . من الأرحام والظهور أي فيها ، أو تكون من للتبعيض أي الجزء الذي كانوا فيه من أرحام الأمهات وظهور الآباء (٤) عازّه رام مشاركته في شيء من عزته. وشاقه نازعه. وناواه خالفه (٥) جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين اظهاراً لتحقق الجزاء على العمل قال تعالى « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » (٦) العنف ضد الرفق أي بطش وتصرف بقصد وارادة

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تُعْرَفُ بِخُطْبَةِ الْأَشْبَاحِ وَهِيَ مِنْ جَلَائِلِ خُطَبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ سَأَلَهُ سَائِلٌ أَنْ يَصِفَ اللهَ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ عِيَانًا فَغَضِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِذَلِكَ

اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ(٢) وَلَا يُكْدِيهِ الْإِعْطَاءُ وَالْجُودُ. إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِوَاهُ. وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ. وَهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ. وَعَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَالْقِسَمِ. عِيَالُهُ الْخَلْقُ. ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ. وَنَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ. وَالطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ. وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ. الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ. وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ

انقادوا إلى ما يطلب منكم بالحث الرفيق قبل أن تساقوا اليه بالعنف الشديد (١) من لم يعن مبنى للمجهول أى من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها منبه لم ينفعه تنبيه غيره، ويجوز أن يكون للفاعل أى من لم يعن الزواجر على نفسه بالتذكير والاعتبار لم تؤثر فيه (٢) لا يفره لا يزيد ما عنـده من البخل والجود وهو

فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ . وَالرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ(١) . مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ . وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الِانْتِقَالُ وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ(٢) وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ(٣) وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَٰلِكَ فِي جُودِهِ . وَلَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْإِنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ(٤) لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ وَلَا يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ(٥) . فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ(٦) .

أشد البخل ، ولا يكديه أى لا يفقره (١) اناسى جمع انسان، وإنسان البصر هو ما يرى وسط الحدقة ممتازا عنها فى لونها (٢) أبدع الامام فى تسمية انفلاق المعادن عن الجواهر تنفسا فان أغلب ما يكون من ذلك بل كله عن تحرك المواد الملتهبة فى جوف الأرض الى الخارج وهى فى تبخرها أشبه بالنفس، كما أبدع فى تسمية انفتاح الصدف عن الدر ضحكا (٣) الفلز بكسر الفاء واللام الجوهر النفيس ، واللجين الفضة الخالصة ، والعقيان ذهب ينمو فى معدنه ، ونثارة الدر بالضم منثوره ، وفعالة بالضم فاش للجيد المختار كالخلاصة ، وللساقط المتروك كالقلامة ، وحصيد المرجان محصوده يشير إلى أن المرجان نبات وقد حققته كاشفات الفنون جديدها وقديمها (٤) أنفده بمعنى أفناه ، ونفد كفرح أى فنى (٥) يغيض بفتح حرف المضارعة من غاض المتعدى : يقال غاض الماء لازما وغاضه الله متعديا ، و يقال أغاضه أيضا وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ماعنده. و يبخله بالتخفيف من أبخلت فلانا وجدته بخيلا، أما بخله بالتشديد فمعناه رماه بالبخل (٦) ائتم به أى اتبعه فصفه كما وصفه اقتداء به

وَاسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ . وَمَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ الْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللّٰهِ سُبْحَانَهُ . فَإِنَّ ذٰلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللّٰهِ عَلَيْكَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَاجَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ[1]، فَمَدَحَ اللّٰهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَالَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا . وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخًا . فَاقْتَصِرْ عَلَى ذٰلِكَ وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ . هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ[2] وَحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ[3] وَتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ[4] لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ[5] وَغَمُضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ[6] رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ

---

(١) السدد جمع سدة باب الدار، والاقرار فاعل أغناهم (٢) ارتمت الأوهام ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها . ومنقطع الشيء ما اليه ينتهي (٣) المبرأ الخ أما الملابس لهذه الخطرات فمعلوم أنه لا يصل إلى شيء لوقوفه عند وساوسه (٤) تولهت القلوب اليه اشتد عشقها وميلها لمعرفة كنهه (٥) لتجري الخ لتجول ببصائرها في تحقيق كيف قامت صفاته بذاته أو كيف اتصف سبحانه بها (٦) وغمضت الخ أي خفيت طرق الفكر ودقت

الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ[١] مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الِاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ[٢] وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ[٣] الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ[٤] وَلَا مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ قَبْلَهُ . وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُدْرَتِهِ مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ[٥] وَظَهَرَتْ فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلَامُ

و بلغت فى الخفاء والدقة إلى حد لا يبلغه الوصف (١) ردعها الخ جواب للشرط فى قوله اذا ارتمت الخ . وردعها كفها وردها ، والمهاوى المهالك ، والسدف بضم ففتح جمع سدفة وهى القطعة من الليل المظلم ، وجبهت من جبهه اذا ضرب جبهته والمراد ردت بالخيبة (٢) الجور العدول عن الطريق ، والاعتساف سلوك على غير جادة وسلوك العقول فى أى طريق طلبا لاكتناه ذاته وللوقوف على مالم تكلف الوقوف عليه من كيفية صفاته يعد جوراً وعدولا عن الجادة ، فان العقول الحادثة ليس فى طبيعتها ما يؤهلها للاحاطة بالحقائق الأزلية ، اللهم الا ما دلت عليه الآثار وذلك هو الوصف الذى جاء فى الكتاب والسنة ، وكنه معرفته نائب فاعل ينال (٣) الرويات جمع روية الفكر (٤) ابتدع الخلق أوجده من العدم المحض على غير مثال سابق امتثله أى حاذاه ، ولا مقدار سابق احتذى عليه أى قاس وطبق عليه ، وكان ذلك المثال أو المقدار من خالق معروف سبقه بالخلقة أى لم يقتد بخالق آخر فى شىء من الخلقة اذ لا خالق سواه (٥) المساك كسحاب ـ ويكسر ـ ما به يمسك الشىء كالملاك ما به يملك «ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا» وقد جعل الحاجة الظاهرة من المخلوقات الى اقامة وجودها بما يمسكها من قوته بمنزلة الناطق بذلك المعترف به ، وقوله باضطرار

حِكْمَتِهِ .فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ . وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ . وَتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ[1] الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ . لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ[2] . وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّأَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ[3] إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ[4] .وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى[5] بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ . وَأَشْهَدُ

متعلق بدلنا،وعلى معرفته متعلق به أيضاً، أى دلنا على معرفته بسبب أن قيام الحجة اضطرنا لذلك . وما دلنا مفعول لأرانا. وظهرت فى البدائع الخ معطوف على أرانا

(١) الحقاق جمع حق بضم الحاء رأس العظم عند المفصل، واحتجاب المفاصل استتارها باللحم والجلد وذلك الاستتار مما له دخل فى تقوية المفاصل على تأدية وظائفها التى هى الغاية من وضعها فى تدبير حكمة الله فى خلقة الأبدان، والمراد من شبهه بالانسان ونحوه

(٢) غيب الضمير باطنه، والمراد منه هنا العلم واليقين، أى لم يحكم بيقينه فى معرفتك بما أنت أهل له (٣) العادلون بك الذين عدلوا بك غيرك أى سووه بك وشبهوك به

(٤) نحلوك أعطوك ، وحلية المخلوقين صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها ، أى وصفوك بصفات المخلوقين ، وذلك انما يكون من الوهم الذى لا يصل الى غير الأجسام ولواحقها دون العقل الذى يحكم فيما وراء ذلك (٥) قدروك قاسوك

أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ . وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ . وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ . وَأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً[١] وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً[٢] .

(وَمِنْهَا) قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ . وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ . وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَ الِانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ[٣] . وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ . الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا[٤] وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ[٥] وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ . وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ[٦]

---

(١) أى لم تكن متناهياً محدود الأطراف حتى تحيط بك العقول فتكيفك بكيفية مخصوصة (٢) مصرفاً أى تصرفك العقول بأفهامها فى حدودك (٣) استصعب المركوب لم ينقد فى السير لراكبه . وكل مخلوق خلقه الله لأمر أراده بلغ الغاية مما أراد الله منه ولم يقصر دون ذلك منقاداً غير مستصعب (٤) غريزة: طبيعة ومزاج ، أى ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه الى الفعل ، بل هو انفعال بماله بمقتضى ذاته لا بأمر عارض (٥) أفادها استفادها (٦) لم يعترض دونه أى دون الخلق واجابة دعوة الله. والريث التثاقل عن الأمر أى أجاب الخلق دعوة الخالق فيما وجهت اليه فطرته بدون مهل

وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ[١] فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا[٢]. وَنَهَجَ حُدُودَهَا[٣] وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا. وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا[٤]. وَفَرَّقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ[٥]. بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا[٦] وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا (مِنْهَا فِي صِفَةِ السَّمَاءِ) وَنَظَّمَ بِلَا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا[٧]. وَلَاحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا[٨] وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا[٩]. وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا[١٠]. نَادَاهَا بَعْدَ إِذْهِيَ دُخَانٌ. فَالْتَحَمَتْ

---

(١) الاناة تؤدة تمازجها روية فى اختيار العمل وتركه ، والمتلكىء المتعلل، يقول أجاب الخلق ربه طائعا مقهورا بلا تلكؤ (٢) أودهـا اعوجاجها (٣) نهج عين ورسم (٤) قرائنها جمع قرينة وهى النفس ، أى وصل حبال النفوس وهى من عالم النور بالابدان وهى من عالم الظلمة (٥) الغرائز الطبائع (٦) بدايا جمع بدىء أى مصنوع (٧) رهوات جمع رهوة أى المكان المرتفع ويقال للمنخفض أيضا ، والفرج جمع فرجة . يقول قد فرج الله ما بين جرم وآخر من الاجرام السماوية ونظمها على ذلك بدون تعليق أحدها بالآخر وربطه به بآلة حسية (٨) لاحم الخ ما كان فى الجرم الواحد منها من صدع لحمه سبحانه وأصلحه فسواه، وذلك كما كان فى بدء خلقة الارض وانفصالها عن الاجرام السماوية وانفراج الاجرام عنها، فما تصدع بذلك أصلحه الله « أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » (٩) من وشج محمله اذا شبكه بالأربطة حتى لايسقط منه شىء ، أى انه سبحانه شبك بين كل سماء وأجرامها وبين أزواجها أى أمثالها وقرنائها من الاجرام الاخرى فى الطبقات العليا والسفلى عنها بروابط الماسكة المعنوية العامة، وهى من أعظم المظاهر لقدرته (١٠) الهابطين والصاعدين الارواح العلوية والسفلية . والحزونة الصعوبة . وقوله ناداها الخ رجوع الى بيان بعض ما كانت عليه قبل النظم. يقول كانت السموات هباء مائراً

عُرَى أَشْرَاجِهَا . وَفَتَقَ بَعْدَ الِارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا(١) . وَأَقَامَ رَصَدًا مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا(٢) وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرَاقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ(٣) . وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ . وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا(٤) وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا(٥) فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا . وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا . لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا . وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا . ثُمَّ عَلَّقَ فِي

أشبه بالدخان منظراً وبالبخار مادة فتجلى من الله فيها سر التكوين فالتحمت عرى أشراجها، والاشراج جمع شرج بالتحريك هو العروة وهى مقبض الكوز والدلو وغيرهما. وأشار باضافة العرى للاشراج الى أن كل جزء من مادتها عروة للآخر يجذبه اليه ليتماسك به، فكل ماسك وممسوك، وكلٌّ عروة وله عروة (١) بعد أن كانت جسماً واحداً فتق الله رتقه، وفصلها الى أجرام بينها فرج وأبواب، وأفرغ ما بينها بعد ما كانت صوامت أى لافراغ فيها (٢) النقاب جمع نقب وهو الخرق . والشهب الثواقب أى الشديدة الضياء . والرصد القوم يرصدون كالحرس ، وكون الرصد من الشهب فى أصل تكوين الخلقة كما قال الامام دليل على ما أثبته العلم من أن الشهب مقذيان لبعض أجرام الكواكب(٭) ما نظمه لها من التفانق فما نقب وخرق من جرم عوض بالشهاب، وذلك أمر آخر غير ما جاء فى الكتاب العزيز فما جاء فى الكتاب بمعنى آخر (٣) وأمسكها عن أن تمور أى تضطرب فى الهواء بأيده أى بقوته ، وأمرها أن تقف أى تلزم مراكزها لاتفارق مداراتها، لابمعنى أن تسكن (٤) مبصرة أى جعل شمس هذه الاجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائما (٥) ممحوة يمحى ضوؤها فى بعض اطراف الليل فى أوقات من الشهر ،وفى جميع الليل أياما منه . ومناقل مجراهما الاوضاع التى ينتقلان فيها من مداريهما

(٭) العبارة فيها تحريف فى الأصل ، والمعنى ان كلام الامام دليل على ما أثبته العلم الحديث من ان الشهب جعلت لتسد ما يحصل فى بعض اجرام الكواكب من خروق ، كما يدل عليه آخر العبارة

جَوِّهَا فَلَكَهَا[١]. وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا[٢] وَرَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَمَسِيرِ سَائِرِهَا وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا. وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا[٣] (مِنْهَا فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ. وَعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى[٤] مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا. وَحَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا[٥]. وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدْسِ وَسُتُرَاتِ الْحُجُبِ وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ[٦]. وَوَرَاءَ ذٰلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا[٧]. فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا[٨]. أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ. أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ

---

(١) فلكها هو الجسم الذي ارتكزت فيه وأحاط بها وفيه مدارها. وناط بها أي علق بها وأحاطها. ودراريها كواكبها وأقمارها. والإذلال جمع ذل بالكسر وهو محجة الطريق أي على الطرق التي سخرها فيها (٢) نجومها الصغار (٣) نحوسها وسعودها من أفقار بعضها في علله وريع بعضها على كونه(*) (٤) الصفيح السماء (٥) الأجواء جمع جو (٦) الزجل رفع الصوت. والحظائر جمع حظيرة موضع يحاط عليه لتأوى اليه الغنم والابل توقيا من البرد والريح، وهو مجاز هنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة. والسترات جمع سترة ما يستتر به. والسرادقات جمع سرادق وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه (٧) الرجيج الزلزلة والاضطراب. وتستك منه أي تصم منه الآذان لشدته. وسبحات نور أي طبقات نور وأصل السبحات الأنوار نفسها (٨) خاسئة مدفوعة مطرودة عن الترامي اليها

(*) هذه العبارة طبق الاصل، وهي غير واضحة. وفي شرح ابن أبي الحديد ما يفيد ان النجوم تدل بنحسها وسعدها على امور عامة مما لا تخص أحدا بعينه كأن تدل على قحط عام أو مرض عام أو نحو ذلك

عِزَّتِهِ لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ . وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ . بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ « لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ . وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ . وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ . وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ . وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ[1] وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلُلًا[2] إِلَى تَمَاجِيدِهِ . وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ[3] . لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الْآثَامِ[4] . وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ[5] . وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ[6] . وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ[7] وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ[8] . وَلَا سَلَبَتْهُمُ

(١) الاخبات الخضوع والخشوع (٢) جمع ذلول خلاف الصعب (٣) قال بعض أهل اللغة ان منارة تجمع على منار وان لم يذكره صاحب القاموس. وأرى أن مناراً ههنا جمع منارة بمعنى المسرجة وهي مايوضع فيه المصباح . والأعلام مايقام للاهتداء على أفواه الطرق ومرتفعات الأرض . والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيده (٤) مثقلاتها (٥) ارتحله وضع عليه الرحل ليركبه .والعقب جمع عقبة هي النوبة. والليل والنهار [عقيبان] لتعاقبهما، أي لم يتسلط عليهم تعاقب الليل والنهار فيفنيهم أويغيرهم (٦) النوازع جمع نازعة وهي النجم أو القوس، وعلى الأول المراد منها الشهب وعلى الثاني تكون الباء في بنوازعها بمعنى من (٧) جمع معقد محل العقد بمعنى الاعتقاد (٨) الاحن جمع احنة هي الحقد والضغينة

ٱلْحِيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ[١] . وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ . وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ ٱلْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ[٢] . مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ ٱلْغَمَامِ ٱلدُّلَّحِ[٣] وَفِي عِظَمِ ٱلْجِبَالِ ٱلشُّمَّخِ وَفِي قَتْرَةِ ٱلظَّلَامِ ٱلْأَبْهَمِ[٤] وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ ٱلْأَرْضِ ٱلسُّفْلَى . فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ ٱلْهَوَاءِ[٥] . وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ ٱنْتَهَتْ مِنَ ٱلْحُدُودِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ . قَدِ ٱسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ[٦] وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ ٱلْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ . وَقَطَعَهُمُ ٱلْإِيقَانُ بِهِ إِلَى ٱلْوَلَهِ إِلَيْهِ[٧] وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ وَشَرِبُوا بِٱلْكَأْسِ ٱلرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ[٨] وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ[٩] وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ[١٠] فَحَنَوْا بِطُولِ ٱلطَّاعَةِ ٱعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ .

---

(١) لاق لصق (٢) تقترع من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة. والرين بفتح الراء الدنس وما يطبع على القلب من حجب الجهالة (٣) جمع دالح وهو الثقيل بالماء من السحاب (٤) القترة هنا الخفاء والبطون . ومنها قالوا أخذه على قترة أي من حيث لا يدري. والابهم بباء موحدة بعد الهمزة أصله من لا يعقل ولا يفهم، وصف به الليل وصفا للشيء بما ينشأ عنه، فان الظلام الحالك يوقع في الحيرة و يأخذ بالفهم عن رشاده (٥) مواضع ما خرقت أقدامهم (٦) جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها (٧) شدة الشوق اليه (٨) الروية التي تروى وتطفىء العطش (٩) محل الروح الحيواني من مضغة القلب (١٠) الوشيجة أصلها عروق الشجرة أراد منها

وَلَمْ يُنْفِذْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ[١] وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ[٢] وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ. وَلَا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ الْإِجْلَالِ[٣] نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ. وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ[٤] فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ[٥] وَلَا مَلَكَتْهُمُ الْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ[٦] وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ[٧]. وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ. وَلَا تَعْدُو[٨] عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلَادَةُ الْغَفَلَاتِ وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ[٩]. قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ[١٠]. وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ[١١]

هنا بواعث الخوف من الله (١) أى أن شدة رجائهم لم تفن مادة خوفهم وتذللهم (٢) جمع ربقة بالكسر والفتح وهى العروة من عرى الربق بكسر الراء وهو حبل فيه عدة عرى تربط فيه البهم (٣) الاستكانة ميل للسكون من شدة الخوف ثم استعملت فى الخضوع (٤) دأب فى العمل بالغ فى مداومته حتى أجهده (٥) لم تنقص. وأسلة اللسان طرفه أى لم تيبس أطراف ألسنتهم فتقف عن ذكره (٦) الهمس الخفى من الصوت. والجؤار رفع الصوت بالتضرع أى لم يكن لهم عن الله شاغل يضطرهم للهمس والاخفاء وخفض جؤارهم بالدعاء اليه (٧) المقاوم جمع مقام، والمراد الصفوف (٨) لا تسطو (٩) انتضلت الابل رمت بأيديها فى السير بسرعة. وخدائع الشهوات للنفس [بما تزينه لها.] أى لم تسلك خدائع الشهوات طريقا فى هممهم (١٠) حاجتهم (١١) يمموه قصدوه بالرغبة والرجاء عند ما

لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ. وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ(١) إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ(٢). لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ(٣) فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ(٤) وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ(٥). وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ. وَلَوِ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ(٦). وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ. وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ. وَلَا شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ(٧) وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ(٨). فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ. لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَنًى وَلَا فُتُورٌ(٩). وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَوَاتِ

انقطعت الخلق سواهم الى المخلوقين (١) الاستهتار التولع (٢) مواد جمع مادة: أصلها من مد البحر اذا زاد، وكل ماأعنت به غيرك فهو مادة، ويريد بها البواعث المعينة على الاعمال، أي كلما تولعوا بطاعته زادت بهم البواعث عليها من الرغبة والرهبة (٣) الشفقة الخوف (٤) ونى ينى تأنى (٥) وشيك السعى مقاربه وهينه، أي انه لاطمع لهم فى غيره فيختاروا هين السعى على الاجتهاد الكامل (٦) الشفقات تارات الخوف واطواره، وهو فاعل نسخ والرجاء مفعول. والوجل الخوف أيضا (٧) شعبتهم فرقتهم صروف الريب جمع ريبة وهى مالا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق (٨) جمع خيف بالفتح هو فى الاصل ما انحدر عن سفح الجبل، والمراد هنا سواقط الهمم، فان التفرق والاختلاف كثيراً مايكون من انحطاط الهمة بل أعظم مايكون منه ينشأ عن ذلك. وقد يكون الخيف بمعنى الناحية أي متطرفات الهمم (٩) ونى مصدر ونى

مَوْضِعُ إِهَابٍ(١) إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ . أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ(٢) . يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً . وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً . (وَمِنْهَا) فِي صِفَةِ الْأَرْضِ وَدَحْوِهَا عَلَى الْمَاءِ(٣) . كَبَسَ الْأَرْضَ(٤) عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ . وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ(٥) . تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا(٦) وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا(٧) وَتَرْغُو زَبَدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا . فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا . وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا(٨) . وَذَلَّ مُسْتَخْذِيًا(٩) إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا(١٠) فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ(١١) سَاجِيًا مَقْهُورًا(١٢) . وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَادًا أَسِيرًا(١٣) . وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ . وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلَائِهِ(١٤) وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ

---

(١) جلد حيوان (٢) خفيف سريع (٣) دحوها بسطها (٤) كبس النهر والبئر أى طمهما بالتراب وعلى هذا كان حق التعبير كبس بها مور أمواج لكنه أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل. والمور التحرك الشديد. والمستفحلة الهائجة يصعب التغلب عليها (٥) ممتلئة (٦) جمع آذىّ أعلى الموج (٧) اصطفقت الاشجار اهتزت بالريح . والاثباج جمع ثبج بالتحريك هو فى الأصل ما بين الكاهل والظهر أو صدر القطاة استعاره لأعالى الموج والمتقاذفات التى يقذف بعضها بعضا (٨) هو فى الأصل الصدر استعاره لملاقى الماء من الأرض (٩) منكسرا مسترخيا (١٠) من تمعكت الدابة أى تمرغت فى التراب (١١) اصطخاب افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت (١٢) ساجيا ساكنا (١٣) الحكمة محركة ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه وفيها العذاران (١٤) البأو الكبر والزهو

غُلَوَائِهِ (١) وَكَعَمَتْهُ (٢) عَلَى كِظَّةِ جِرْيَتِهِ (٣) فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَانِهِ (٤) . وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ (٥) . فَلَمَّا سَكَنَ هِيَاجُ ٱلْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا (٦) وَحَمْلِ شَوَاهِقِ ٱلْجِبَالِ ٱلشُّمَّخِ ٱلْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا (٧) فَجَرَ يَنَابِيعَ ٱلْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا (٨) . وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا (٩) وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا (١٠) وَذَوَاتِ ٱلشَّنَاخِيبِ ٱلشُّمِّ (١١) . مِنْ صَيَاخِيدِهَا (١٢) . فَسَكَنَتْ مِنَ ٱلْمَيَدَانِ (١٣) لِرُسُوبِ ٱلْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا (١٤) ، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا (١٥) ، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ

---

(١) بضم الغين وفتح اللام النشاط وتجاوز الحد (٢) كعم البعير كمنع شد فاه لئلا يعض أو يأكل ، وما يشد به كعام ككتاب (٣) الكظة بالكسر مايعرض من امتلاء البطن بالطعام ، ويراد بها هنا مايشاهد فى جرى الماء من ثقل الاندفاع (٤) النزق والنزقان الطيش (٥) الزيفان التبختر فى المشية . ولبد كفرح ونصر . أى قام وثبت (٦) نواحيها (٧) البذخ بمعنى الشمخ جمع شامخ وباذخ أى عال ورفيع . غير أنى أجد من لفظ الباذخ معنى أخص وهو الضخامة مع الارتفاع . وحمل عطف على أكناف (٨) عرانين جمع عرنين بالكسر ماصلب من عظم الأنف والمراد أعالى الجبال ، غير أن الاستعارة من ألطف أنواعها فى هذا المقام (٩) السهوب جمع سهب بالفتح أى الفلاة . والبيد جمع بيداء . والأخاديد جمع أخدود الحفر المستطيلة فى الأرض . والمراد منها مجارى الأنهار (١٠) الضمير للأرض كما يظهر من بقية الكلام . والجلاميد جمع جلمود الحجر القامي (١١) الشناخيب جمع شنخوب وهو رأس الجبل . والشم الرفيعة (١٢) جمع صيخود وهو الصخرة الشديدة (١٣) بالتحريك الاضطراب (١٤) سطحها (١٥) التغلغل المبالغة فى الدخول ومتسربة أى داخلة . والجوبات جمع جوبة بمعنى الحفرة . والخياشيم جمع خيشوم هو منفذ الأنف إلى الرأس أو مارق من العضار يف الكائنة

سُهُولِ ٱلْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا(١) وَفَسَحَ بَيْنَ ٱلْجَوِّ وَبَيْنَهَا . وَأَعَدَّ ٱلْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا . وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا(٢) ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ ٱلْأَرْضِ(٣) ٱلَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ ٱلْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا(٤) وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ ٱلْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا(٥) حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا(٦) وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا . أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ ٱفْتِرَاقِ لُمَعِهِ(٧) وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ(٨) ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ ٱلْمُزْنِ فِيهِ(٩) . وَٱلْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ(١٠) وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ(١١) وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ أَرْسَلَهُ سَحًّا

فوق قصبة الأنف متصلة بالرأس ، وضمير تغلغلها للجبال . وخياشيمها للأرض والمجاز ظاهر (١) ركوب الجبال أعناق السهول استعلاؤهـا عليها . وأعناقها سطوحها وجراثيمها ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية ، واستعلاء الجبال عليها ظاهر (٢) مرافق البيت ما يستعان به فيه وما يحتاج اليه فى التعيش خصوصـا ما يكون من الأماكن ، أو هو ما يتم به الانتفاع بالسكنى كمصـاب المياه والطرق الموصلة اليه والأماكن التى لا بد منها للساكنين فيه لقضـاء حاجاتهم وما يشبه ذلك (٣) الأرض الجرز بضمتين التى تمر عليها مياه العيون فتنبت (٤) مرتفعاتها (٥) ذريعة وسيلة (٦) الموات من الأرض ما لا يزرع (٧) جمع لمعة بضم اللام : فى الأصل القطعة من النبات مالت لليبس استعارها لقطع السحاب ، والمشابهة فى لونها وذهابها الى الاضمحلال لولا تأليف الله اياها مع غيرها (٨) جمع قزعة محركة وهى القطعة من الغيم (٩) تمخضت تحركت تحركا شديداً كما يتحرك اللبن فى السقاء بالمخض . والضمير فى فيه راجع إلى المزن أى تحركت اللجة التى يحملها المزن فيه . ويصح أن يرجع للغمام فى أول العبارة (١٠) جمع كفة بضم الكاف وهى الحاشية والطرف لكل شىء أى جوانبه (١١) نامت النار همدت . والوميض اللمعان . والكنهور كسفرجل القطع العظيمة من السحاب

مُتَدَارِكًا[١] . قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ ، تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ[٢] وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ[٣] . فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بَوَانِيهَا[٤] ، وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ[٥] مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا[٦] أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ[٧] وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ[٨] ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا[٩] وَتَزْدَهِي[١٠] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ[١١] أَزَاهِيرِهَا[١٢] وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ[١٣] مِنْ نَاضِرِ

أو المتراكم منه. والرباب كسحاب الأبيض المتلاحق منه، أى لم يمهد لمعان البرق فى ركام هذا الغمام (١) صبًّا متلاحقا متواصلا (٢) أسف الطائر دنا من الأرض، والهيدب كجعفر السحاب المتدلى أو ذيله ، وقوله تمريه من مرى الناقة أى مسح على ضرعها ليحلب لبنها . والدرر كغلل جمع درة بالكسر اللبن . والأهاضيب جمع هضاب وهو جمع هضبة كضربة وهى المطرة، أى دنا السحاب من الأرض لثقله بالماء وريح الجنوب تستدره الماء كما يستدر الحالب لبن الناقة ،فان الريح تحركه فيصب ما فيه (٣) جمع شؤبوب ما ينزل من المطر بشدة (٤) البرك بالفتح فى الأصل ما يلى الأرض من جلد صدر البعير كالبركة . والبوانى هى أضلاع الزور . وشبه السحاب بالناقة إذا بركت وضربت بعنقها على الأرض ولاطمتها بأضلاع زورها. واشتبه ابن أبى الحديد فى معنى للبرك والبوانى فأخرج الكلام عن بلاغته (٥) بعاع عطف على برك . والبعاع بالفتح ثقل السحاب من الماء . وألقى السحاب بعاعه أمطر كل ما فيه (٦) العبء الحمل (٧) الهوامد من الأرض ما لم يكن بها نبات (٨) زعر جمع زاعر وهو من المواضع القليل النبات (٩) بهج كمنع سر وأفرح (١٠) تعجب (١١) جمع ريطة بالفتح وهى كل ثوب رقيق لين (١٢) جمع زهار الذى هو جمع زهرة بمعنى النبات (١٣) سمط من سمط الشىء علق عليه السموط وهى الخيوط تنظم فيها القلادة

أَنْوَارِهَا وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلاغًا لِلأَنَامِ (١) وَرِزْقًا لِلأَنْعَامِ . وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا . فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلامُ خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ . وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ (٢) وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ . وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ . وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ . فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ. وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالاتِهِ ، قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ (٣) . وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا . وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا . وَلِيَخْتَبِرَ بِذٰلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا . ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا

الأنوار جمع نور بفتح النون وهو الزهر بالمعنى المعروف أى حلية القلائد التى علقت عليها من أزهار نباتها . وفى رواية شمطت بالشين وتخفيف الميم من شمطه اذا خلط لونه بلون آخر . والشميط من النبات ما كان فيه لون الخضرة مختلطا بلون الزهر (١) البلاغ ما يتبلغ به من القوت (٢) خلقته (٣) المقطع النهاية التى ليس وراءها

عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا[١]، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا[٢] غُصَصَ أَتْرَاحِهَا[٣]، وَخَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا. وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا. وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا[٤]. وَجَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا[٥] وَقَاطِعًا لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا[٦]. عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ. وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ[٧]. وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ[٨]، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ[٩]. وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ[١٠]. وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ[١١]، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ[١٢]، وَمَصَائِفِ الذَّرِّ[١٣] وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ[١٤] وَرَجْعِ الْحَنِينِ

غاية (١) العقابيل الشدائد جمع عقبولة بضم العين . والفاقة الفقر (٢) الفرج جمع فرجة وهى التفصى من الهم (٣) جمع ترح بالتحريك الغم والهلاك (٤) حبالها (٥) خالجا جاذبا لاشطانها جمع شطن كسبب: الحبل الطويل، شبه به الأعمار الطويلة (٦) المرائر جمع مريرة الحبل يفتل على أكثر من طاق أو الشديد الفتل . والاقران جمع قرن بالتحريك وهو الحبل يجمع به بعيران، وذكره لقوته أيضا . واضافة المرائر للاقران بعد استعمالها فى الشديدة بلا قيد أن تكون حبالا (٧) التخافت المكالمة سراً (٨) رجم الظنون مايخطر على القلب أنه وقع أو يصح أن يقع بلا برهان (٩) العقد جمع عقدة ما يرتبط القلب بتصديقه لايصدق نقيضه ولايتوهمه . والعزيمات جمع عزيمة ما يوجب البرهان الشرعى أو العقلى تصديقه والعمل به (١٠) جمع مسرق مكان مسارقة النظر أو زمانها أو البواعث عليها أوفلان يسارق فلانا النظر أى ينتظر منه غفلة فينظر اليه . والايماض اللمعان وهو أحق أن ينسب الى العيون لا الى الجفون، ونسبته الى الجفون لانه ينبعث من بينها (١١) ضمنته حوته . والاكنان جمع كن كل مايستتر فيه . وغيابات الغيوب أعماقها (١٢) استراق الكلام استماعه خفية . والمصائخ جمع مصاخ مكان الاصاخة وهو ثقبة الاذن (١٣) صغار النمل ، ومصائفها محل اقامتها فى الصيف ، وهو ومابعده عطف على ضمائر المضمرين (١٤) مشاتيها محل اقامتها فى الشتاء

مِنَ ٱلْمُولَهَاتِ[١] وَهَمْسِ ٱلْأَقْدَامِ[٢]. وَمُنْفَسَحِ ٱلثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ ٱلْأَكْمَامِ[٣]، وَمُنْقَمَعِ ٱلْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ ٱلْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا[٤]. وَمُخْتَبَإِ ٱلْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ ٱلْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا[٥]، وَمَغْرَزِ ٱلْأَوْرَاقِ مِنَ ٱلْأَفْنَانِ[٦]، وَمَحَطِّ ٱلْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ ٱلْأَصْلَابِ[٧]، وَنَاشِئَةِ ٱلْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا. وَدُرُورِ قَطْرِ ٱلسَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا. وَمَا تَسْفِي ٱلْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا[٨] وَتَعْفُو ٱلْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا[٩]. وَعَوْمِ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ ٱلرِّمَالِ[١٠]، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ ٱلْأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيبِ ٱلْجِبَالِ[١١]، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ ٱلْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ ٱلْأَوْكَارِ[١٢]، وَمَا أَوْعَبَتْهُ ٱلْأَصْدَافُ[١٣]، وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ ٱلْبِحَارِ[١٤]

---

(١) الحزينات، ورجع الحنين ترديده (٢) الهمس أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض (٣) منفسح الثمرة مكان نموها من الولائج جمع وليجة بمعنى البطانة الداخلية. والغلف جمع غلاف. والاكمام جمع كم بالكسر وهو غطاء النوار ووعاء الطلع (٤) منقمع الوحوش موضع انقماعها أى اختفائها. والغيران جمع غار (٥) سوق جمع ساق أسفل الشجرة تقوم عليه فروعها. والالحية جمع لحاء قشر الشجرة (٦) الغصون (٧) الامشاج النطف. سميت أمشاجا - جمع مشيج - من مشج اذا خلط، لانها مختلطة من جراثيم مختلفة كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن. ومسارب الاصلاب ما يتسرب المنى فيها عند نزوله أو عند تكونه (٨) سفت الريح التراب ذرته أو حملته. والاعاصير جمع اعصار ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض كالعمود (٩) تعفو تمحو (١٠) الكثبان جمع كثيب: التل (١١) الذرى جمع ذروة أعلى الشيء. والشناخيب رؤوس الجبال (١٢) تغريد الطائر رفع صوته بالغناء وهو نطقه. والدياجير المظلمة (١٣) أوعبته جمعته (١٤) حضنت عليه ربته فتولد فى حضنها كالعنبر

وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ[١] أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ[٢]. وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ[٣] وَسُبُحَاتُ النُّورِ. وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ. وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ. وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ[٤]. وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ[٥]، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ[٦] أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ[٧]. أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ. لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذٰلِكَ كُلْفَةٌ . وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ[٨]. وَلَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ[٩]. بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَاهُوَ أَهْلُهُ .

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ[١٠]. إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مُؤَمَّلٍ ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ . اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ

(١) سدفة ظلمة (٢) ذر طلع (٣) اعتقبت تعاقبت: وتوالت. والاطباق الاغطية. ونحوه والدياجير الظلمات . وسبحات النور درجاته وأطواره (٤) هماهم: هموم مجاز من الهمهمة ترديد الصوت فى الصدر من الهم (٥) عليها أى على الأرض (٦) قرارتها مقرها (٧) نقاعة عطف على نطفة. ونقاعة الدم ما ينقع منه فى أجزاء البدن. والمضغة عطف على نقاعة أى يعلم مقر جميع ذلك (٨) هى ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله (٩) اعتورته تداولته وتناولته (١٠) المبالغة فى عد كمالاتك الى مالا ينتهى

ٱلْخِيبَةِ وَمَوَاضِعِ ٱلرِّيبَةِ[١] .وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ ٱلْآدَمِيِّينَ . وَٱلثَّنَاءِ عَلَى ٱلْمَرْبُوبِينَ ٱلْمَخْلُوقِينَ . ٱللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ[٢] مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ ٱلرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ ٱلْمَغْفِرَةِ . ٱللَّهُمَّ وَهٰذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ ٱلَّذِي هُوَ لَكَ وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقًّا لِهٰذِهِ ٱلْمَحَامِدِ وَٱلْمَمَادِحِ غَيْرَكَ . وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ[٣] ، فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا ٱلْمَقَامِ رِضَاكَ ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ ٱلْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لما أُرِيدَ على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه

دَعُونِي وَٱلْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ . لَا تَقُومُ لَهُ ٱلْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ ٱلْعُقُولُ[٤] .وَإِنَّ ٱلْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَٱلْمَحَجَّةَ[٥] قَدْ تَنَكَّرَتْ . وَٱعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ

---

(١) هم المخلوقون (٢) ثواب وجزاء (٣) الخلة بالفتح الفقر . والمن الاحسان (٤) لا تصبر له ولا تطيق احتماله (٥) غطيت بالغيم . والمحجة الطريق المستقيمة . تنكرت أى تغيرت علائمها فصارت مجهولة ، وذلك أن الاطماع كانت قد تنبهت فى كثير من الناس على عهد

وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ. وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ. وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ. فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ[١]، وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرُأَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا[٢] وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا[٣]. فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا[٤] وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا،

عثمان رضى الله عنه بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء فلا يسهل عليهم فيما بعد أن يكونوا فى مساواة مع غيرهم، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه وطلبوا طائشة الفتنة طمعا فى نيل رغباتهم، وأولئك هم أغلب الرؤساء فى القوم، فان أقرهم الامام على ما كانوا عليه من الامتياز فقد أتى ظلما وخالف شرعا، والناقمون على عثمان قائمون على المطالبة بالنصفة ان لم ينالوها تحرشوا للفتنة، فأين المتجه للوصول الى الحق على أمن من الفتن. وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها (١) شققتها وقلعتها تمثيل لتغلبه عليها، وذلك كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج (٢) الغيهب الظلمة. وموجها شمولها وامتدادها (٣) الكلب محركة: داء معروف يصيب الكلاب، فكل من عضته أصيب به بجن ومات، شبه به اشتداد الفتنة حتى لا تصيب أحدا إلا أهلكته (٤) الداعى

وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً . وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ[١] وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ[٢] لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ . وَذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ[٣] وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ . إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ[٤] وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ[٥] . يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ. يَحُمْنَ حَوْلَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَدًا وَيُخْطِئْنَ بَلَدًا . أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا[٦] وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا[٧]، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وَايْمُ اللَّهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ[٨] تَعْذِمُ بِفِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى

إليها ، من نعق بغنمه صاح بها لتجتمع (١) الكرائه جمع كريهة (٢) الحوازب جمع حازب وهو الأمر الشديد، حز به الأمر إذا اشتد عليه (٣) قلصت بتشديد اللام تمادت واستمرت . و بتخفيفها وثبت (٤) اشتبه فيها الحق بالباطل (٥) لأنها تعرف بعد انقضائها وتنكشف حقيقتها فتكون عبرة (٦) الخطة بالضم الأمر أى شمل أمرها لأنها رئاسة عامة. وخصت بليتها آل البيت لأنها اغتصاب لحقهم (٧) من عرف الحق فيها نزل به بلاء الانتقام من بنى أمية (٨) الناب الناقة المسنة . والضروس السيئة

لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ. وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ(١). تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً(٢) وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً. لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى(٣) نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ(٤) وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ. ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ(٥) بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً(٦) وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ(٧) لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ. وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ(٨). فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ(٩) لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ. وَلَا يَنَالُهُ حُسْنُ الْفِطَنِ. الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي. وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي (مِنْهَا فِي وَصْفِ

الخلق تعض حالبا. وتعذم من عذم الفرس إذا أكل بجفاء أوعض. وتز بن أى تضربه. ودرها لبنها. والمراد خيرها (١) التابع من متبوعه، أى انتصار الأذلاء وما هو بانتصار (٢) شوهاء قبيحة المنظر. ومخشية مخوفة مرعبة (٣) دليل يهتدى به (٤) بمكان النجاة من اثمها (٥) كما يسلخ الجلد عن اللحم (٦) يلزمهم ذلا. وقوله بمن متعلق بيفرجها (٧) مملوءة إلى اصبارها جمع صبر بالضم والكسر بمعنى الحرف أى إلى رأسها (٨) من أحلس البعير إذا ألبسه الحلس بكسر الحاء وهو كساء يوضع على ظهره تحت البرذعة، أى لا يكسوهم الاخوفا (٩) الجزور الناقة المجزورة، أوهو البعير

ٱلْأَنْبِيَاءِ) فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ . تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ ٱلْأَصْلَابِ(١) إِلَى مُطَهَّرَاتِ ٱلْأَرْحَامِ . كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ . حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً(٢) وَأَعَزِّ ٱلْأُرُومَاتِ مَغْرِساً(٣) . مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ(٤) وَٱنْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ(٥) . عِتْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْعِتَرِ(٦) ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْأُسَرِ ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ ٱلشَّجَرِ . نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ(٧) ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ . فَهُوَ إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَى . سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْءُهُ . وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ . سِيرَتُهُ ٱلْقَصْدُ(٨) وَسُنَّتُهُ ٱلرُّشْدُ . وَكَلَامُهُ ٱلْفَصْلُ . وَحُكْمُهُ ٱلْعَدْلُ . أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ(٩) ، وَهَفْوَةٍ عَنِ ٱلْعَمَلِ(١٠) ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ . ٱعْمَلُوا رَحِمَكُمُ

مطلقاء أو الشاة المذبوحة ، أى ولو مدة ذبح البعير أو الشاة (١) تناسختهم تناقلتهم (٢) كمجلس موضع النبات ينبت فيه (٣) الأرومات جمع أرومة الأصل . والمغرس موضع الغرس (٤) صدع فلانا قصده لكرمه ، أى اختصهم بالنبوة من بين فروعها وهى شجرة ابراهيم عليه السلام (٥) انتخب اختار (٦) عترته آل بيته . واسرة الرجل رهطه الادنون (٧) بسقت ارتفعت (٨) الاستقامة (٩) الفترة الزمان بين الرسولين (١٠) هفوة زلة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين

اللهُ عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ . فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ[١] يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ. وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ[٢]. وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ. وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ . وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ . وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ . وَالتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ . وَالْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ . وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ . قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الْأَهْوَاءُ ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ[٣]، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ[٤] . حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ . فَبَالَغَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي النَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ أُخْرَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ . وَالْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ . وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ . وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ (مِنْهَا فِي ذِكْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ

---

(١) واضح قويم . ويدعو إلى دار السلام يوصل اليها (٢) مستعتب بفتح التاءين طلب العتبى. أى الرضاء من الله بالأعمال النافعة (٣) استزلتهم أدت بهم للزلل والسقوط فى المضار، وتأنيث الفعل على تأويل أن الكبرياء صفة. وفى رواية واستزلهم الكبراء أى أضلهم كبراؤهم وسادتهم (٤) استخفتهم طيشتهم . والجاهلية حالة العرب قبل نور

عَلَيْهِ وَآلِهِ) مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ . وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ . فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ(١) . قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ(٢) . دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنَ(٣) وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ(٤) . أَلَّفَ بِهِ إِخْوَانًا ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا(٥) . أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ(٦) ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ . كَلَامُهُ بَيَانٌ وَصَمْتُهُ لِسَانٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ(٧) . وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ . وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ(٨) . أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي . وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ

العلم الاسلامى . والجهلاء وصف لها للمبالغة (١) المماهد جمع ممهد كمقعد ما يمهد أى يبسط فيه الفراش ونحوه، أى انه ولد فى أسلم موضع وأنقاه من دنس السفاح (٢) الأزمة كأئمة جمع زمام. وانثناء الأزمة اليه عبارة عن تحولها نحوه (٣) الاحقاد، فهو رسول الالفة، وأهل دينه المتآلفون المتعاونون على الخير . ومن لم يكن فى عروة الالفة منهم فهو ـ والله أعلم ـ خارج عنهم (٤) جمع ثائرة وهى العداوة الواثبة بصاحبها على أخيه ليضره ان لم يقتله (٥) وفرق به أقران الالفة على الشرك (٦) ذلة الضعفاء من أهل الفضل المستترين بحجب الخمول، وأذل به عزة الشرك والظلم والعدوان (٧) لا يذهب عنه أن يأخذه (٨) الشجى ما يعترض فى الحلق من عظم وغيره . ومساغ الريق ممره

الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا . وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي . اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا . وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا . أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ[١] وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ ؟ أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا . وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا . وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ الْقَوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا[٢] تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ . أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَيَّةِ[٣]، عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ[٤]

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ . الْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ . الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ . الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ . صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ . وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ . لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ . يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ بِكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ،

من الحلق . والكلام تمثيل لقرب السطوة الالهية من الظالمين (١) شهود جمع شاهد بمعنى الحاضر . وغياب جمع غائب (٢) قالوا ان سبأ هو أبو عرب اليمن كان له عشرة أولاد جعل منهم ستة يمينا له وأربعة شمالا تشبيها لهم باليدين، ثم تفرق أولئك الأولاد أشد التفرق (٣) القوس (٤) أعضل استعصى واستصعب

وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ. لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ(١) وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ. تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ. يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ. وَاللّٰهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ(٢) أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَحَمِيَ الضِّرَابُ وَقَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا(٣). وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي. وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطًا(٤). انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ(٥) وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى. فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا(٦) وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا. وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا. لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ،(*) لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا(٧) وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا يُرَاوِحُونَ بَيْنَ

(١) هاته ومابعدهاهما الثنتان، وماقبلهاهي الثلاثة (٢) اخال أظن. وحمس كفرح اشتد. والوغى الحرب (٣) انفراج المرأة عن قبلها عند الولادة أو عندما يشرع عليها سلاح. والمشابهة في العجز والدناءة في العمل (٤) اللقط أخذ الشيء من الأرض. وانما سمى اتباعه لمنهاج الحق لقطا لأن الحق واحد والباطل ألوان مختلفة، فهو يلتقط الحق من بين ضروب الباطل (٥) السمت بالفتح طريقهم أو حالهم أو قصدهم (٦) لبد كنصر أقام، أى ان أقاموا فأقيموا (٧) شعثا جمع أشعث هو المغبر الرأس. والغبر جمع أغبر، والمراد أنهم

(*) فى بعض النسخ «فما أرى أحداً منهم يشبهه»

جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ (١) وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ . كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى (٢) مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ . إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ . وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ خَوْفاً (٣) مِنَ الْعِقَابِ وَرَجَاءَ الثَّوَابِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلّهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ (٤) وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ . وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ (٥) وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ (٦) وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ . وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ

---

(١) المراوحة بين العملين أن يعمل هذا مرة، وهذا مرة. و بين الرجلين ان يقوم بالعمل كل منهما مرة، و بين جباههم وخدودهم أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى على الأرض خضوعا لله وسجوداً كانوا متقشفين (٢) ركب جمع ركبة موصل الساق من الرجل بالفخذ. وانما خص ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة، أى انهم لطول سجودهم يطول سهودهم، وكأن بين أعينهم جسم خشن يدور فيهـا فيمنعهم عن النوم والاستراحة (٣) مادوا اضطربوا وارتعدوا (٤) الكلام فى بنى أمية . والمحرم ما حرمه الله . واستحلاله استباحته (٥) بيوت المدر المبنية من طوب وحجر ونحوها، و بيوت الوبر الخيام (٦) أصله من نبابه المنزل اذا لم يوافقه فارتحل عنه، وان البيوت تستوبل سوء الحكومة فتأخذ عنه منجاة فيخسر العمران، ولا تنبوا الحكومة الظالمة

مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ . إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ . وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللهِ ظَنًّا . فَإِنْ أَتَاكُمُ اللهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا . وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا . فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ . وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ

عِبَادَ اللهِ أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا . وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا . فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ[١] وَأَمُّوا عَلَمًا[٢] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ . وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا[٣] حَتَّى يَبْلُغَهَا . وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا[٤] فَلَا تَنَافَسُوا

إلا خرابا تنعق فيه فلا يجيبها الا صدى نعيقها (١) السفر بفتح فسكون جماعة المسافرين ، أى انكم فى مسافة العمر كالمسافرين فى مسافة الطريق فلا يلبثون أن ياتوا على نهايتها لأنها محدودة (٢) أموا قصدوا (٣) الذى يجرى فرسه الى غاية معلومة أى مقدار مَن الجرى يلزمه حتى يصل لغايته (٤) يحدوه يتبعه ويسوقه

فِي عِزِّ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِهَا . وَلَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا . وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا . فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى ٱنْقِطَاعٍ . وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ(١) . وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى ٱنْتِهَاءٍ . وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ . أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ ٱلْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ(٢) وَفِي آبَائِكُمُ ٱلْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِلَى ٱلْخَلَفِ ٱلْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ . أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى، فَمَيِّتٌ يُبْكَى وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى. وَعَائِدٌ يَعُودُ وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ(٣). وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ . وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ. وَعَلَى أَثَرِ ٱلْمَاضِي مَا يَمْضِي ٱلْبَاقِي

أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ ٱللَّذَّاتِ ، وَمُنَغِّصَ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ ٱلْأُمْنِيَاتِ. عِنْدَ ٱلْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ ٱلْقَبِيحَةِ(٤) . وَٱسْتَعِينُوا ٱللهَ عَلَى أَدَاءِ

---

(١) فناء (٢) مكان للانزجار والارتداع (٣) من جاد بنفسه إذا قارب أن يقضى نحبه كأنه يسخو بها ويسلمها إلى خالقها (٤) عند متعلق باذكروا . والمساورة المواثبة كأن العمل القبيح لبعده عن ملاءمة الطبع الانسانى بالفطرة الالهية ينفر من مقترفه كما ينفر الوحش فلا يصل إليه المغبون إلا بالوثبة عليه وهو فى غائلته على مجترمه كالضاريات من الوحوش فهو يثب على مواثبه ليهلكه فما ألطف التعبير بالمساورة فى هذا الموضع

وَاجِبِ حَقِّهِ . وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ أُخْرَى

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ . وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ . نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا [١] ، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا . فَأَدَّى أَمِينًا وَمَضَى رَشِيدًا . وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ [٢] ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ [٣] . وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ [٤] . بَطِيءُ الْقِيَامِ ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ . فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللّٰهُ ، حَتَّى يُطْلِعَ اللّٰهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ [٥] . فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ [٦] ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ . فَإِنَّ الْمُدْبِرَ

---

(١) فالقا بمجدران الباطل فهادمها (٢) خرج عن الدين. والذى يتقدم راية الحق هو من يزيد على ما شرع الله أعمالا وعقائد يظنها مزينة للدين ومتممة له ويسميها بدعة حسنة (٣) اضمحل وهلك (٤) رزين فى قوله لا يبادر به عن غير رويه، بطىء القيام لا ينبعث للعمل بالطيش وإنما يأخذ له عدة اتمامه، فاذا أبصر منه وجه الفوز قام فمضى إليه مسرعا، وكأنه يصف بذلك حال نفسه كرم الله وجهه (٥) يصل متفرقكم (٦) الاقبال والادبار فى الجلتين لا يتواردان على جهة واحدة، فالمقبل بمعنى المتوجه إلى الأمر الطالب له الساعى اليه، والمدبر بمعنى من أدبرت حاله واعترضته الخيبة

عَسَى أَنْ تَزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ(١) ، وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً . أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ(٢)، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ أُخْرَى

الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ . وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ . بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ . وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي(٣)، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي(٤) . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ . وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ(٥) قَدْ

فى عمله وإن كان لم يزل طالبا (١) رجليه (٢) خوى غاب (٣) لا يكسبنكم ، والمفعول محذوف اى خسرانا ، أى لا تشاقونى فيكسبكم الشقاق خسراناً ، ولا تعصونى فيتيه بكم عصيانى فى ضلال وحيرة (٤) لا ينظر بعضكم الى بعض تغامزاً بالانكار لما أقول (٥) ضليل كشرير : شديد الضلال مبالغ فى الضلال

نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ(١) فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ(٢) . فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ(٣) ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ(٤) ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا . وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا(٥) ، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا(٦) . فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ(٧) ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ(٨) . وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ . هٰذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ(٩) ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ . وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ(١٠) ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ

---

(١) من فحص القطا التراب اذا اتخذ فيه افحوصاً بالضم وهو مجثمه، اى المكان الذى يقيم فيه عند ما يكون على الارض، يريد أنه نصب له رايات بحثت لها فى الارض مراكز (٢) هى الكوفة، أى انه كاد يصل الكوفة حيث ان راياته انتشرت على بعض بلدان من حدودها وهو ما أشار اليه بالضواحى (٣) فغر الفم كمنع انفتح ، وفغرته، فهو لازم ومتعد، أى اذا انفتحت فاغرته وهى فمه (٤) الشكيمة الحديدة المعترضة فى اللجام فى فم الدابة و يعبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الانقياد
(٥) عبوسها (٦) جمع كدح بالفتح وهو الخدش وأثر الجراحات (٧) نضج وحان قطافه (٨) حالة نضجه (٩) هو ما اشتد صوته من الرعد والريح وغيرهما . والعاصف ما اشتد من الريح، والمراد مزعجات الفتن (١٠) يكون الاشتباك بين قواد الفتنة و بين أهل الحق كما تشتبك الكباش بقرونها عند النطاح . وما بقى من الصلاح قائماً يحصد، وما كان قد حصد يحطم و يهشم، فلا يبقى الا شر عام و بلاء تام ان لم يقم للحق أنصار

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ يَجْرِي مَجْرَى الْخُطْبَةِ

وَذَٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ (١) وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعًا قِيَامًا قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ. فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعًا (مِنْهُ) فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ . لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ (٢) ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً ، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا . أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ (٣) . يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ . فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ . فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَٰلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ لَا رَهَجَ لَهُ وَلَا حَسَّ (٤) .

---

(١) نقاش الحساب الاستقصاء فيه (٢) لا تثب لمعارضتها قائمة خيل، وقوائم الفرس رجلاه أو أنه لا يتمكن أحد من القيام لها وصدها. وقوله مزمومة مرحولة قادها وزمها وركبها برحنها أقوام زحفوا بها عليكم، يحفزونها أي يحثونها ليقروا بها في دياركم وفيكم يحطون الرحال (٣) السلب محركة ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه في الحرب، أي ليسوا من أهل الثروة (٤) الرهج بسكون الهاء ويحرك الغبار ، والحس بفتح الحاء الجلبة والأصوات المختلطة . قالوا يشير إلى فتنة صاحب الزنج وهو علي بن محمد ابن عبد الرحيم من بني عبد القيس ادعى أنه علوي من أبناء محمد بن أحمد بن عيسى ابن زيد بن علي بن الحسين ، وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ في نواحي البصرة وخرج بهم على المهتدي العباسي في سنة خمس وخمسين ومائتين ، واستفحل أمره وانتشرت أصحابه في أطراف البلاد للسلب والنهب، وملك ابلة عنوة وفتك بأهلها،

وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا(١). فَإِنَّهَا وَاللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ(٢)، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الْآمِنَ(٣). لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ. وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ. فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا

رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ. وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ. فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ(٤)، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ. وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ (مِنْهَا) الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ. وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا

واستولى على عبادان والأهواز، ثم كانت بينه وبين الموفق فى زمن المعتمد حروب انجلى فيها عن الأهواز وسلم عاصمة ملكه، وكان سماها المختارة - بعد محاصرة شديدة - وقتله الموفق أخو الخليفة المعتمد سنة سبعين ومائتين، وفرح الناس بقتله لانكشاف رزئه عنهم

(١) الصادفين المعرضين (٢) الثاوى المقيم (٣) المترف بفتح الراء المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع (٤) فان الذى هو موجود فى الدنيا بعد قليل كأنه لم يكن، وان الذى هو كائن فى الآخرة بعد قليل كأنه كان لم يزل، فكأنه وهو فى الدنيا من سكان الآخرة

أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ. وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ لَعَبْدًا وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ. جَائِرًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ. إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسِلَ، كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ[1]، وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ[2]

(مِنْهَا) وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ[3] إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ. أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَأَعْلَامُ السُّرَى[4]. لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلَا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ. وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ[5]، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ». أَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ) فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْخَامِلَ الذِّكْرِ الْقَلِيلَ الشَّرِّ. وَالْمَسَايِيحُ جَمْعُ مِسْيَاحٍ وَهُوَ الَّذِي يَسِيحُ

---

(١) ماعمل له هو حرث الدنيا (٢) ونى فيه: تراخى فيه، وهو حرث الآخرة (٣) نومة بضم ففتح كثير النوم، يريد به البعيد عن مشاركة الأشرار فى شرورهم، فاذا رأوه لا يعرفونه منهم و إذا غاب لا يفتقدونه (٤) السرى كالهدى السير فى ليالى المشاكل. و بقية الألفاظ يأتى شرحها بعد أسطر لصاحب الكتاب (٥) ليتبين الصادق من

بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِالْفَسَادِ وَٱلنَّمَائِمِ . وَٱلْمَذَايِيعُ جَمْعُ مِذْيَاعٍ : وَهُوَ ٱلَّذِى إِذَا سَمِعَ لِغَيْرِهِ بِفَاحِشَةٍ أَذَاعَهَا وَنَوَّهَ بِهَا . وَٱلْبُذُرُ جَمْعُ بَذُورٍ :وَهُوَ ٱلَّذِى يَكْثُرُ سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنْطِقُهُ(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْياً . فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ. يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ ٱلسَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ . يَحْسِرُ ٱلْحَسِيرُ(٢) وَيَقِفُ ٱلْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ. حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَٱسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ(٣) ، وَٱسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ

الكاذب والمخلص من المريب، فتكون لله الحجة على خلقه (١) الذى فى القاموس أن البذور بالفتح كالبذير هو النمام (٢) من حسر البعير كضرب إذا أعيا وكل ، والكسير المكسور ، أى أن من ضعف اعتقاده أو كلت عزيمته فتراخى فى السير على سبيل المؤمنين ، أو طرقته الوساوس فهشمت قوائم همته بزلزال فى عقيدته فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقيم على ملاحظته وعلاجه حتى ينصل من مرضه هذا ويلحق بالمخلصين إلا من كان ناقص الاستعداد خبيث العنصر فلا ينجع فيه الدواء فيهلك (٣) كناية عن وفرة أرزاقهم، فان الرحا إنما تدور على ما تطحنه من الحب . أو كناية عن قوة

سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا ، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا ، مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ ، وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ . وَايْمُ اللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ[١] حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا : خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا ، وَأَنْجَبَهَا كَهْلًا . أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً ، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً[٢] . فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا ، فِي لَذَّتِهَا وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا[٣] ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا[٤] ، قَلِقًا وَضِينُهَا . قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ[٥] ،

سلطانهم على غيرهم . والرحا رحا الحرب يطحنون بها . والقناة الرمح . واستقامتها كناية عن صحة الاحوال وصلاحها (١) البقر بالفتح الشق ، أى لأشقن جوف الباطل بقهر أهله فأنتزع الحق من أيدى المبطلين . والتمثيل فى غاية من اللطف (٢) الديمة بالكسر المطر يدوم فى سكون . والمستمطر بفتح الطاء من يطلب منه المطر . والمراد هنا النجدة والمعونة . فالنبى ﷺ أغزر الناس فيضا للخير على طلابه (٣) جمع خلف بالكسر حلمة ضرع الناقة (٤) الخطام ككتاب ما يوضع فى أنف البعير ليقاد به . والوضين بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للرحل كالحزام للسرج . وجولان الخطام وقلق الوضين إما كناية عن الهزال ، و إما كناية عن صعوبة القياد . فان الخطام الجائل لا يشتد على البعير فيجذبه ، وعن قلق الراكب وعدم اطمئنانه لاضطراب الرحل بقلق الوضين (٥) السدر بالكسر شجر النبق والمخضود المقطوع الشوك أو

وَحَلَالَهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ . وَصَادَفْتُمُوهَا وَاللهِ ظِلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ . فَالأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ(١) ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ . أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا(٢) ، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا . وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ(٣) . وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ . فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَابَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ . أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ . أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ

أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ . وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ(٤)

عِبَادَ اللهِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ(٥) نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى

منثنى الاغصان من ثقل الحمل . والتشبيه في اللذة (١) أي بعد بعثة النبي ﷺ شغرت لكم الارض ، أي لم يبق فيها من يحميها دونكم ويمنعكم عن خيرها (٢) ثائر طلب بدمه وقتل قاتله (٣) الطالب بدمائنا ينال ثأره حتما كانه هو القاضي بنفسه لنفسه ليس هناك من يحكم عليه فيمانعه عن حقه (٤) امتاحوا: استقوا وانزعوا الماء لري عطشكم من عين صافية صفت من الكدر وهي عين علومه عليه السلام (٥) منزل الركون الى الجهالة والانقياد للهوى . وشفا الشيء حرفه . والجرف بضمتين ما جرفته السيول

ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ[١] لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَالَا يَلْتَصِقُ وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ . فَاللهَ اللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لا يُشْكِي شَجْوَكُمْ[٢] ، وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ . إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ . الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ ، وَالْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا ، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا[٣] . فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ[٤] ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ[٥] . وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي

وأكلته من الارض . والهارى كالهائر : المتهدم أو المشرف على الانهدام، أى انه بمكان التهور فى الهلكة (١) أى انه اذا نقل حمل المهلكات فانما ينقله من موضع من ظهره الى موضع آخر منه، فهو حامل لها دائما، وانما يتعب فى نقلها من اعلاه لوسطه أو أسفله بآرائه و بدعه، فهو فى كل رأى يتنقل من ضلالة الى ضلالة حيث ان مبنى الكل على الجهالة والهوى (٢) يقال أشكاه اذا أزال مشتكاه ، والشجو الحاجة. يقول ان ما تسوله لكم الجهالات والاهواء من الحاجات يلزمكم أن تنصرفوا عن خيالها ولا تشكوها الى، فانى لا أتبع أهواءكم ولا أقضى هذه الرغبات الفاسدة ولا استطيع أن أنقض برأيى ما أبرم لكم فى الشريعة الغراء (٣) السهمان بالضم جمع سهم بمعنى الحظ والنصيب ، واصدار السهمان اعادتها الى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيئا . وسماه اصداراً لأنها كانت منعتها أربابها بالظلم فى بعض الأزمان ثم ردت اليهم ، كالصدور وهو رجوع الشاربة من الماء الى اعطانها (٤) التصويح التجفيف ، أى سابقوا إلى العلم وهو فى غضارته قبل أن يجف فلا تستطيعون احياءه بعد يبسه (٥) مستثار اسم مفعول

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ(١)، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ(٢)، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَنُورًا لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ(٣). فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ(٤) وَاضِحُ الْوَلَائِجِ(٥)، مُشْرَفُ الْمَنَارِ(٦)، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ(٧)، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ كَرِيمُ الْمِضْمَارِ(٨)، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ(٩)، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ(١٠) شَرِيفُ الْفُرْسَانِ. التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ

---

(١) علقه كعلمه: تعلق به (٢) من دخله لا يحارب (٣) جنة بالضم أى وقاية وصونا (٤) أشد الطرق وضوحا وأنورها (٥) الولائج جمع وليجة هى الدخيلة وهى المذهب (٦) مشرف بفتح الراء هو المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شيء. ومنار الدين هى دلائله من العمل الصالح يطلع منها البصير على حقائق العقائد ومكارم الأخلاق (٧) جمع جادة: الطريق الواضح (٨) كريم المضمار أى اذا سوبق سبق (٩) الحلبة خيل تجمع من كل صوب للنصرة. والاسلام جامعها يأتى اليه الكرائم والعتاق (١٠) السبقة بالضم جزاء السابقين بمعنى المصدر. والاستنارة طلب النور وهو السطوع والظهور

غَايَتُهُ(١) . وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ(٢) ، وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ(٣)

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَتَّى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِسٍ(٤) ، وَأَنَارَ عَلَمًا لِحَابِسٍ(٥) ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً(٦) . وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً . اللَّهُمَّ أَقْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ(٧) ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ(٨) ، وَشَرِّفْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ . وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ(٩) ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا(١٠) وَلَا نَادِمِينَ وَلَا نَاكِبِينَ(١١) ، وَلَا نَاكِثِينَ(١٢) ، وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا مَفْتُونِينَ (وَقَدْ مَضَى هٰذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ إِلَّا أَنَّنَا

---

(١) يريد الموت عن الشهوات البهيمية والحياة بالسعادة الأبدية كما يعلم من قوله رفيع الغاية ، وإلا فالموت المعروف غاية كل حي (٢) لأنها مزرعة الآخرة من سبق فيها سبق فى الأخرى (٣) سبقته: جزاء السابقين به (٤) أورى أوقد. والقبس بالتحريك الشعلة من النار تقتبس من معظم النار . والقابس آخذ النار من النار. والمراد ان النبي أفاد طلاب الحق ما به يستضيئون لاكتشافه (٥) الحابس من حبس ناقته وعقلها حيرة منه لا يدرى كيف يهتدى فيقف عن السير . وأنار له علما أى وضع له نارا فى رأس جبل ليستنقذه من حيرته (٦) بعيثك مبعوثك (٧) المقسم كمقعد ومنبر: النصيب والحظ (٨) النزل بضمتين ما هيء للضيف لأن ينزل عليه (٩) السناء كسحاب الرفعة (١٠) خزايا جمع خزيان من خزى إذا خجل من قبيح ارتكبه (١١) عادلين عن طريق الحق (١٢) ناكثين ناقضين للعهد

كَرَّرْنَاهُ هٰهُنَا لِمَا فِي الرِّوَايَتَيْنِ مِنَ الْإِخْتِلَافِ) (مِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ) وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللّٰهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ. وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللّٰهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ. وَكَانَتْ أُمُورُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ. فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللّٰهِ فِي أَيْدِيهِمْ. يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ. وَايْمُ اللّٰهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللّٰهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ (١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صِفِّينَ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ (٢)، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ (٣) وَيَآفِيخُ

---

(١) أى أنكم ستجتمعون لقهر الظالمين ولن يكون فى طاقتهم أن يفرقوكم، حتى لو شتتوكم تشتيت الكواكب فى السماء لاجتمعتم لقتالهم . وقيل انه يريد أن البلاء سيعم حتى لو فرقكم بنو أمية تحت كل كوكب طلباً لخلاصكم من البلاء لجمعكم الله لشر يوم لهم حتى يأخذكم البلاء كما يأخذهم (٢) الطغام كجراد : أوغاد الناس (٣) لهاميم جمع لهميم بالكسر وهو السابق الجواد من الخيل والناس

الشَّرَفِ[١] وَالْأَنْفُ الْمُقَدَّمُ، وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ. وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي[٢] أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ[٣] تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ. حَسًّا بِالنِّصَالِ[٤]، وَشَجْرًا بِالرِّمَاحِ[٥]. تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ، كَالْإِبِلِ الْهِيمِ الْمَطْرُودَةِ[٦] تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا. وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَهِيَ مِنْ خُطَبِ الْمَلَاحِمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَالظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ. خَلَقَ الْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، إِذْ كَانَتِ الرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي الضَّمَائِرِ وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ. خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ السُّتُرَاتِ[٧]، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ السَّرِيرَاتِ (مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ[٨]، وَذُؤَابَةِ

---

(١) اليآفيخ جمع يأفوخ: هو من الرأس حيث يلتقي عظم مقدمه مع مؤخره (٢) الوحاوح جمع وحوحة صوت معه بحح يصدر عن المتألم. والمراد حرقة الغيظ (٣) الاخرة محركة: آخر الامر. وجملة ان رأيتكم فاعل شفى (٤) الحس بالفتح القتل. والنضال المباراة في الرمي. وفي رواية النصال بالصاد (٥) الشجر كالضرب: الطعن (٦) الهيم بالكسر العطاش. وتذاد: تمنع (٧) جمع سترة ما يستر به أياً كان (٨) المشكاة كل كوة

الْعَلْيَاءِ[١] وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ[٢]. وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ (مِنْهَا) طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ[٣]. يَضَعُ ذٰلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ. مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ. لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ[٤]، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ. فَهُمْ فِي ذٰلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ. قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ[٥]. وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا[٦]، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا. مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ، وَنُسَّاكًا بِلَا صَلَاحٍ، وَتُجَّارًا بِلَا أَرْبَاحٍ. وَأَيْقَاظًا نُوَّمًا، وَشُهُودًا غُيَّبًا، وَنَاظِرَةً عُمْيًا، وَسَامِعَةً صُمًّا، وَنَاطِقَةً بُكْمًا. رَأَيْتُ ضَلَالَةً قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا[٧]،

غير نافذة ومن العادة أن يوضع فيها المصباح (١) الذؤابة الناصية أو منبتها من الرأس (٢) ما بين أخشبي مكة كانت تسكنه قبائل من قريش، ويقال لهم قريش البطاح (٣) مواسمه جمع ميسم بالكسر وهو المكواة، يجمع على مواسم ومياسم (٤) قوله لم يستضيئوا، يحكي حال من لم ينجع فيهم الدواء ممن صار الفساد من مقومات أمزجتهم (٥) انجابت من قولهم انجابت الناقة اذا مدت عنقها للحلب، أي ان السرائر خضعت لنور البصائر فهو يكشفها ويملكها. وأهل البصائر يصرفون السرائر الى ما يريدون (٦) خابطها: السائر عليها (٧) قامت على قطبها تمثيل لانتظام أمرها

وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا[١] ، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا[٢] ، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا[٣] . قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ . فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ[٤] ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ[٥] . تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ[٦] ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ[٧] ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ[٨] مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ . أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ . وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ . فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ[٩] ، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ[١٠] . وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ[١١] ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ .

واستحكام قوتها (١) جمع شعبة، أى انتشرت بفروعها (٢) تكيلكم أى تأخذكم للهلاك جلة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب (٣) تخبطكم، من خبط الشجرة ضربها بالعصى ليتناثر ورقها، أو من خبط البعير بيده الارض أى ضربها . وعبر بالباع ليفيد استطالتها عليهم وتناولها لقريبهم و بعيدهم (٤) الثفالة بالضم كالثفل . والثافل ما استقر تحت الشيء من كدرة . وثفالة القدر مايبقى فى قعره من عكارة . والمراد الأرذال والسفلة (٥) النفاضة مايسقط بالنفض . والعكم بالكسر العدل بالكسر أيضاً ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها . والمراد مايبقى بعد تفريغه فى خلال نسيجه فينفض لينظف (٦) العرك كالنصر : شديد الدلك . وعركه حكه حتى عفاه . والاديم الجلد (٧) المحصود (٨) البطينة السمينة (٩) الربانى بتشديد الباء المتأله العارف بالله عز وجل (١٠) صاح بكم (١١) الرائد من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلأ ويتعرف سهولة الوصول اليها من صعوبته . وفى المثل «لايكذب الرائد أهله» . يأمر الهداة

فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ[١]. فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ. وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ. وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ[٢]. وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ. وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ. وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ. وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظاً[٣]، وَالْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضاً، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضاً[٤]. وَكَانَ أَهْلُ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ذِئَاباً، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعاً، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً. وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَذِبُ: وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ. وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ. وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَباً، وَالْعَفَافُ عَجَباً. وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوباً

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ. غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ. وَعِزُّ كُلِّ

والدعاة الذين يتلقون عنه ويوصيهم بالصدق فى النصيحة (١) قرف الصمغة قشرها، وخص هذا بالذكر لأن الصمغة اذا قشرت لا يبقى لها أثر كذا قالوا (٢) الفنيق الفحل من الابل. و بعد كظوم أى امساك وسكون (٣) يغيظ والده لشبوه على العقوق، ويكون المطر قيظاً لعدم فائدته فان الناس منصرفون عن فوائدهم والانتفاع بما يفيض الله عليهم من خير إلى اضرار بعضهم ببعض، ما أشبه هذه الحال بحال هذا الزمان (٤) تغيض: من غاض الماء إذا غار فى الأرض وجفت

ذَلِيلٍ ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ . مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ . وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ . لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ . بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ . لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ . وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ[1] . وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ . كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ . أَنْتَ الْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى لَا مَحِيصَ عَنْكَ ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ لَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ . بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ . سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ ، وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا . وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ .

(مِنْهَا) مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ ،

ينابيعه (١) لايفلتك : لاينفلت منك

هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ . لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ[1] ، وَلَمْ يَشْعَبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ[2] . وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ[3] . وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ . سُبْحَانَكَ خَالِقًا وَمَعْبُودًا بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ[4] . خَلَقْتَ دَارًا وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً[5] : مَشْرَبًا وَمَطْعَمًا وَأَزْوَاجًا وَخَدَمًا وَقُصُورًا وَأَنْهَارًا وَزُرُوعًا وَثِمَارًا . ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًا يَدْعُو إِلَيْهَا . فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا ، وَلَا فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا ، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا . أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا ، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَعْشَى بَصَرَهُ[6] ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ . فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ ،

(١) المهين: الحقير، يريد النطفة (٢) المنون الدهر . والريب صرفه. أى لم تفرقهم صروف الزمان (٣) زرى عليه كرمى: عابه (٤) البلاء يكون نعمة ويكون نقمة، ويتعين الأول باضافة الحسن اليه ، أى ما عبدوك الا شكراً لنعمك عليهم (٥) المأدبة بفتح الدال وضمها ما يصنع من الطعام للمدعوين فى عرس ونحوه ، والمراد منها نعيم الجنة (٦) أعشاه أعماه

وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ. قَدْ خَرَقَتْ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتْ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ. فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا. حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا. وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ. وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ[1] - حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ. فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ. فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ. ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً[2]. فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ. يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ. وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا[3]، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا. قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا[4]، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا. فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ[5]،

---

(١) على الغرة بالكسر: بغتة وعلى غفلة (٢) ولوجا: دخولا (٣) أغمض لم يفرق بين حلال وحرام، كأنه أغمض عينيه فلا يميز. أو أغمض أى طلبها من أدق الوجوه وأخفاها فضلا عن أظهرها وأجلاها (٤) تبعاتها بفتح فكسر ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها، وما يحاسبه به الله من منع حقه منها وتخطى حدود شرعه فى جمعها (٤) المهنأ ما أتاك من خير بلا مشقة

وَالْعِبْءِ عَلَى ظَهْرِهِ(١) . وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا(٢) . فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ(٣) ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ. وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ . فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ(٤) . فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ . ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطًا بِهِ(٥) . فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ . وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ . لَا يُسْعِدُ بَاكِيًا ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِيًا . ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ(٦) . حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ، أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا(٧) وَأَرَجَّ الْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا . وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ

---

(١) العبء: الحمل والثقل (٢) غلقت رهونه: استحقها مرتهنها، وأعوزته القدرة على تخليصها كناية عن تعذر الخلاص (٣) أصحر له: من أصحر إذا برز فى الصحراء، أى على ما ظهر له وانكشف من أمره (٤) خالط لسانه سمعه : شارك السمع اللسان فى العجز عن أداء وظيفته (٥) التياطا أى التصاقاً به (٦) زيارته (٧) أماد: جواب إذا بلغ الكتاب الخ .

هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ . وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا . فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ أَخْلَاقِهِمْ (١) وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ . ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ . وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلَاءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هٰؤُلَاءِ . فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ . وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ (٢) ، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ (٣) . وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ (٤) ، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ (٥) . فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ (٦) ، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ وَقَصِيفٌ هَائِلٌ (٧) ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا ، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا (٨) . لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى ، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى ، (مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا

وأمادها حركها على غير انتظام . وفطرها صدعها (١) أخلاقهم بالفتح : من قولهم ثوب اخلاق اذا كانت الخلوقة شاملة له كله . والخلوقة البلى (٢) لاتنوبهم الافزاع: جمع فزع بمعنى الخوف (٣) أشخصه : أزعجه (٤) السربال : القميص . والقطران معروف (٥) المقطعات كل ثوب يقطع كالقميص والجبة ونحوها ، بخلاف مالا يقطع كالازار والرداء . والمقطعات أشمل للبدن وأشد استحكاماً في احتوائه (٦) عبر بالكلب تحركا عن هيجانها. واللجب الصوت المرتفع (٧) القصيف أشد الصوت (٨) جمع كبل

وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا . وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا[١] ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَارًا . فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا[٢] ، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مُقَامًا . بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا[٣] ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا ، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ[٤] ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ الْحِكَمِ . نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ . وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ . وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ . وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ . وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ[٥] . وَصِلَةُ الرَّحِمِ ،

بفتح فسكون : القيد. وتفصم تنقطع (١) زواها: قبضها (٢) الرياش: اللباس الفاخر (٣) معذراً : مبيناً لله حجة تقوم مقام العذر فى عقابهم ان خالفوا أمره (٤) مختلف الملائكة بفتح اللام محل اختلافهم أى ورود واحد منهم بعد آخر، فيكون الثانى كأنه خلف للأول وهكذا (٥) رحضه ـ كمنعه ـ غسله

فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ[1]. وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ. وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ. وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ. وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ. وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ. وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ. وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ. وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللهِ أَلْوَمُ[2]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ

---

(١) منسأة: مطال فيه ومزيد (٢) ألوم: أشد لوماً لنفسه بين أيدي الله لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد

بِالْغُرُورِ . لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا[١] ، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا . غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ . حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ[٢] نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ[٣] ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ[٤] . لَا تَعْدُو ـ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا[٥] ـ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ « كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ[٦] وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا » لَمْ يَكُنْ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً[٧] ، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْنًا[٨] إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْرًا . وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ[٩] إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ . وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى[١٠] . لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَبًا[١١] إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَبًا[١٢] .

---

(١) الحبرة بالفتح السرور والنعمة (٢) حائلة: متغيرة (٣) نافدة: فانية. بائدة أى هالكة (٤) غوالة: مهلكة (٥) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم فلا تتجاوز الوصف الذى ذكره الله فى قوله كماء الخ . فقوله ان تكون مفعول لتعدو (٦) الهشيم : النبت اليابس المكسر (٧) بالفتح : الدمعة قبل أن تفيض ، أو تردد البكاء فى الصدر ، أو الحزن بلا بكاء (٨) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والادبار (٩) الطل: المطر الضعيف . وطلت السماء أمطرته. والديمة مطر يدوم فى سكون لارعد ولا برق معه . والرخاء السعة . وهتنت المزن: انصبت (١٠) أوبى صار كثير الوباء. والوباء: هو المعروف بالريح الأصفر (١١) الغضارة النعمة والسعة . والرغب بالتحريك ـ الرغبة والمرغوب (١٢) أرهقته التعب: ألحقته به

وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ[١]. غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا. لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ. وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ[٢]، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ[٣]، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ. وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا[٤] وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا[٥]. سُلْطَانُهَا دِوَلٌ[٦]، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ[٧]، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ[٨] وَحُلْوُهَا صَبِرٌ[٩]، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ[١٠]، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ[١١]. حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ. وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ(*) سُقْمٍ. مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ[١٢]. وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ[١٣]. أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى آثَارًا وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْثَفَ جُنُودًا. تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ.

(١) القوادم — جمع قادمة — الواحدة من أربع أو عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر، وهى القوادم (٢) يهلكه (٣) أوجعته بفقد ما يعز عليه (٤) ابهة بضم فتشديد: عظمة (٥) النخوة بالفتح: الافتخار (٦) جمع دولة: هى انقلاب الزمان (٧) رنق — بفتح فكسر — كدر (٨) مالح شديد الملوحة (٩) الصبر — ككتف — عصارة شجر مر (١٠) جمع رسم مثلث السين، وهو من المواد ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه (١١) جمع رمة بالضم وهى القطعة البالية من الحبل، أى ما يتمسك به منها فهو بال منقطع (١٢) موفورها ما كثر منها مصاب بالنكبة، وهى المصيبة، أى فى معرض لذلك (١٣) من حربه حربا

(*) فى نسخه: بضم العين وسكون الراء

ثمَّ ظعنُوا عنهَا بِغيْرِ زَادٍ مُبلِّغٍ وَلا ظَهرٍ قاطِعٍ[١] فهَلْ بلغَكُمْ أنَّ الدُّنيا سَخَتْ لهُمْ نفسًا بِفِدْيَةٍ[٢]، أوْ أعَانتهُمْ بِمعُونَةٍ أوْ أحْسنَتْ لهُمْ صُحْبَةً. بَلْ أرْهقَتْهُمْ بِالْقوَادِحِ[٣]، وَأوْهنَتْهُمْ بِالقوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ[٤] وَعفرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ[٥]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَناسِمِ[٦]، وَأعَانَتْ عَلَيْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ. فقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لهَا[٧]، وَآثرَهَا وَأخْلَدَ لهَا[٨]، حَتَّى ظعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ[٩]. وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إلَّا السَّغَبَ[١٠]، أوْ أحلَّتْهُمْ إلَّا الضَّنْكَ[١١]، أوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إلَّا الظُّلْمَةَ[١٢]، أوْ أعْقَبَتْهُمْ إلَّا النَّدَامَةَ. أفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ أمْ إليْهَا تَطمَئِنُّونَ؟ أمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟. فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا ـ وَأنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا. وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا «مَنْ أشَدُّ مِنَّا قُوَّةً». حُمِلُوا إلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا[١٣]،

بالتحريك إذا سلب ماله (١) ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق (٢) اى سخت نفسها لهم بفداء (٣) أرهقتهم: غشيتهم بالقوادح بالقاف جمع قادح وهو أكال يقع فى الشجر والاسنان، أى بما ينهكهم ويمزق أجسادهم. وفى نسخة الفوادح بالفاء من فدحه الأمر إذا أثقله (٤) ضعضعتهم: ذللتهم (٥) كبتهم على مناخرهم فى العفر وهو التراب (٦) جمع منسم وهو مقدم خف البعير أو الخف نفسه (٧) دان لها: خضع (٨) ركن اليها (٩) أى فراق مدته لانهاية لها (١٠) السغب ـ محركة ـ الجوع (١١) الضنك الضيق (١٢) أو نورت لهم الخ لم يكن لهم مما ظنوه نورا لها إلا الظلام (١٣) لايقال لهم

وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ[1] . فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَانًا . وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ[2] ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ[3] ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ[4] ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً . إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا[5] ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ[6]، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ . لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ[7]، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ ضِيقًا ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً . فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا[8] ، حُفَاةً عُرَاةً . قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »

ركبان جمع راكب لأن الراكب من يكون مختاراً وله التصرف فى مركوبه (١) القبور (٢) الصفيح: وجه كل شيء عريض ، والمراد وجه الأرض . والاجنان جمع جنن محركة وهو القبر (٣) لأن أكفانهم تبلى ولا يغشى أبدانهم سوى التراب (٤) الرفات العظام المندقة المحطومة (٥) جيدوا : مطروا (٦) متقاربون لايزور بعضهم بعضا (٧) لاتخاف منهم أن يفجعوك بضرر (٨) جاءوا إلى الأرض واتصلوا بها بعد ما فارقوها وانفصلوا عنها فى بدء خلقتهم ، فانهم خلقوا منها كما قال تعالى «منها خلقناكم وفيها نعيدكم » وقوله قد ظعنوا عنها يشير إلى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم اما الى نعيم واما الى شقاء ، أوالظعن عنها هو البعث منها يوم القيامة ومفارقتها إما إلى الجنة وإما إلى النار كما يرشد اليه الاستشهاد بالآية

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً؟، بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى ٱلْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ. أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا[1]؟، أَمِ ٱلرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟. كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[2]، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[3]. قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا. لَمْ يُصْفِهَا ٱللهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ. خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[4]. وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ

---

(١) يلج: يدخل (٢) القلعة كهمزة وطرفة ودجنة: من لا يثبت على السرج، أو من يزل قدمه عند الصراع، أي هي منزل من لا يستقر (٣) النجعة بالضم طلب الكلأ في موضعه، أي ليست محط الرحال ولا مبلغ الآمال (٤) حاضر

نَقْضَ ٱلبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يفْنَى فَنَاءَ ٱلزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ. أُجْمِلُوا مَاٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ (١)، وَٱسْأَلوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَاسَأَلَكُمْ. وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ. إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا (٢). قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ ٱلآمَالِ. فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلآخِرَةِ، وَٱلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلآجِلَةِ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ ٱللهِ مَافَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ ٱلسَّرَائِرِ، وَسُوءُ ٱلضَّمَائِرِ. فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ. مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِٱلْيَسِيرِ مِنَ ٱلدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ وَلَا يَحْزُنُكُمُ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ. وَيُقْلِقُكُمُ ٱلْيَسِيرُ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ (٣) كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ. وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ. وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ

---

(١) مطلوبكم، أى اجعلوا الفرائض من مطالبكم التى تسعون لنيلها، واسألوا الله أن يمنحكم ما سألكم من أداء حقه، أى أن يمن عليكم بالتوفيق لأداء حقه (٢) اغتبطوا: غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق (٣) قلة صبركم عطف على وجوهكم. وزوى من زواه إذا نحاه

أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ . قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ[1] . صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هٰذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ[2] ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ[3] . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ ، إِيمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ وَيَقِينُهُ الشَّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ . لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَى اللّٰهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ : زَادٌ

---

(١) عبر باللعقة عن الاقرار باللسان مع ركون القلب الى مخالفته (٢) البطاء بالكسر جمع بطيئة . والسراع جمع سريعة (٣) غير تارك شيئاً الا أحاط به

مُبَلِّغٌ وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ. دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ وَاعٍ[1]. فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا وَفَازَ وَاعِيهَا

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّ تَقْوَى ٱللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ مَحَارِمَهُ[2]. وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ[3]. فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ[4]، وَٱلرِّيَّ بِالظَّمَإِ. وَٱسْتَقْرَبُوا ٱلْأَجَلَ فَبَادَرُوا ٱلْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا ٱلْأَمَلَ فَلَاحَظُوا ٱلْأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ فَمِنَ ٱلْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ[5]، لَا تُخْطِىءُ سِهَامُهُ، وَلَا تُوسَى جِرَاحُهُ[6]. يَرْمِي ٱلْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَٱلصَّحِيحَ بِالسُّقْمِ، وَٱلنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ. آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ[7]. وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ أَنَّ ٱلْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ. ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى ٱللهِ لَا مَالًا حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ. وَمِنْ غِيَرِهَا[8] أَنَّكَ تَرَى ٱلْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا وَٱلْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ[9]، وَبُؤْسًا نَزَلَ. وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ ٱلْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى

---

(١) رعاها فهمها وحفظها (٢) حمى الشيء منعه أى منعتهم ارتكاب محرماته (٣) أظمأتها بالصيام (٤) التعب (٥) فمن أسباب الفناء كون الدهر قد أوتر قوسه ليرمي بها أبناءه (٦) توسى تداوى من أسوت الجرح داويته (٧) لا ينقع — كينفع — لا يشتفي من العطش بالشرب (٨) غيرها بكسر ففتح تقلبها . والمرحوم الذى ترق له وترحمه لسوء حاله يصبح مغبوطاً على ماتجدد له من نعمة (٩) من زل فلان زليلا وزلولا إذا مر سريعاً . والمراد انتقل . أو هو الفعل اللازم من أزل اليه نعمة أسداها.

أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ . فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ ، فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا وَأَظْمَأَ رِيَّهَا وَأَضْحَى فَيْئَهَا[١] . لَا جَاءٍ يُرَدُّ[٢] ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ . فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ . وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ . وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ . فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا . فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ . إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ . وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ . فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ . قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى[٣] بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ ، مَعَ أَنَّهُ وَاللهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ وَدَخِلَ الْيَقِينُ[٤] ،

---

(١) أضحى كضحى كدعى: برز للشمس. والفىء الظل بعد الزوال أو مطلقاً (٢) الجائى يريد به الموت (٣) طلبه مبتدأ خبره أولى وجملتهما خبر يكون (٤) دخل —

حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ. فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ(١). مَا فَاتَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَدًا زِيَادَتُهُ. وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي. فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

فِي الِاسْتِسْقَاءِ

اللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا(٢)، وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا. وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّةِ، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا(٣).

كفرح ـ خالطه فساد الأوهام (١) الذى يفوت من العمر لا يرجى رجوعه بخلاف الذى يفوت من الرزق فانه يمكن تعويضه (٢) انصاحت جفت أعالى بقولها ويبست من الجدب. وليس من المناسب تفسير انصاحت بانشقت الا أن يراد المبالغة فى الحرارة التى اشتدت لتأخر المطر حتى انقد باطن الأرض نارا وتنفست فى الجبال فانشقت. وتفسير بقية الألفاظ يأتى فى آخر الدعاء لصاحب الكتاب (٣) مداخلها فى

اللهمَّ خرجنا إليكَ حينَ اعتكرتْ علينا حدابيرُ السنينَ، وأخلفتنا مخائلُ الجودِ(١). فكنتَ الرجاءَ للمبتئسِ(٢)، والبلاغَ للملتمسِ. ندعوكَ حينَ قنطَ الأنامُ، ومُنعَ الغمامُ، وهلكَ السوامُ(٣)، أنْ لا تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا. وانشرْ علينا رحمتكَ بالسحابِ المنبعقِ(٤)، والربيعِ المغدقِ(٥)، والنباتِ المونقِ(٦). سحاً وابلاً(٧) تحيي بهِ ما قدْ ماتَ، وتردُّ بهِ ما قدْ فاتَ. اللهمَّ سقياً منكَ محييةً مرويةً، تامةً عامةً، طيبةً مباركةً، هنيئةً مريعةً(٨). زاكياً نبتُها(٩)، ثامراً فرعُها، ناضراً ورقُها، تنعشُ بها الضعيفَ منْ عبادكَ، وتحيي بها الميتَ منْ بلادكَ. اللهمَّ سقياً منكَ تعشبُ بها نجادُنا(١٠)، وتجري بها وهادُنا، ويخصبُ بها جنابُنا(١١)، وتقبلُ بها ثمارُنا، وتعيشُ بها مواشينا، وتندى بها أقاصينا(١٢)،

المرابض (١) مخايل جمع مخيلة — كمصيبة — هى السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر. والجود بالفتح: المطر (٢) الذى مسته البأساء والضراء. والبلاغ الكفاية (٣) جمع سائمة البهيمة الراعية من الابل ونحوها (٤) انبعق المزن انفرج عن المطر كأنما هو حى انشقت بطنه فنزل ما فيها (٥) أغدق المطر كثر ماؤه (٦) من آنقنى اذا أعجبنى. أو من آنقه إذا سره وأفرحه (٧) سحا: صباً. والوابل الشديد من المطر الضخم القطر (٨) المريعة بفتح الميم: الخصبة (٩) زاكياً نامياً. وثامراً مثمراً آتياً بالثمر (١٠) جمع نجد ما ارتفع من الأرض. والوهاد جمع وهدة ما انخفض منها (١١) الجناب الناحية (١٢) القاصية الناحية أيضاً، أو هى بمعنى البعيدة عنا من أطراف بلادنا فى

وَتَسْتَمِينَ بِهَا ضَوَاحِينَا[1] . مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ[2] ، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ. وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً[3] مِدْرَارًا هَاطِلَةً . يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ[4]، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ[5] غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا[6] ، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا[7] ، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا[8] ، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا[9] ، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَى بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ[10] ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ

تَفْسِيرُ مَا فِي هٰذِهِ الْخُطْبَةِ مِنَ الْغَرِيبِ

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (انْصَاحَتْ جِبَالُنَا) أَيْ تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمُحُولِ، يُقَالُ: انْصَاحَ الثَّوْبُ إِذَا انْشَقَّ . وَيُقَالُ أَيْضًا : انْصَاحَ النَّبْتُ وَصَاحَ وَصَوَّحَ إِذَ جَفَّ وَيَبِسَ . وَقَوْلُهُ : (وَهَامَتْ دَوَابُّنَا) أَيْ عَطِشَتْ ، وَالْهُيَامُ الْعَطَشُ . وَقَوْلُهُ : (حَدَابِيرُ السِّنِينَ)- جَمْعُ حِدْبَارٍ - وَهِيَ

مقابلة جنابنا (١) ضاحية المال التى تشرب ضحى . والضواحى جمعها (٢) بصيغة الفاعل : الفقيرة (٣) مخضلة من أخضله إذا بله (٤) الودق المطر (٥) يحفز : يدفع (٦) البرق الخلب ما يطمعك فى المطر ولا مطر معه (٧) الجهام بالفتح السحاب الذى لامطر فيه . والعارض ما يعرض فى الأفق من السحاب (٨) الرباب السحاب الأبيض (٩) جمع ذهبة بكسر الذال المطرة القليلة وهو المراد باللينة فى تفسير صاحب الكتاب (١٠) المقحطون

ٱلنَّاقَةُ ٱلَّتِي أَنْضَاهَا ٱلسَّيْرُ ، فَشَبَّهَ بِهَا ٱلسَّنَةَ ٱلَّتِي فَشَا فِيهَا ٱلْجَدْبُ ، قَالَ ذُو ٱلرُّمَّةِ :

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً عَلَى ٱلْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرَا

وَقَوْلُهُ : (وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا) ٱلْقَزَعُ ٱلْقِطَعُ ٱلصِّغَارُ ٱلْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ ٱلسَّحَابِ . وَقَوْلُهُ : (وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا) فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ وَلَا ذَاتِ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا . وَٱلشَّفَّانُ ٱلرِّيحُ ٱلْبَارِدَةُ ، وَٱلذِّهَابُ ٱلْأَمْطَارُ ٱللَّيِّنَةُ . فَحَذَفَ ذَاتَ لِعِلْمِ ٱلسَّامِعِ بِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى ٱلْحَقِّ وَشَاهِدًا عَلَى ٱلْخَلْقِ . فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ [١] ، وَجَاهَدَ فِي ٱللهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ [٢] . إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى ، وَبَصَرُ مَنِ ٱهْتَدَى (مِنْهَا) لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذًا لَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱلصُّعُدَاتِ [٣] تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ [٤] . وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا

---

(١) وان : متباطىء متثاقل (٢) واهن ضعيف . والمعذر من يعتذر ولايثبت له عذر (٣) الصعدات بضمتين جمع صعيد بمعنى الطريق ، أى لتركتم منازلكم وهمتم في الطرق من شدة الخوف (٤) الالتدام ضرب النساء صدورهن أو وجوههن

خَالِفَ عَلَيْهَا(١) ، وَلَهَمَّتْ كُلَّ امْرِئٍ نَفْسُهُ(٢) لا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا . وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ . وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَاللهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ(٣) ، مَرَاجِيحُ الْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ . مَضَوْا قُدُماً(٤) ، عَلَى الطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ(٥) ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ(٦) . أَمَا وَاللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ(٧) . يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ . (أَقُولُ : الْوَذَحَةُ الْخُنْفَسَاءُ . وَهٰذَا الْقَوْلُ يُومِئُ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ ، وَلَهُ مَعَ الْوَذَحَةِ حَدِيثٌ(٨) لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ)

---

(١) الخالف من تتركه فى أهلك ومالك إذا خرجت لسفر أو حرب (٢) همته: حزنته وشغلته (٣) ميامين - جمع ميمون - المبارك . ومراجيح أى حلماء ، من رجح إذا ثقل ومال بغيره . والمراد الرزانة أى رزناء الحلم بكسر الحاء وهو العقل . ومقاويل - جمع مقوال - من يحسن القول . ومتاريك - جمع متراك - المبالغ فى الترك (٤) القدم بضمتين المضى أمام ، أى سابقين (٥) الوجيف ضرب من سير الخيل والابل . وأوجف خيله سيرها بهذا النوع ، أى أسرعوا على الطريق المستقيمة (٦) من قولهم عيش بارد أى هنىء (٧) الذيال الطويل القد الطويل الذيل المتبختر فى مشيته (٨) قالوا ان الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فأخذها بيده فلسعته فورمت يده وأخذته حمى من اللسعة فأهلكته ، قتله الله بأضعف مخلوقاته وأهونها

(وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ)

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا. تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ[1]، وَلاَ تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ. فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ[2]، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ[3]. بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ. فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ. فَوَاللهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

وَقَدْ جَمَعَ النَّاسَ وَحَضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فَسَكَتُوا مَلِيًّا[4]

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ؟ (فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ

---

(١) كرم الشيء - كحسن يحسن - أي عز ونفس، أي أنكم تصيرون اعزاء بنسبتكم للايمان بالله ثم لا تبجلون الله ولا تعظمونه بالاحسان إلى عباده (٢) الجنن - بضم ففتح - جمع جنة بالضم وهي الوقاية . والباس الشدة (٣) بطانة الرجل خواصه وأصحاب سره (٤) قال بعضهم ان أمير المؤمنين قال هذا الكلام عند ما كان يغير أهل الشام على

ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ : لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ[1]، وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ ، أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ ٱلْجُنْدَ وَٱلْمِصْرَ وَبَيْتَ ٱلْمَالِ وَجِبَايَةَ ٱلْأَرْضِ وَٱلْقَضَاءَ بَيْنَ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلنَّظَرَ فِي حُقُوقِ ٱلْمُطَالِبِينَ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ ٱلْقِدْحِ فِي ٱلْجَفِيرِ ٱلْفَارِغِ[2]، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ ٱلرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي، فَإِذَا فَارَقْتُهُ ٱسْتَحَارَ[3] مَدَارُهَا وَٱضْطَرَبَ ثِفَالُهَا[4] هٰذَا لَعَمْرُ ٱللهِ ٱلرَّأْيُ ٱلسُّوءُ . وَٱللهِ لَوْلَا رَجَائِي ٱلشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي ٱلْعَدُوَّ - لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ -[5] لَقَرَّبْتُ رِكَابِي[6] ، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا ٱخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ[7] مَعَ قِلَّةِ ٱجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى ٱلطَّرِيقِ ٱلْوَاضِحِ ٱلَّتِي لَا

أطراف أعماله بعد واقعة صفين (١) سدده : وفقه للسداد (٢) القدح بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل . والجفير الكنانة توضع فيها السهام . وانما خص القدح لأنه يكون أشد قلقلةمن السهم المراش حيث ان حدالريش قد يمنعه من القلقلة أو يخففها (٣) استحار : ترددواضطرب (٤) الثفال كغراب وكتاب: الحجر الأسفل من الرحى وككتاب ماوقيت به الرحى منالارض (٥) حم : قدر (٦) حزمت ابلي وأحضرتها للركوب . وشخصت أي بعدت عنكم وتخليت عن أمر الخلافة (٧) الغناء ـ بالفتح والمد ـ النفع

يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ[١] ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ[٢] ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ . وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ وَضِيَاءُ الْأَمْرِ . أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ[٣] . مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ . اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخَائِرُ ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ . وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ[٤] ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[٥] . وَاتَّقُوا نَارًا حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[٦] . أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ[٧]

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : نَهَيْتَنَا عَنِ الْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا

---

(١) الذى حتم هلاكه لتمكن الفساد من طبعه وجبلته (٢) جمع عدة بمعنى الوعد (٣) مستقيمة (٤) عازبه: غائبه، أى من لم ينتفع بعقله الموهب له الحاضر فى نفسه فأولى به أن لا ينتفع بعقل غيره الذى هو غائب عن نفسه . أى ليس من صفاتها بل من صفات الغير (٥) عوز الشىء كفرح : أى لم يوجد (٦) الصديد ماء الجرح الرقيق والحيم (٧) اللسان الصالح : الذكر الحسن

بِهَا فَمَا نَدْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ؟ فَصَفَقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ:

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ[1]. أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلٰكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟. أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا[2]. اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ[3]، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ[4]. أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ. وَهِيجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا[5]، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا. وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَصَفًّا صَفًّا. بَعْضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجَا. لَا يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ[6]، وَلَا

---

(١) ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة حتى يكون الظفر أو الهزيمة (٢) الضلع بتسكين اللام الميل. وأصل المثل «لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها» يضرب للرجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مشربه. ونقش الشوكة اخراجها من العضو تدخل فيه (٣) الدوى بفتح فكسر: المؤلم (٤) كلت: ضعفت. والنزعة جمع نازع. والاشطان جمع شطن وهو الحبل. والركى جمع ركية وهي البئر، أي ضعفت قوة النازعين لمياه المعونة من آبار هذه الهمم الفائضة المائرة (٥) اللقاح جمع لقوح وهي الناقة. ووله‍ا الى اولادها فزعها اليها اذا فارقتها.
(٦) اذا قيل لهم نجا فلان فبقى حياً لا يفرحون لأن أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق. ولا يحزنون اذا قيل لهم مات فلان فان الموت عندهم حياة السعادة الابدية.

يُعَزَّوْنَ عَنِ ٱلْمَوْتَى . مُرْهُ ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ[1] . خُمْصُ ٱلْبُطُونِ[2] مِنَ ٱلصِّيَامِ . ذُبْلُ ٱلشِّفَاهِ مِنَ ٱلدُّعَاءِ[3] . صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ ٱلسَّهَرِ . عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ ٱلْخَاشِعِينَ . أُولٰئِكَ إِخْوَانِي ٱلذَّاهِبُونَ . فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ ٱلْأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ . إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ[4] ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِالْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ[5] . فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ[6] . وَاقْبَلُوا ٱلنَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ[7] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَهُ لِلْخَوَارِجِ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى إِنْكَارِ ٱلْحُكُومَةِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ؟ فَقَالُوا : مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ. قَالَ : فَامْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا بِكَلَامِهِ . وَنَادَى ٱلنَّاسَ فَقَالَ : أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلَامِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا . ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ (مِنْهُ) :

---

(١) مره بضم فسكون جمع امره من مرهت عينه اذا فسدت او ابيضت حماليقها (٢) خمص البطون ضوامرها (٣) ذبلت شفته جفت ويبست لذهاب الريق (٤) يسنى يسهل (٥) يعطيكم الفرقة بدل الجماعة كأنه يبيعهم الثانية بالاولى (٦) فاصدفوا ، اي فأعرضوا عن وساوسه (٧) اعقلوها : احبسوها على انفسهم لا تتركوها فتضيع منكم فتخسرون .

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَمَكْرًا وَخَدِيعَةً : إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ، اسْتَقَالُونَا وَاسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ وَالتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ . فَقُلْتُ لَكُمْ : هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ . فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ، وَالْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ . وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ : إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ . وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الْفَعْلَةُ ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا[1] ، وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلَا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَهَا . وَوَاللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ الَّذِي يُتَّبَعُ . وَإِنَّ الْكِتَابَ لَمَعِي . مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ . فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْإِخْوَانِ وَالْقَرَابَاتِ ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَانًا ، وَمُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ ، وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ الْجِرَاحِ . وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالِاعْوِجَاجِ وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ .

فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ[2] يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعَثَنَا وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغِبْنَا فِيهَا وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

---

(١) انتم الذين اعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها برأيكم (٢) المراد من الخصلة بالفتح هنا الوسيلة . ولم شعثه : جمع امره . ونتدانى : نتقارب الى ما بقي بيننا من علائق الارتباط .

فهرست الجزء الاول من نهج البلاغة

صفحة	
٢	من هو الامام علي (ع)
٣	مقدمة مفسر الكتاب الشيخ محمد عبده
١٠	مقدمة جامع الكتاب السيد الشريف الرضي
١٣	باب المختار من خطب أمير المؤمنين وما يجري مجراها
	ومن خطبة له في ابتداء خلق السموات والارض وخلق آدم وفيها تمجيد الله وبيان قدرته
٢٠	صفة خلق آدم
٢٧	ومنها في ذكر الحج وحكمته
٢٧	ومن خطبة له بعد انصرافه من صفين يصف فيها حال الناس قبل بعثة النبي وتنتهي بمزايا لآل البيت
٣٠	الخطبة الشقشقية وفيها تألمه من جور مثيري الفتنة في خلافته وحكاية حاله مع من سبقه
٣٨	ومن خطبة له في هداية الناس وكمال يقينه
٤٠	ومن خطبة له في النهي عن الفتنة
٤١	ومن كلام له في انه لا يخدع
٤٢	ومن خطبة له في ذم قوم باتباع الشيطان
٤٢	ومن كلام له في دعوى الزبير انه لم يبايع بقلبه
٤٢	ومن كلام له في أنهم أرعدوا وهو لا يرعد حتى يوقع
٤٣	ومن خطبة له في وعيده لقوم
٤٣	ومن كلام له في وصيته لابنه محمد بن الحنفية بالثبات والحذق في الحرب
٤٤	ومن كلام له في ان له محبين في اصلاب الرجال ، وكلام في ذم اهل البصرة
٤٦	ومن كلام له في ذم اهل البصرة وفيما رده على المسلمين من قطائع عثمان
٤٦	ومن كلام له لما بويع بالمدينة وفيه يكون من امر الناس وكلامه في الوصية بلزوم الوسط
٥١	ومن كلام يصف به من يتصدى للحكم بين الناس وليس لذلك بأهل
٥٤	ومن كلام له يذم به اختلاف العلماء في الفتيا
٥٦	ومن كلام له في تجبيه الأشعث بن قيس
٥٧	ومن كلام له في تعظيم مابعد الموت والحث على العبرة
٥٩	ومن خطبة له فيمن اتهموه بقتل عثمان رضي الله عنه
٦٠	ومن خطبة له النهي عن التحاسد والوصية بالقرابة والعشيرة
٦٣	ومن خطبة له في الحث على قتال الخارجين

صفحة	
٦٣	ومن خطبة له في الضجر من تثاقل اصحابه وبيان ان الباطل قد يعلو بالاتحاد والحق يضيع بالاختلاف
٦٦	ومن خطبة له في حالهم قبل البعثة وشكواه من انفراده بعدها وذمة لمن بايع بشرط
٦٧	ومن خطبة له في الحث على الجهاد وذم القاعدين
٧٠	ومن خطبة له في ادبار الدنيا واقبال الآخرة والحث على التزود لها
٧٣	ومن خطبة له في ذم المتخاذلين
٧٥	ومن كلام له في معنى قتل عثمان رضي الله عنه
٧٦	ومن كلام له في وصف طلحة والزبير واستعطافهما
٧٧	ومن خطبة له في الدهر واهله في حال الناس قبل البعثة وبعدها وتعديد اعماله
٨٠	ومن خطبة له عند خروجه لقتال اهل البصرة
٨٢	ومن خطبة له في استنفار الناس الى اهل الشام
٨٤	ومن خطبة له في لوم الناس بعد التحكيم
٨٦	ومن خطبة له في تخويف اهل النهروان
٨٨	ومن كلام له في ثباته في الامر بالمعروف
٨٩	ومن خطبة له في معنى الشبهة
٩٠	ومن خطبة له في ذم المتقاعدين عن القتال
٩١	ومن كلام له في الخوارج يبين ان لا بد للناس من أمير
٩٢	ومن خطبة له في الوفاء

صفحة	
٩٢	ومن كلام له في اتباع الهوى وفي ادبار الدنيا وكلام في الاناة بالحرب مع لزوم الاستعداد
٩٣	ومن كلام له بعد ارساله جريراً الى معاوية
٩٤	ومن كلام له في هروب مصقلة بن هبيرة الى معاوية
٩٥	ومن خطبة له في تعظيم الله وتصغير الدنيا
٩٦	ومن كلام له في تضرعه إلى الله عند الذهاب الى الحرب
٩٧	ومن كلام له في ذكر الكوفة
٩٧	ومن خطبة له عند المسير لحرب الشام
٩٨	ومن كلام له في تمجيد الله
٩٩	ومن كلام له يذكر كيف تكون الفتن
١٠٠	ومن خطبة له في التحريض
١٠١	ومن خطبة له في الدنيا
١٠٢	ومن كلام له في ذكر الاضحية يوم النحر
١٠٣	ومن خطبة له في تزاحم الناس لبيعته ثم اختلاف بعضهم عليه
١٠٤	ومن كلام له في تهاونه بالموت لكنه يحب السلم
١٠٤	ومن كلام له في وصف حربهم على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم
١٠٥	ومن كلام له يخبر به عمن يأمر بسبه
١٠٦	ومن كلام له مع الخوارج
١٠٧	ومن كلام له لما عزم على حرب الخوارج
١٠٨	ومن كلام له عند ماخوف من الغيلة

صفحة	
١٠٨	ومن خطبة له في الدنيا
١٠٩	ومن خطبة له لزوم الاستعداد لما بعد الموت
١١٢	ومن خطبة له في تنزيه الله
١١٤	ومن كلام له في التحريض كان يقوله في بعض ايام صفين
١١٦	ومن كلام له في الاحتجاج على الانصار
١١٦	ومن كلام له عندما قتل محمد بن أبي بكر
١١٧	ومن كلام له في ذم اصحابه
١١٨	وقال في سحرة اليوم الذي ضرب فيه
١١٨	ومن خطبة له في ذم اهل العراق
١٢٠	ومن خطبة له علم الناس فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
١٢٣	ومن كلام له قاله لمروان عندما اسره يوم الجمل واطلقه صف غدره
١٢٤	ومن كلام له لما عزموا على بيعة عثمان
١٢٥	ومن كلام له فيمن اتهموا بالمشاركة في دم عثمان
١٢٥	ومن خطبة له في الوعظ
١٢٦	ومن كلام له في حال بني امية
١٢٧	ومن كلمات كان يدعو بها
١٢٨	ومن كلام له في بطلان التنجيم
١٢٩	ومن خطبة له في ذم النساء
١٣٠	ومن كلام له في الزهادة
١٣٠	ومن كلام له في صفة الدنيا
١٣٢	ومن خطبة له عجيبة فيها قبل الموت وبعده وتسمى الغراء

صفحة	
١٤٣	ومنها في صفة خلق الانسان
١٤٧	ومن كلام له في عمرو بن العاص
١٤٨	ومن خطبة له في الوعظ
١٤٩	ومن خطبة له في صفة الجنة والحث على العمل وذكر نعمة الدين وذم الرياء والكذب
١٥١	ومن خطبة له فيها صفات من يحبه الله وحال امير المؤمنين مع الناس
١٥٥	ومن خطبة له فيها وصف الامة عند خطئها
١٥٦	ومن خطبة له في حال الناس من قبل البعثة وان الناس اليوم لا يختلفون عن سلفهم
١٥٨	ومن خطبة له في تعديد شيء من صفات الله تعالى
١٦٠	ومن خطبة له تعرف بخطبة الاشباح وهي من جلائل الخطب وفيها من وصف السماء والارض والسحاب وغير ذلك
١٨١	ومن خطبة له لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان
١٨٢	ومن خطبة له يذكر فيها ما كان من تغلبه على فتنة الخوارج وما يصيب الناس من بني امية
١٨٤	ومن خطبة له يصف فيها الانبياء
١٨٦	ومن خطبة له في حال الناس عند البعثة وما كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم
١٨٧	ومن كلام له في توبيخ اصحابه على التباطوء على نصرة الحق

صفحة	
١٩٠	ومن كلام له في وصف بنى أمية وحال الناس في دولتهم
١٩١	ومن خطبة له في وصف الدنيا
١٩٣	ومن خطبة له أخرى في صفة دليل السنة يعني بذلك نفسه وبيان مايكون من أمره مع اصحابه
١٩٤	ومن خطبة أخرى يوصي بعدم عصيانه ويصف مثير الفتنة عليه
١٩٦	ومن كلام له فيه وصف فتنة مقبلة
١٩٧	ومن خطبة له في التزهيد ووصف الناس في بعض الازمان
١٩٩	ومن خطبة له في حال الناس قبل البعثة وما صاروا اليه بعدها
٢٠٠	ومن خطبة له في الموضوع نفسه مع زيادة كلام في شأن آل البيت وبني أمية وفي النهي عن طلب مالا يطلب
٢٠٣	ومن خطبة له في شرف الاسلام ووصف النبي صلى الله عليه وسلم وماوصل للمسلمين بالاسلام وما وصلوا اليه بتساهلهم في امره
٢٠٥	ومن كلام له عندما تأخر قومه في الحرب ثم تراجعوا على العدو
٢٠٦	ومن خطبة له وهي من خطب الملاحم يذكر فيها طبيب الحكمة وحال الناس معه وأمر الفتن وما تفعل ووصف الناس في بعض الأزمان

صفحة	
٢٠٩	ومن خطبة له في تمجيد الله ووصف ملائكته وانصراف الناس عما وعدهم الله ووصف الانسان عند الموت والمعاد وشأنه
٢١٥	ومن خطبة له في فرائض الاسلام
٢١٦	ومن خطبة له في وصف الدنيا
٢٢١	ومن خطبة له يذكر فيها ملوك الموت
٢٢١	ومن خطبه له في التحذير من الدنيا
٢٢٣	ومن خطبة له فيها الحض على التقوى وذكر شيء من اوصاف الدنيا والفرق بينها وبين الآخرة ووصف حال الناس في العمل لهما
٢٢٦	ومن خطبة له في الاستسقاء
٢٢٩	ومن خطبة له في تعظيم ما حجب عن الناس وكشف له والاخبار بما سيكون من أمر الحجاج الثقفي
٢٣١	ومن كلام له في التوبيخ على البخل بالمال والنفس وكلام في دعوة اصحابه لنصرته
٢٣١	ومن كلام له في تقريعهم على التقاعد وفي أن الرئيس لا يلزمه تناول صغار الاعمال
٢٣٣	ومن كلام له في وصف نفسه والحث على طلب الحمد
٢٣٣	ومن كلام له في توبيخ أصحابه وذكر الأولين في شجاعتهم وتقاهم وتحريك الحمية
٢٣٥	ومن كلام له في احتجاجه على الخوارج

[تم الجزء الاول]